



5

الواحـــات الداخـــلة

دراسة

في التاريخ الثقافى والمأثورات الشعبية



تأليف

عبد الوهاب حنفى





٥

الواحات الداخلة

دراسة
فى التاريخ الثقافى والمأثورات الشعبية

تأليف

عبد الوهاب حنفى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٣

حنفى، عبد الوهاب.
الواحات الداخلة: دراسة فى التاريخ الثقافى والمأثورات الشعبية/ عبد الوهاب حنفى. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢.
٣٤٤ ص؛ ٢٤ سم.
تدمك ٦ ١٥٣ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ الواحات الداخلة.
٢ ـ الفولكلور.
أ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢٩٩٥/ ٢٠١٢
I. S. B. N 978 - 977 - 448 -153 - 6

ديوى ٩١٦,٢٢٦

سلسلة الثقافة الشعبية



رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد مجاهد
رئيس التحرير
د. خالد أبو الليل
مدير التحرير
أحمد توفيق
تصميم الغلاف الفنان
محمد بغدادى
سكرتير التحرير
محمد شحاتة
الإخراج الفنى
مادلين أيوب
التنفيذ والطباعة



الهيئة المصرية العامة للكتاب
2012

«الثقافة الشعبية»
سلسلة تنشر الجديد في المأثورات الشعبية بكل أشكالها، العربية والمترجمة.

المراسلات باسم رئيس التحرير - الهيئة المصرية العامة للكتاب - كورنيش النيل - القاهرة
ت: 25775000--25775228 e-mail: thaqafahsha3beyyah@hotmail.com

الإهداء

إلى والدى (رحمه الله)
الذى عاش قرابة القرن من العمر ، حاضر الذهن ، حافظ التاريخ البعيد والقريب ، شاهدا ومشاركا فى عصور التحول الاجتماعى والاقتصادى فى الواحات.

إلى أبنائى:
سالى ومحمد وسارة ومنة الله ،،
وفقهم الله جميعا ، وجمع بينهم بالحب

المقدمة

كثيرا ما يحدث الخلط غير المقصود، فيما بين سكان الواحات من ناحية، والبدو من ناحية أخرى ، باعتبارهما يجتمعان فى كونهما سكانا للصحراء، ومنذ قرابة ربع قرن،قمت بطرح سؤالى حول الفوارق بين الاثنين،على أحد الأساتذة الكبار فى علم الأنثروبولوجيا، ولشد ما راعتنى إجابته، حين بادرنى بقوله : إنك يمكن أن تقيس درجات التحضر والبدائية على (مسطرة) متدرجة فى بياناتها (الثقافية) وبالتالى يمكنك معرفة أى درجة ثقافية تقع فيها الجماعة التى تود قياسها ..!! وما عجبت له، هو أننى لم أكن أقصد المفاضلة والقيمة الثقافية بين مجتمعات البدو، و مجتمعات الواحات . ولكن ما كنت أهدف إليه هو التصنيف السوسيولوجى، والأنثروبولوجى، والاثنوجرافى بين هذه وتلك، لأكثر من دليل علمى يثبت صحة ما أدعى، خاصة، وقد وجدت البعض من الباحثين الميدانيين و قد تناولوا الأمر بصورة أكثر تبسيطا ، فيما وجدته تبسيطا مخلا، وهم من ذهبوا إلى أن حل معضلة الاختلاف بين البدو وسكان الواحات، يتلخص فى أن سكان الواحات كانوا (فى الأصل) بدوا ثم استقروا ..!! أى أن الفوارق بين الثقافتين ليست إلا فوارق زمنية، مرحلية (فى الاستقرار)

ولما كانت دراساتى الميدانية التى بدأت منذ ما يناهز الأربعين عاما، قد اتخذت من سكان الصحراء (بدو وواحات) محورا لها، وما أفرزته هذه الدراسات، وتمخضت عنه من نتائج أولية، تشير فى مجملها إلى تباين الثقافتين وتمايزهما عن بعضهما البعض. فقد رأيت أن أدقق الدرس فى مجال التاريخ الثقافى لكل منهما. ولتكن البداية بالتاريخ الثقافى للواحات .

منذ ذلك الحين وأنا أعكف على العديد من المصادر البحثية والدراسات السابقة التى تتعرض للواحات فى صور مباشرة وغير مباشرة، وهى نادرة نسبيا، والقيام بالكثير من الدراسات الاثنوجرافية للعديد من عناصر المأثورات الشعبية،والبيانات الديموجرافية، التى تتناول التاريخ الثقافى للواحات المصرية بصورة عامة، وواحات الداخلة بصفة خاصة .

ولعل منطقة الصحراء الغربية، التى تضم فى خريطتها واحات مصر الخمس، هى أقل حظا فى التناول البحثى من الصحراء الشرقية التى تعد بوابة مصر لعبور الغزوات التاريخية، والتى اتخذت من سيناء مسرحا لمواقف الكر والفر فى الحروب . ومن هنا أتت أهمية سيناء، واستحقت أن تبذل لها جهود الباحثين والدارسين للأرض والبشر والتاريخ لسنوات طويلة، وبكثافة علمية موازية، ومستحقة .

وفى المقابل، لم تلق الواحات من الدراسات العلمية ماتستحقه، سواء من الناحية التاريخية ، أو من جانبى الأرض و البشر، حتى حينما اتجهت الحكومة المصرية إلى أرضها (فى الواحات الجنوبية الثلاث) لفتح ملف التنمية من هناك، فإنها لم تقم بعمل الدراسات اللازمة والواجبة، واكتفت بالتعامل معها جغرافيا فقط، دون دراسة

التاريخ الثقافى للمنطقة، مما كان ـ لو حدث ـ سيساعد على تفادى الكثير من المشكلات التى واجهها جهاز تعمير الصحارى، تلك العقبات التى دفعته للتراجع والانسحاب من خطة التعمير بعد عشر سنوات فقط..!! (١٩٦٢ ـ ١٩٧١) بعد فشل الخطة.

لذلك، فإن الواحات ظلت بعيدة تماما عن عيون الباحثين (المدققين) والساعين إلى الكشف عن التاريخ الثقافى لأول بقعة عاش فيها الإنسان المصرى منذ حوالى ١٨٠ ألف سنة..!!

بينما اكتفى البعض بمحاولة رصد بعض العناصر الفولكلورية (عن بعد) ولكن بلا خطوة تحليلية واحدة لما يتم رصده من عناصر، بسبب غياب المعلومات حول التاريخ الثقافى لميدان البحث.

وربما قد لايعلم الكثيرون أن هذا التميز والثراء الثقافى الذى تتسم به الواحات، انما يعود لديناميكية التاريخ فى الصحراء الغربية عبر العصور، فقد شكلت الواحات المصرية ـ على مدى تاريخها ـ حائط الصد الغربى لمصر فيما كان يطلق عليها غزوات وهجمات البدو التى لا تتوقف، منذ بدء صراع قبائل التمحو والتحنو (الليبية) فى محاولات متتالية لغزو مصر ..!!!

لذلك نرى القلاع والحصون تنتشر فى الصحراء الغربية (فرعونية ورومانية) حيث كانت تعهد فى إدارتها إلى أقوى القادة المصريين.بل أن الواحات كانت مقصدا، ومعبرا دائما لحركات الجوار مثل تيار المهدية من السودان جنوبا، والتيار السنوسى من الغرب الليبى.

ولم تكن جغرافية الواحات أقل تأثيرا من تاريخها، فقد شهدت أهم طريقين فى تاريخ مصر، الأول هو درب الأربعين الذى يربط بين مصر وافريقيا مارا بالواحات الخارجة إلى دارفور بالسودان، ثم

الطريق العرضى الذى كان يطلق عليه اسم الدرب الطويل، وهو يقطع الخريطة المصرية عرضا من ميناء (عيذاب) بالبحر الأحمر ثم إلى الواحات غربا، ومن الداخلة يتجه شمالا ليمر بالواحات البحرية ثم سيوة إلى المغرب العربى، وهو الطريق الذى يعرفه المغاربة بطريق الحج، وقد كان لهذا الطريق الأثر الأكبر فى عملية التلاقح الثقافى والبشرى بين سكان الواحات، والقبائل الأمازيغية الوافدة من الغرب، وهو شديد الوضوح فى سيوة، وعظيم الأثر فى الواحات الداخلة.

كذلك كانت للهجرات الجماعية للمسيحيين إلى الواحات، على أثر اضطهاد الرومان لهم، أثرا كبيرا لما كان يتمتع به المسيحيون من مهارة الإنتاج الزراعى والحرفى، والقدرة على خلق مجتمعات وبؤر إنتاجية (داخل الأديرة) تعتمد فى حياتها على الاكتفاء الذاتى فى كافة الجوانب.

أما على الصعيد الاقتصادى، فقد ظلت الواحات مقصدا خصبا لزراعة القمح (خاصة فى العصر الرومانى) وما شهدته هذه الحقبة من تطوير هائل لأساليب وطرق حفر الآبار الجوفية، وفى الواحات الداخلة توجد بقايا لصوامع عملاقة شيدت بالطوب اللبن، فوق هضاب مرتفعة، كانت تستخدم لحفظ محصول القمح (انظر الصور)، كذلك يذكر المؤرخون أن الواحات البحرية كانت المصدر الأهم لإنتاج النبيذ فى العصرين الفرعونى والرومانى.

من هنا، فقد رأينا أن نبذل هذه المحاولة لسد هذا الفراغ العلمى الذى يمثل نقطة البدء فيما يجب من دراسات تحليلية لعناصر المأثورات الشعبية للواحات المصرية.

وقد اشتملت الدراسة على بابين، يتعرض الباب الأول للشق التاريخى للصحراء الغربية منذ العصر المطير وتكوين بحيرة بير طرفاوى على مساحة الواحات الحالية، ثم مرحلة الجفاف التى ولدت على أثرها الواحات المتناثرة، وقد تعرضنا بعد ذلك إلى تاريخ الواحات عبر العصور التى تبدأ من العصر المطير الثانى ثم العصور الفرعونية والرومانية والمسيحية والإسلامية، ثم أفردنا الفصل الثانى من الباب الأول للحديث عن تاريخ (مملكة الواحات) لما لهذا الموضوع من أهمية تاريخية بالغة لتعرضه لمرحلة ظلت غائبة عن عيون الباحثين فى الشأن التاريخى للواحات، وكان ختام هذا الباب بالفصل الثالث الذى يعرض لدراسة تيارات التغير الثقافى فى منطقة الواحات الداخلة، قديمها وحديثها.

وفى الباب الثانى تعرضنا لدراسة أثنوجرافية ميدانية لبعض العادات والمعتقدات فى إطار يجمع بين التراث والمأثور منها، وقد تضمن الفصل الأول مواد ميدانية حول عادات الزواج، ثم عادات الطعام، ثم تأتى العادات المرتبطة بالآبار كأهم الظواهر التى تعد بمثابة البؤرة الثقافية للحياة فى الواحات عموما،وانفراد الواحات الداخلة بالتميز التاريخى فى مجال الأنشطة الخاصة بأعمال حفر الآبار وتقنياتها، ثم تناول بعض الممارسات الاعتقادية المرتبطة بالعلاج الشعبى، بعد تناول ظاهرة معتقد الأولياء فى منطقة الدراسة.

أما الفصل الثانى فيتناول العمارة التقليدية بمراحل تطورها، مع التعرض لمعامل التغير فى العمارة المحلية، واختتمنا هذا الفصل ببعض الحرف التقليدية التى تتميز بها منطقة الدراسة مثل حرفة الجريد ومنتجات خوص النخيل التى تنتشر فى معظم قرى

الواحات على وجه العموم، ثم حرفة الفخار التى تنفرد بها قرية القصر فى الواحات الداخلة، ثم التعرض لحرفة النسيج.

وقد تناولنا فى الفصل الثالث مجموعة من أشكال الأدب الشعبى فى سياقاتها المتنوعة، التى تمثلت فى أنواع الأغانى المرتبطة بالمناسبات، بالإضافة إلى بعض نصوص الموالد والحضرة (الذكر) التى تنتشر فى قرى الواحات الداخلة.

كل الرجاء فى أن تغطى هذه الدراسة جانبا بحثيا فى مجال التاريخ الثقافى للواحات ومأثوراتها الشعبية المتميزة،

متوسلون بالأمل فى توفيق الله،،،،

عبدالوهاب حنفى

شبرا- القاهرة- يولية ٢٠١١م



توزيع الواحات على الصحراء الغربية المصرية

الباب الأول

الفصل الأول

الواحات ـ عصور تاريخية

١ـ العصر المطير

قسمت الأبحاث الجيولوجية الحديثة تاريخ الصحراء الغربية المصرية في العصور المطيرة إلى عصرين، العصر المطير الأول (البليوسيني) والثاني (البلايستوسيني) والأخير هو الأخطر بشريا وحضاريا، إذ أنه شهد ظهور الإنسان لأول مرة في مصر، ويتحدد زمن العصر المطير الثاني بنحو ١٢٠ ألف سنة، وقد كانت نهايته منذ حوالي عشرة آلاف سنة مضت حين بدأ عصر الجفاف والتصحر في غرب مصر

وقد رصدت الأبحاث الجيولوجية ـ أثناء العصر المطير الثاني ـ مجموعة من البحيرات في صحراء مصر الغربية والتي كان أهمها بحيرة بير طرفاوي التي قدرت مساحتها بخمسين ألف كم٢ . ومن المعروف أن منطقة بير طرفاوي تقع جنوب الواحات الداخلة في المسافة بينها وبين منطقة جبل العوينات، كما تشير الأبحاث إلى بدء جفاف هذه البحيرة منذ حوالي عشرة آلاف سنة أي مع بداية عصر الجفاف.

وخلال العصر المطير الثانى الذى شهد التواجد الأول للإنسان فى مصر، فقد عثر على أدوات حجرية فى مناطق عديدة من الصحراء الغربية المصرية، مما يؤكد التواجد البشرى فى تجمعات واضحة على ضفاف البحيرات الكبرى القديمة فى مناطق الواحات الداخلة والخارجة وبير طرفاوى حتى منطقة جبل العوينات فى أقصى الجنوب الغربى من حدود مصر، وتدل الأدوات الحجرية التى عثر عليها مدى قدم إنسان العصر الحجرى القديم فى مصر خاصة فى جنوب غرب الصحراء والتى يقدر عمرها بحوالى من ٢٠٠ـ ١٨٠ ألف سنة وفى قرية بلاط بالواحات الداخلة عثر حديثا على بئر قديمة وحولها بقايا آلات حجرية ترجع إلى حوالى ١٥٠ ألف سنة مضت، أيضا عثر فى بير طرفاوى جنوب الواحات الداخلة على صناعة موستيرية تعود إلى ٨٠ ألف سنة.

ويفسر الدكتور جمال حمدان هذين الكشفين (باحتمال تزامن وجود إنسان بير طرفاوى مع إنسان بلاط، ومن المحتمل أن يكونا قد جاءا إلى الصحراء الغربية منذ ٧٥ ألف سنة ولعلهما من اصل واحد وانهما على أية حال أقدم إنسان وطئ أرض مصر)

ولعل من الشواهد المادية الباقية إلى الآن من ذلك العصر الحجرى فى صحراء مصر الغربية، تلك الأدوات المصنوعة من الظران وهياكل الفقاريات المتيبسة وأدوات الصيد البدائية التى يضمها المتحف الجيولوجى فى مقر مشروع فوسفات أبو طرطور بالوادى الجديد والتى عثر عليها أثناء أعمال الحفر فى أنفاق استخراج الفوسفات فى الهضبة الواقعة على طريق الواحات الخارجة / الداخلة

من جهة أخرى، تلك الرسوم الغائرة (بعمق ٣ بوصة) على الكتل الجرانيتية الضخمة فى جبل العوينات عند هضبة الجلف الكبير جنوب غرب مصر، وهى التى يحج إليها سائحو السفارى فى رحلات وعرة وقاسية بعد اجتياز معمور الواحات الداخلة والاتجاه إلى الجنوب الغربى حيث منطقة بير طرفاوى محل ميلاد الإنسان الأول على أرض مصر.

٢. عصر الجفاف وولادة الواحات

منذ حوالى سبعة آلاف سنة قبل الميلاد بدأ ـ تدريجيا ـ عصر الجفاف فى القطاع الغربى من مصر إلى أن سادت الظروف الصحراوية كل أرجاء هذا القطاع، وهنا تحتم على الإنسان والحيوان، أو لنقل غالبيتهم، الهجرة مطاردون بالجفاف، للتجمع حول الأودية النهرية التى تحسنت ظروفها من خلال صرف المستنقعات وقد احتشدت حول هذه الأودية مظاهر الحياة البشرية والحضارية الجديدة (فى وادى النيل الحالى)

ومع الجفاف التدريجى فقد بقيت البحيرات الشاسعة وسط الصحراء الغربية لعدة مئات السنين قبل أن تجف، وقد ساعد على سرعة الجفاف عاملان، الاول هو نسبة البخر التى ارتفعت مع زيادة معدل سطوع الشمس المتزامنة مع عصر الجفاف، والثانى ـ وهو الأهم لدينا ـ هو عامل التسرب الجوفى لمياه هذه البحيرات إلى باطن الأرض، ولعلنا نستطيع الادعاء بان حجم المخزون الجوفى من هذه المياه التى تسربت إلى باطن أرض الصحراء الغربية كانت ـ بصورة مؤكدة ـ هى السبب الاول والأهم من غيره فى بقاء

واستمرار الحياة فى الواحات المصرية الحالية التى تزين بقاع الصحراء الغربية رغم قسوة الطبيعة وشدة الجفاف.

وتتوقف أبحاث علماء الجيولوجيا عن تتبع حالة الصحراء الغربية فيما بعد العصر المطير، فانقطعت الدراسات عن الصحراء وهاجرت مع من هاجر إلى صعيد وادى النيل شرقا.

وكما ذكرنا فإن حلول عصر الجفاف ونهاية العصر المطير قد جاء تدريجيا، حيث بدأ منذ قرابة سبعة آلاف سنة قبل الميلاد، فى حين كانت أول علامات التأريخ للعصور الفرعونية الأولى فى الواحات قبل أربعة آلاف سنة ق.م تقريبا، بذلك تكون هناك حوالى ثلاثة آلاف سنة من تاريخ هذه الصحراء يشوبها الغموض،والعزلة المعرفية، والغياب عن التاريخ المدون.

وانطلاقا من التاريخ الموثق للعصر المطير الذى ساد هذه الأرض قبل تصحرها، وبحثا عن رؤية استنباطية (منطقية) لتفسير الغموض التاريخى الذى يعترى الثلاثة آلاف سنة التى سبقت التاريخ الفرعونى الموثق للواحات، مع الأخذ فى الاعتبار أن التاريخ الموثق - فى الغالب والأعم - هو تاريخ الحكام والأمراء والقادة وليس تاريخ البشر بصفة عامة... حيث عادة ما يكون التوثيق ماديا فى صورة معابد ومقابر ورسوم ونقوش جدارية تحكى تاريخ الصفوة... إذن ماذا عن تاريخ البشر ممن عاشوا على ضفاف بحيرة بير طرفاوى قبل وبعد جفافها..... إذن، فماذا قبل ؟؟

ولمحاولة البحث عن إجابة لهذا التساؤل، فإنه يجب علينا العودة إلى عصر الجفاف، وكما ذكرنا عن حال الصحراء الغربية مع الانتهاء التدريجى للعصر المطير والحلول - البطىء أيضا - لعصر الجفاف، كما يقول الدكتور جمال حمدان (كانت مرصعة ببحيرات

عديدة، بعضها من مقياس عظيم يقارن ببحيرة فيكتوريا أو تشاد حاليا، ومن أهم هذه البحيرات التى أمكن تحديدها بحيرة (بير طرفاوى) الواقعة جنوب الواحات الداخلة وحتى هضبة العوينات فى الجلف الكبير أقصى الخط الجنوبى الغربى للحدود المصرية، وهى البحيرة التى يقدر أن مساحتها كانت قد بلغت ٥٠ ألف كم٢. أما زمنيا فالمقدر أن هذه البحيرة ظهرت منذ ٤٠ ألف سنة، وعاشت ١٥ ألف سنة، ثم جفت مرتين، الأولى منذ ٣٥ ألف سنة، واستمر ذلك الجفاف لمدة ١٢ ألف سنة، ثم عادت إلى الوجود بعد انتهاء عصر الجفاف، وظلت موجودة حتى عشرة آلاف سنة مضت) أى حوالى سبعة آلاف سنة قبل الميلاد، قبل العصور الفرعونية بقليل...

وحول هذه المرحلة (مرحلة التحول) يذكر جيمس هنرى بريستد فى كتابه (فجر الضمير)

(.. أما ثانى مراحل العصر المطير الذى كان يسير جنبا إلى جنب مع تقدم حياة الإنسان ونعنى به عصر نضوب الماء، ذلك النضوب الذى كان ينتشر تدريجيا، فالصحارى المعروفة لنا تمام المعرفة فى هذه الأقطار لم تكن قد ظهرت بعد، إذ كان كل شمال أفريقية إقليما ذا أمطار غزيرة ونباتات وفيرة مكونا لميدان صيد نموذجى، وقد عثرت على ثلاثة قوارب نيلية لصيادى الهضبة محفورة على الصخور)

من ناحية أخرى فقد كشف الدكتور سند فورد مدير مساحة المعهد الشرقى عن أسلحة الظران التى كان يستعملها هؤلاء الصيادون مبعثرة فى أقاصى الصحراء الغربية حول قطاع

الواحات الداخلة وعلى مسافة ألف ميل أو أكثر من غرب النيل، ولا تزال هذه الآلات والأسلحة الحجرية الملقاة حيث فقدها أصحابها من آلاف السنين شاهدا صامتا على المجال الفسيح الذى كان يرتع فيه الصيادون - والأماكن التى توجد فيها تلك الأدلة الصامتة عن حياة الإنسان الغابر، هى الآن مناطق منعزلة قاحلة - يقصد منطقة الواحات)

ولعله من المنطقى إذن، القول بأن القادة والأمراء فى العصور التاريخية القديمة (العصور الحجرية وعصر الأسرات) لم يصلوا إلى مناطق خالية من البشر بصفة عامة،خاصة من هؤلاء الذين يجيدون حرف البناء والتشييد والنقوش والزخارف بصفة خاصة، وعمال الخدمات المعاونة بصفة عامة ، وبالتالى فإن التواجد البشرى والحضارى والثقافى فى مناطق الواحات المختلفة هو - بالضرورة - سابق (نسبيا) على قدوم هؤلاء القادة والحكام الفراعين ، بل يمكن الافتراض أن الباقين من البشر فى هذه المناطق منذ بدء عصر الجفاف وحتى قدوم الفراعنة هم الذين شكلوا القاعدة البشرية الأم فى التكوين والأصول السكانية للواحات المصرية.

وعلى ذلك - وفيه أيضا - تكمن الإجابة على السؤال الذى يروق للبعض طرحه، وهو : من أين قدم هؤلاء البشر الذين يعيشون فى هذه المناطق الصحراوية النائية (الواحات) ؟؟ هذا ما سوف نحاول الإجابة عليه بعد عرض المرجعيات التاريخية التى تعيننا على إمكانية التوصل إلى إجابات أقرب للمنطق .

٣ - الواحات - الجغرافيا البشرية

الواحة فى المفاهيم الجغرافية، تعنى أرضا منخفضة فى المنسوب الطبوغرافى، بدرجة يقترب فيها مستوى سطح الأرض من منسوب أقرب مستويات المياه الجوفية العذبة، مما يسمح بقيام حياة بشرية ونباتية. وقد تكونت الواحات المصرية فى عصور بدء جفاف البحيرات الشاسعة التى كانت تغطى الصحراء الغربية إبان العصر المطير الثانى.

والواحات المصرية الخمس هى (من الشمال إلى الجنوب) واحة سيوة، الواحات البحرية، واحة الفرافرة، الواحات الداخلة، الواحات الخارجة .

تقع واحة سيوة فى أقصى شمال غرب مصر وهى أقرب الواحات المصرية إلى خط الحدود مع ليبيا، وهى أحد المراكز الإدارية التابعة لمحافظة مرسى مطروح وتبعد عنها فى الاتجاه الجنوب الغربى بمسافة ٣٠٢ كم، يعتمد النشاط السكانى بها على أشجار النخيل والزيتون، والعمل السياحى، وتقوم الزراعة بها على العيون الفرعونية المتدفقة ذاتيا ، ولا توجد بها آبار، تعتمد الحرف التقليدية فيها على التسويق السياحى فقط، ويتحدث أهالى سيوة اللغة الأمازيغية كلغة أولى، ولا يتحدثون العربية إلا مع الوافدين عليهم فقط، أشهر الوقائع التاريخية المرتبطة بالواحة هى زيارة الإسكندر الأكبر لها، وقد انضمت إلى السيادة المصرية فى عهد محمد على سنة ١٨٢٠ م، تسكنها ١١ قبيلة، عشر قبائل من سكان الواحة الأصليين، بينما القبيلة الأخيرة هى بطن من قبيلة الشهيبات، من بدو أولاد على بمطروح. وتعد واحة سيوة أكثر الواحات المصرية تأثرا بالتيار الدينى السنوسى، حيث ينقسم

السكان فيها إلى نصفين، الأول يتبع الطريقة السنوسية، بينما يتبع الثانى الطريقة المدنية الشاذلية.

وتقع الواحات البحرية على مسافة ٢٠٠كم جنوب شرق سيوة، والباويطى هى المدينة العاصمة للبحرية، سميت على اسم الشيخ الباويطى (المغربى الذى مات فيها أثناء رحلته للحج) أهم واحاتها هى واحة الحارة وواحة منديشة، وواحة الحيز الزاخرة بالآثار الرومانية. تعتمد فى اقتصادها على النخيل والزيتون، وبعض الأنشطة السياحية،ولا توجد بها حرف تقليدية سوى عصر الزيتون، وهى أقرب الواحات المصرية إلى القاهرة (٣٦٠كم)، تابعة إداريا لمحافظة الجيزة.

أما واحة الفرافرة فهى تبعد عن الباويطى جنوبا بمسافة ١٨٠كم، وهى أقل الواحات اتصالا بالعالم الخارجى، ومنذ أوائل الثمانينيات من القرن الماضى، بدأت الهجرات الزراعية من قرى الوجه البحرى (كفرالشيخ والدقهلية) فى عدد من التجمعات المستحدثة على طريق الداخلة /الفرافرة، شهدت الفرافرة ازدهارا نسبيا فى العصر المسيحى والرومانى، تنتشر بها حرفة النسيج اليدوى. تتبع واحة الفرافرة محافظة الوادى الجديد.

الواحات الداخلة، وتقع جنوب شرق الفرافرة بمسافة ٣٢٠ كم، وهى أكبر الواحات المصرية من حيث التعداد السكانى وحجم النشاط الزراعى والإنتاج الحيوانى، وعدد الواحات التابعة، وانتشار الحرف التقليدية، والصنائع الخاصة بالعمارة وحفر الآبار،وهى المركز الثانى فى محافظة الوادى الجديد.

الواحات الخارجة (عاصمة الوادى الجديد) تقع شرق الواحات الداخلة بمسافة١٨٥كم، وجنوب غرب أسيوط بمسافة ٢٢٥كم، وهى أقرب الواحات إلى وسط صعيد مصر، ظلت لعصور طويلة معبرا

لمصر إلى افريقية عبر درب الأربعين، أهم الواحات التابعة لها هى باريس وبولاق وجناح، اختلطت فيها ثقافات مختلفة ومتعددة، بحكم كونها مقرا للإدارة.

٤ـ الواحات ـ التميز الثقافى

لاشك أن التميز والتفرد الثقافى الذى تتسم به الواحات المصرية هو النتاج الطبيعى لعوامل التكوين والنشأة، وتضافر عاملى الزمان والمكان فى خلق وتأليف وإبداع قصة الواحات..!!

وحينما نتخيل البانوراما التاريخية ـ التى أوردنا تفاصيلها ـ تلك التى رأينا فيها المصريين ـ وقد كانوا يعيشون آنذاك ـ فى الغرب (الصحراء الآن) وسط بيئة ممطرة، وغابات كثيفة، ومراعى غنية، ثم زراعات متواضعة، وأنشطة للصيد غير محدودة،، وفى بطء شديد، تبدأ السماء تدريجيا فى الانحراف بسيولها إلى جهة الشرق عبر آلاف السنين، فيتجه البشر إلى بوصلة المطر، بينما يبقى القليلون منهم راضون بالعيش على بقايا الزمن الأخضر، يهاجرون دوما إلى شواطئ البرك والمستنقعات التى تنحسر مياهها تدريجيا إلى الداخل، ومن عجب،، ترى الغالبية من المصريين وهم يهاجرون إلى الخارج شرقا، فإننا نرى أيضا ـ وفى ذات الوقت ـ القلة القليلة ممن يهاجرون إلى الداخل جريا وراء بقاع المياه التى تتقلص ساعة بعد أخرى،

والمهاجرون إلى الداخل، هم من شكلوا الخلية الأولى لسكان الواحات المصرية بكياناتهم الثقافية الممتدة إلى اليوم..!!

ولا يغيب عنا أن ماحدث من جفاف فى غرب مصر قد طال ـ بطبيعة الحال ـ قطاع الغرب الإفريقى قاطبة، بل أنه كان سابقا على الجفاف فى مصر، ولكن التواجد البشرى مرتفع الكثافة

للمصريين فى المنطقة الغربية قبيل الجفاف، كان دائما ما يحول دون نجاح محاولات الغزو الغربى لقبائل البربر على مصر هربا من الجفاف وسعيا للمرعى.

وحينما حل الجفاف فى الجزء المصرى، وهاجر المصريون إلى الشرق، وبقى القليلون منهم على شواطئ بحيرة بير طرفاوى، لم تجد حينئذ قبائل البربر عوائق أمام هجرتها التدريجية إلى داخل الحدود المصرية، ولكن فقط على حدودها، أى فى الواحات..!!

جدير بالذكر أن قبائل البربر(الأمازيغ) ليسوا عربا وإنما هم يشكلون حضارة مختلفة تماما عن القبائل العربية، فالبربر يجيدون الزراعة والحرف المرتبطة بها، يتسمون بثقافة الاستقرار وليس الترحال. ولعل من أهم الفوارق الثقافية بين البربر وبدو العرب هو أن البربر يخالطون وينصهرون ويتزاوجون من غيرهم، على عكس البدو العرب، وهو ما يتضح جليا بصورة كاملة فى الواحات عموما، وفى واحة سيوة بصفة خاصة.

من هنا كان التوافق الثقافى المرن بين عناصر هذا الخليط البشرى الذى امتزجت فيه الدماء المصرية بالأخرى الأمازيغية (البربرية) فى بوتقة (الواحات)

لذلك فقد ظلت طرق الربط الجغرافى والثقافى بين الغرب الإفريقى من ناحية، والواحات المصرية من ناحية أخرى شديدة الأثر بأكثر من غيرها، كما نرى فيما كتبه المؤرخون حول الواحات ودورها البارز فى لعب دور الوصل بين مصر والشرق العربى من ناحية، وبين منطقة الغرب الإفريقى من الناحية الأخرى.

أنثروبولوجيا الواحات

يدلى الدكتور جمال حمدان بدلوه فى هذا الأمر ويقول عن الجانب الانثروبولوجى لسكان الصحراء الغربية:

(تنقسم الصحراء الغربية إلى منطقتين: الواحات فى الجنوب والساحل فى الشمال، والفارق الأنثروبولوجى بينهما طريف، فالأولى خلت تقليديا من أى تأثير متوسطى آسيوى المصدر، أى سامى من عرب الجزيرة أو المشرق، بمعنى أن أثر العنصر العربى فى مصر لم يصل تقريبا إلى واحات مصر الغربية، هذا فى حين أن المنطقة الثانية عربية المصدر تماما، ومن الناحية الأخرى فلا عبرة بالتساؤل القديم عما إذا كان سكان الواحات أصلا مصريين أو ليبيين أيام الفراعنة، إذ من الثابت أنهم كانوا مصريين تماما)

ولكن الدكتور حمدان يعود فيقول :

(ويمكن القول بعد هذا على الفور بأن الواحات، التى تتباعد منتشرة على مساحة شاسعة، هى اثنولوجيا شركة بأسهم وبنسب متفاوتة بين ثلاثة مؤثرات أساسية :

مصرية من الشرق، بربرية من الغرب، وزنجية من الجنوب،،، وبحسب موقع كل واحة يتحدد توازن الشد والجذب بين هذه القوى

الثلاث، فأقربها إلى النيل اكثرها مصرية، وأبعدها عنه أكثرها بربرية، وأكثرها جنوبية أكثرها زنجية)

ويقصد الدكتور حمدان هنا الواحات الخارجة فى الأولى، وواحة سيوة فى الثانية، وواحة باريس فى الثالثة،،، ونحن نرى أن هذا التصنيف يأخذ صفة العمومية الإيجابية بدرجة ما.

وتقول الدراسات الأنثروبولوجية عن مسألة الأصول السكانية للمجتمعات وعوامل التأثير فى تكوينها، أن هناك أكثر من عامل من الممكن أن يسهم فى الحركة السكانية، إما جذبا، أو طردا. وتتخذ هذه العوامل ثلاثة أشكال، الأولى هى الهجرات الجماعية، والثانية هى الغزوات، والثالثة هى التسرب.

وإذا ما حاولنا تطبيق هذه الدالات الثلاث على التكوين السكانى للواحات إضافة إلى ما أوردناه فى حديثنا عن (عصر الجفاف فى الصحراء الغربية) فإننا نستطيع وضع أيدينا على مدخل الدراسة المنشودة، بهدف التوصل إلى النتائج فى سياق أقرب إلى الموضوعية.

أولا : لا جدال فى أن نواة بشرية (أصيلة) ظلت تتمحور حول البحيرات التى خلفت العصر المطير فى الصحراء الغربية، وهى ما أشار إليها (سند فورد) فى حديثه عن حرفة الصيد وبقايا القوارب التى عثر عليها، واستئناس الحيوانات البرية، والبدء فى تطويع النباتات البرية للزراعة، من أجل الطعام، والاستدلال على تلك الفترة التاريخية، وبالتأكيد، كان هؤلاء هم من شكلوا النواة الأولى لمجتمعات الواحات داخل الصحراء، ومن الطبيعى أنهم هم أيضا من حاولوا تطويع حركة مياه عيون الماء، بعد جفاف البحيرات فى رحلة

صراع مع الحياة فى ظل الهجوم المتدرج لجفاف البحيرات وانحسار المياه، وانحصارها فى مجرد العيون الجوفية.

ومن الطبيعى، والمنطقى أيضا، أن واحات مصر الخمس الحالية، لم تكن سوى خمس بحيرات، تحولت مع عصر الجفاف إلى خمسة منخفضات، حول كل منها جماعة من البشر الذين تأقلموا مع الطبيعة المتاحة وتكيفوا مع معطيات البيئة المحيطة لتلبية احتياجاتهم، ومن الطبيعى - أيضا - اعتبار هذه الجماعات التى عاشت منذ عشرات الآلاف من السنين فى هذه المناطق هم بمثابة الجماعات (التأسيسية) لمجتمعات الواحات.

ثانيا : ظلت هذه الجماعات - شأن غيرها - تتأثر بعوامل الحركة السكانية الطبيعية التى تتعرض لها المجتمعات على مدى تاريخها.

ارتفاع المنحنى السكانى للواحات

يأتى العصر الرومانى، بما فيه البطلمى والبيزنطى (٣٣٢ق م - ٦٣٨م)، الذى يمكن أن نطلق عليه - بصدق - العصر الذهبى للواحات، فهى لم تشهد ازدهارا فائق المستوى على مدى تاريخها الطويل، أكثر مما شهدته فى المرحلة الرومانية، وليس من قبيل المبالغة، القول بأنه حتى مساوئ الرومان، قد عادت على الواحات بالخير، كما سنرى..!!

وقد شهد ترمومتر الحراك السكانى فى الواحات خلال العصر الرومانى أوج عظمته، وأعلى درجاته فى التاريخ القديم والحديث معا ..!!

وقد اختلف المؤرخون حول تقدير التعداد السكانى للواحات فى هذا العصر، فمنهم من قدره بثمانية ملايين نسمة، ومنهم من هبط بهذا الرقم إلى مليونى نسمة..!! ونعتقد أن تلك التقديرات كانت ترتكن إلى حجم ما كان يخرج من الواحات من كميات هائلة من القمح والمحاصيل الأخرى، والتى كان يتم تصديرها إلى أوروبا (شمال البحر المتوسط) عن طريق سواحل المغرب العربى، وبالتالى فقد أمكن تقدير أعداد الأيدى العاملة فى هذه الزراعات الشاسعة، فضلا عن العمالة المطلوبة لحفر تلك الشبكة العنكبوتية من الآبار التى غطت ملايين الأفدنة بمياه الرى اللازمة.

ومن الثابت تاريخيا، تلك الحروب المتبادلة بين الجيوش الرومانية، والأمازيغ (البربر) وبالمناسبة فإن الرومان كانوا يطلقون لفظ (بربر) على كل من لا يتحدث لغتهم، وقد كانت الصحراء المغربية (شمال افريقيا) هى موطن هؤلاء الأمازيغ، وهى المنطقة التى تفصل بين الواحات من الجنوب، وموانئ البحر المتوسط من الشمال، بما يمكن أن يسد طريق تصدير المحاصيل إلى أوروبا. فى حالة تمركز الأمازيغ أعداء الرومان وسيطرتهم عليها، مما دفع الرومان إلى محاولات (عسكرية) نجحت بعضها فى طرد الأمازيغ جنوبا من الشمال الإفريقى إلى صحارى الواحات المصرية، فكانت هى نطفة التلاقح الأولى بين جنس الواحات من ناحية، والجنس الأمازيغى من الناحية الأخرى، خاصة وأن القبائل الأمازيغية تتميز عن القبائل العربية (البدوية) فى قابليتها للانصهار الاجتماعى مع الجماعات المستقرة التى تعمل فى مجال الزراعة، فضلا عن ذلك التشابه البيئى بين الشمال الإفريقى، وبين الواحات الجنوبية، فالأمازيغ يعيشون فى الصحراء الليبية التى تعتمد الحياة فيها على مياه الآبار، ويزرعون النخيل والمحاصيل الموسمية، وهى ذات الطبيعة البيئية للواحات.

ولعل من أهم العناصر الثقافية التى يمكن التقاطها كأدلة على انصهار الثقافتين (الواحية المستقرة، مع الأمازيغية الوافدة) نذكر منها بداية من واحة سيوة، ذلك المثل الصارخ على ما ندعيه، حيث أبناء المجتمع السيوى يتحدثون الأمازيغية فيما بينهم حتى الآن، ولا يتحدثون العربية الا مع الوافد عليهم..!! حيث من المعروف أن واحة سيوة لم تنضم إلى الخارطة المصرية الا فى عام ١٨٢٠ فى عصر محمد على..

١- انتشار العديد من الألفاظ اللغوية المشتركة،مثل كلمة (مسطاح) التى تنتشر فى كل الواحات، ما عدا الخارجة، وهى لفظة أمازيغية تعنى المكان المفتوح، وكذلك أسماء قوشتى، سفينة، المجادش،كذلك رحومة ورزوقة وحمودة، تطلق على عبد الرحمن وعبد الرازق ومحمد،

٢- تشابه أسماء القرى بين موطن الأمازيغ فى الشمال الإفريقى، والواحات الداخلة تحديدا، مثل الداخلة (المغربية) والجديدة، وسلة، والشيخ وإلى...الخ

٣- التشابه الواضح فى نمط العمارة الشعبية بينهما خاصة فى ظاهرة انتشار (السقيفة) التى تعنى الأجزاء المسقوفة من الشوارع.

٤- لفظة (بو فلان) بمعنى أبو فلان، فهى تنتشر فى الواحات الداخلة متفقة فى ذلك مع سكان الغرب الأمازيغ.

٥ - أسماء بعض المشايخ الأمازيغ، ممن توقفوا واستقر بهم الحال فى الواحات أثناء رحلاتهم للحج عن طريقها، مثل الشيخ الباويطى الذى تحمل اسمه عاصمة الواحات البحرية، والشيخ المغربى، الذى ظل ضريحه قائما فى درب الغبارى (عند علامة

الكيلومتر ١٢٠) على طريق السفر من الداخلة إلى الخارجة، والذى يعتقد الناس هنا أن من كراماته سقوط طائرتين انجليزية وأسترالية،فى أوائل القرن العشرين، أثناء مطاردة الإنجليز للجيش السنوسى فى محاولته الشهيرة لغزو الداخلة (١٩١٥-١٩١٦)

تلك من الشواهد على تلاقح الثقافتين معا عبر تاريخ العصر الرومانى الذى شهدت الواحات خلاله نهضة اقتصادية (عالمية)

وهنا، نذكر أسرة (آل عبدون) وهم من أمازيغ قبيلة لواتة، حكام مملكة الواحات، منذ أوائل العصر الرومانى حتى قرابة ثلاثة قرون بعد الاسلام.

لذلك، نستطيع أن نعد حركة سكان الأمازيغ من شمال غرب الصحراء إلى جنوبها فى الواحات، كانت من الهجرات الجماعية التاريخية التى أسهمت بصورة واضحة وجلية فى التكوين / التركيب السكانى للواحات

على الجانب الآخر، نجد ذلك التاريخ الطويل من حركات الاضطهاد الرومانى لمسيحيى مصر فى وادى النيل ونفى العديد منهم إلى الصحراء الغربية، فكانت تلك هى ثانى حركات الهجرة الجماعية إلى الواحات، ونرى كيف تحكى مقابر البجوات (القبوات) بالخارجة، تلك التى تضم ١٦٩ كنيسة، مقدار وحجم أعداد من كان يعيش من الأقباط الذين هاجروا من وادى النيل إلى الواحات، كذلك ما يحكى عن الفرافرة التى كانت تكتظ بأعداد هائلة منهم، وفى الواحات البحرية، نجد فى واحة الحيز العديد من الكنائس التى ظلت إلى الآن قائمة (ضمن الآثار)، شاهدة على عصر من الازدهار الاقتصادى الذى أسهم فيه الأقباط المهاجرون إلى

الواحات جراء بطش الرومان بهم، خاصة أنهم كانوا من فلاحى وادى النيل قبل هجرتهم إلى الصحراء، وحرى بالذكر، تلك الأعداد الهائلة من أولئك الأقباط ممن أجبروا على الهجرة إلى الواحات هربا من الاضطهاد الرومانى ، وكانت تلك هى ثانى الهجرات الجماعية التى أسهمت بدرجة كبيرة فى التوليفة السكانية للواحات فى مراحل تضخمها .

الهبوط الحاد للمنحنى السكانى

بعد سكنى الملايين للواحات، وفى صورة مفاجئة وحادة، هبط المنحنى السكانى مع بداية دخول الحكم العربى إلى مصر...!!!

وتدل الوثائق على الإهمال الشديد للآبار، وبالتالى الزراعات، مع نهاية العصر الرومانى وبداية الحكم العربى لمصر، وقد تمحورت زمرة الحكم فى أحضان وادى النيل، فلم يكن للواحات من نصيب يذكر، اللهم إلا سعى بعض بطون القبائل العربية للسيطرة على طرق السفر (دربى الأربعين، والطويل) لتحصيل المكوس (الضرائب) على حركة السفر والبضائع الصادرة والواردة، مقابل حماية القوافل..!!

تقلصت الواحات اجتماعيا واقتصاديا، وصارت تنازع الروح من أجل إنتاج البلح، والنذر اليسير من الأقماح والمحاصيل التى تكفى بالكاد لسد رمق الحفنة الضئيلة من السكان الباقين، ومنها - أيضا - تدفع الضرائب لحكام مملكة الواحات (آل عبدون)

وهنا شهدت الواحات اضمحلالا بشريا غير مسبوق، وهجرات إلى وادى النيل، سعيا وراء الرزق، وقد ظلت تلك المرحلة لقرابة ثمانية قرون، إلى أن طال الجفاف منطقة الشمال الإفريقى، مما بدأت معه حركات التسرب البشرية البطيئة من القبائل الأمازيغية

إلى الواحات مرة أخرى، ولكنها كانت تسربات متواضعة الحجم، بل أن هدفها كان يتلخص فى الانضمام إلى زمرة العاملين التابعين لحكام الواحات، وممارسة بعض أعمال التجارة والصنائع التى لا يجيدها الواحيون أساسا..!!

ومرحليا، استقرت بعض بطون القبائل العربية التى كانت تحمى طرق القوافل فى مناطق مداخل ومخارج هذه الدروب، وأقاموا حلات عمرانية، كان منها فى الداخلة قرية تنيدة، ثم المعصرة فى الشرق، والراشدة فى الشمال.

ثم لايفوتنا هنا الإشارة إلى وفود بعض الهجرات (العائلية) المحدودة إلى الواحات الداخلة مثل (بدو الدينارية) الذين وفدوا من أم دينار، من نواحى الجيزة، واستقر بهم الحال فى قرية القصر، حتى صاروا عصبة اجتماعية، وقد اشتهروا - شأن البدو - بنظم الشعر وفصاحة اللسان.

كذلك بعض بطون العائلات الوافدة من الصعيد الأوسط مثل بنى عدى، والغنايم فى موط وهى عائلة تحمل اسم الغنايم، وفدت للعمل فى التجارة خاصة الأقمشة ، ومن وادى حلفا فى الجنوب مثل عائلة حلفاوى ومهران والحمور فى موط، ومن اسطنبول بتركيا، مثل عائلات غيطاس وطنبور والكاشف والطيب فى قرية القلمون، وعائلة حسن (بك) التركى الذى عمل جابيا للضرائب فى عصر الاحتلال الإنجليزى لمصر، وقد كان متزوجا من فرنسية تدعى (السنيورة) ، دفنت بعد وفاتها فى مبنى الورشة، فى ميدان موط، وأحفاد حسن بك هم عائلة رياض الحالية، وقد شيدت له مقبرة (ذات قبة) قائمة إلى الآن فوق هضبة عين الحمام.

وفى نظرة عامة للعائلات المكونة للتركيب السكانى فى الداخلة، طبقا لتوزيعها على بلدان المركز، ننقل بعضا مما ذكره الدكتور عبدالمنعم حنفى فى كتابه (الوادى الجديد - التاريخ والجغرافيا):

فى موط (العاصمة الحالية) عائلات الفرارحة، والشواعرة، والحواوزة. فى بلاط، عائلة الخطابية .

فى القلمون، عائلات القطورى، والكاشف، والشاهد، وطنبور وغيطاس، والباشا، وجميعها وافدة من تركيا

فى القصر، عائلات القرشية، الوافدة من الجزيرة العربية، والسنوسية، وفدت من ليبيا، ثم الدينارية، الوافدة من أم دينار بالجيزة.

وفى الراشدة، وتعود تسميتها إلى قبيلة الرشايدة العربية التى تنتشر بطونها فى معظم مناطق الصعيد، وبها عائلات الحوافظ، والعبودية .والمعصرة، عائلات السويفية، والخناجرة، والعلالشة.

قرية تنيدة، وأكبر عائلاتها هى أولاد منصور،

قريد بدخلو، وأشهر عائلاتها هى أبو الياس، الوافدة من أسيوط. ومنذ ما يزيد على القرن، لم تشهد الواحات تحركات سكانية جاذبة وملحوظة، سوى تلك التى أتت متواضعة فى أحجامها، التى تمثلت فى الهجرة الوافدة والمصاحبة لمشروع تعمير الصحارى خاصة من العمالة الفنية وموظفى الإدارة، من الذين آثروا البقاء فى الواحات، بعد انسحاب المشروع، كذلك بعض التسريبات السكانية الوافدة، التى أتت للعمل فى مجالات الأمن، والتعليم، ومشايخ الدعوة، ممن استقربهم الحال، والانصهار فى التشكيلة السكانية.

الـواحات الـداخلة

النموذج الثقافى

وتمثل دراستنا هذه الحلقة الأولى فى موضوع التاريخ الثقافى للواحات، نتناول من خلالها الواحات الداخلة، والتى نختارها كنقطة البداية للدراسة لعدة مبررات، منها :

١- أنها أكبر الواحات من حيث التعداد السكانى الذى يبلغ حوالى ٩٠ ألف نسمة (تعداد ٢٠٠٨)

٢ - تميزها عن غيرها من الواحات الأخرى فى وفرة وانتشار النشاط الزراعى (المستقر) القائم على الآبار الجوفية، فهى الواحات الوحيدة التى تزرع محاصيل القمح والأرز والخضر والفواكه، وتصدر كميات كبيرة من إنتاج الأبقار والماعز لوفرة الأعلاف والمراعى.

٣- انتشار ممارسة الحرف التقليدية القائمة على منتجات النخيل، والمحافظة على وظيفة هذه المنتجات فى الحياة اليومية، فضلا

عن شهرتها فى حرفية حفر الآبار وصنائعها، وتصديرها للواحات الأخرى.

٤- تضم الواحات الداخلة العديد من الواحات التابعة التى تصل إلى أكثر من ٣٢ واحة تتمايز فيما بينها فى عناصر ثقافية عديدة، بسبب تعدد الأصول العرقية لهذه التجمعات القديمة، فضلا عن تباعدها الجغرافى فيما بينها.

٥- ظلت الواحات الداخلة عاصمة للصحراء الغربية ومقرا للإدارة والحكم، منذ العصور الفرعونية وحتى أواخر عصر محمد على،.

٦- تمثل الواحات الداخلة - تاريخيا - موقع المفصل، على طريق درب الطويل، الذى ظل يربط بين الجزيرة العربية ومصر وافريقيا والمغرب العربى متقاطعا مع خط درب الأربعين ، خاصة فى طريق حج وتجارة المغاربة.

٧- نجاحها فى صد العديد من الغزوات العسكرية والثقافية التى داهمتها سواء من الجنوب (الغزو النوبى) أو من الغرب (الغزو السنوسى) مما يمثل - فى رأينا - صلابة فى مكونات الشخصية الثقافية لدى الجماعة المحلية.

التوزيع العمرانى للواحات الداخلة

والواحات الداخلة، هى مجموعة من التجمعات البشرية المتناثرة على ضلعى زاوية منفرجة على مسافة تقارب المائة كيلومتر، مركز زاويتها هى مدينة موط، ويمتد ضلعها الأول فى الاتجاه الشرقى، على طريق الداخلة / الخارجة، بينما يمتد الضلع السكانى الآخر

إلى اتجاه الشمال الغربى ، على طريق الداخلة / الفرافرة، لذلك يمكن تقسيم الوحدات العمرانية فى الداخلة إلى شرقية، وشمالية.

أولا : الواحات الشرقية، (من الشرق إلى الغرب)

١- تنيدة، (٤٥٠٠نسمة) وهى أول الواحات الداخلة على طريق المسافر من الخارجة إلى الداخلة، وهى قرية تغلب عليها الثقافة البدوية المستقرة، حيث تتبعها مجموعة من التجمعات المنتشرة على مسافات متباعدة، حيث يقتصر التجمع الواحد فيها - أحيانا - على عائلة واحدة، وتشهد العادات والتقاليد المتميزة فى تنيدة بتفردها فى العديد منها، مثل احتفالية (الشوار) التى يتجمع فيها أهل القرية فى ميدان فسيح لإعلان الزواج (الإشهار) وهى بديلة عن احتفالية (الفاتحة) فى باقى القرى.كذلك فإن تنيدة ليست من الواحات التى شيدت - قديما - فوق ربوة مرتفعة شأن باقى القرى القديمة، وهو مافرض نمطا عمرانيا مغايرا عن باقى الواحات التقليدية، وذلك بسيادة الطابق الواحد، وتلك - فى رأينا - من دالات حداثتها عن العصور القديمة.وتقع القرية على بوابة الطريق الذى كان يربط بين الواحات الداخلة وبين منفلوط بوادى النيل، ونعتقد - طبقا لدراسات الدكتور سليمان حزين - أن الأصول السكانية لهذه القرية ترجع فى الغالب إلى المجموعات البدوية التى تجمعت بهدف الإشراف والخدمة على بوابة هذا الطريق (إلى منفلوط) الذى توقف منذ تحول مركز العاصمة من الداخلة إلى الخارجة.

٢- بلاط، (٦٠٠٠نسمة) وهى مدينة بالغة القدم، يعود تاريخها الموثق إلى العصور الفرعونية (الأسرة ١٨) ثم شهدت بلاط

تطورا اقتصاديا ملحوظا فى العصر الرومانى بازدياد مساحات الأرض المنزرعة بالقمح، وعدد الآبار، وزيادة التجمعات العمرانية المحيطة بهذه الزراعات، تحولت بلاط - إداريا - من قرية إلى مركز منذ حوالى خمس سنوات نظرا لاتساع حجمها السكانى نظرا لكثرة التجمعات التابعة.ولعل أهم توابع مدينة بلاط تلك الواحة ذات الحلقات التاريخية الحية والمتتابعة عبر العصور، وهى واحة البشندى التى تقع فى شمال شرق بلاط التى تعد أهم توابعها ذات الشهرة السياحية، سواء فى الآثار، أو فى الحرف التقليدية وخاصة النسيج .

٣- أسمنت، (٤٠٠٠نسمة) وهى تقع غرب مدينة بلاط بمسافة تقارب ٢٠كم، وقد اكتشفت بها عدة مقابر أطلق عليها (أسمنت الخراب) يعود تاريخها إلى العصر البيزنطى، (٣٢٣ - ٦٤٠م) وقد تم اكتشافها عام ١٩٨٦م.

٤- المعصرة،(٤٠٠٠ نسمة) وتقع غرب قرية أسمنت بمسافة كيلومترين فقط، وهى من القرى التى نعتقد أن تاريخها يبدأ مع وفود بعض بطون القبائل العربية إلى الواحات، حيث نمط العمارة التقليدية ذات الطابق الواحد كان هو السائد إلى فترة قريبة، كذلك نمط النشاط الزراعى الذى يركز على الزراعات سريعة العائد دون محاصيل الحبوب. على أطرافها يعيش بعض البدو ممن يطلق عليهم (المشارقة) مايعنى انتسابهم إلى الشرق، أى الجزيرة العربية.

٥ - الشيخ وإلى، (٣٠٠٠ نسمة) وهى من القرى المصدرة للعمالة إلى القاهرة (فى مجال جمع وتجارة القمامة، وحرفة بيع الفول المدمس).

٦ـ مدينة موط ، العاصمة الإدارية لمركز الداخلة (٢٣٠٠٠ نسمة) وهى مدينة قديمة يعود تاريخها إلى العصور الفرعونية الأولى، أخذت اسمها من اسم زوجة الإله آمون (MUT) أقيمت المدينة القديمة فوق أطلال معبد فرعونى كبير، كانت عاصمة لمملكة (موريتانا الواحات) التى قامت قبل وبعد الإسلام، ظلت تتبادل دور العاصمة مع بلاط والقصر والقلمون، وتضم حاليا كافة الإدارات الحكومية، وهى المركز التجارى الأكبر فى المنطقة.

ثانيا : الواحات الشمالية :

٧ ـ الهنداو، (٤٠٠٠ نسمة) وهى أقرب القرى شمال مدينة موط بحوالى ٦كم، يعتقد أنها ليست من القرى القديمة.

٨ ـ العوينة، (٢٥٠٠ نسمة) تقع شمال قرية الهنداو بمسافة كيلومترين.

٩ ـ الراشدة، (٦٠٠٠ نسمة) ويرجع اسمها إلى قبيلة (الرشايدة) التى وفدت من الجزيرة العربية، وتنتشر بطونها فى صعيد مصر، وتقع القرية فى حضن هضبة (أدمنستون) وليست من القرى القديمة،اشتهرت الراشدة على مدى تاريخها بانتاج الفواكه بأنواعها، يعيش على أطرافها من يطلق عليهم (عرب الدهوس) وهم ينتمون أيضا إلى قبيلة الرشايدة الوافدة (حديثا) من الجزيرة العربية، ولم تنصهر مع سكان قرية الراشدة، وفضلت الحياة على أطراف القرية،فى نمط البداوة وثقافتها المعروفة، ويعمل عرب الدهوس حاليا فى الأنشطة السياحية (السفارى) وقص الأثر (البحث عن التائهين فى الصحارى) لخبرتهم الطويلة فى الطرق الصحراوية.

١٠ـ بدخلو، (٢٥٠٠نسمة) يقال أنها سميت بذلك الاسم نسبة إلى (بيت خال الحاكم) وإن كنا لا نميل إلى هذا التفسير، وهى قرية خالية مما يميزها عن غيرها.

١١ ـ القلمون، (٢٥٠٠نسمة) وهى من القرى ذات التاريخ القديم، كانت مقرا للحكم إبان العصر التركى، تشهد الأصول السكانية فيها ـ حتى الآن ـ تقسيم القرية إلى (سيهات) وهم من الأصل التركى، وفلاحين، من السكان الأصليين، كانت القلمون ـ فى عصر ازدهارها ـ مصدرا لكل الصنائع التى تحتاجها الواحات، مثل فنيى الآبار، والنجارين، والحدادين، وهى أول قرية تشهد سواقى المياه التى تدير طواحين الغلال (بأسلوب التوربينات) وقد كانت فيما مضى من أكبر القرى التى يهاجر أهلها إلى العواصم طلبا للعلم.

١٢ـ الجديدة (٤٥٠٠ نسمة) وهى من القرى الحديثة التى تشتهر بإنتاج الفاكهة

١٣ـ الموشية (٣٠٠٠نسمة) من القرى القديمة، تشتهر بإنتاج أجود أنواع البلح.

١٤ـ عزب القصر (٣٠٠٠نسمة) وتعود نشأتها إلى عصر ازدهار قرية القصر، حيث كانت أراضى عزب القصر هى من أملاك الحكام فى القصر، وتتبعها (قرية الجيزة) كتابع لها.

١٥ـ القصر (٥٥٠٠نسمة) وهى من الواحات التى شهدت عصرا من الازدهار حال كونها مقرا للحكم فى العصر الأيوبى، وبها مدينة القصر المتكاملة (معماريا) بآثارها الباقية حتى الآن، والتى تختلط فيها فنون العمارة الإسلامية الوافدة، مع العمارة التقليدية للواحات (وهو ما سنتعرض له تفصيلا فى باب العمارة

التقليدية وتأتى صناعة الخوص فى مقدمة الصناعات التقليدية التى تتميز فى القصر بنوعياتها الخاصة، كذلك تنفرد القصر بحرفة الفخار، والحدادة البلدية.

١٦ ـ الموهوب (١١٠٠٠نسمة) ومعظم سكانها من المهجرين منذ ستينيات القرن الماضى بهدف الزراعة، و (الموهوب) هو اسم أول من استقبل الحملة السنوسية على الواحات الداخلة القادمة من الغرب الليبى.

وتلك هى بلدان الواحات الداخلة فى وضعها الراهن، غير ما سوف نراه من ذكر لبلدان غيرها كانت قائمة فى عصر (مملكة الواحات) ،التى كان يحكمها آل عبدون قبل وبعد الإسلام، حسبما ذكره المؤرخون العرب، ومنها ما يحمل ـ حاليا ـ أسماء لمناطق زراعية، غير سكنية، مثل (أفطيمة، وعنقيش).

العصر الفرعونى

كانت الواحات الداخلة تسمى تس تس (بكسر التاء وتسكين السين) فى العصور الفرعونية، وهى تعنى (اقطع، اقطع) وكان يرمز اليها بسكينين متجاورين، للإشارة إلى قطع الأرض أو شقها وحفرها على هيئة عيون، لذلك ظلت الواحات الداخلة الفرعونية عاصمة للصحراء الغربية منذ العصور القديمة وحتى منتصف القرن التاسع عشر، ولعل من أهم الكشوف الأثرية التى تمت فى الداخلة على يد عالم الآثار الدكتور أحمد فخرى، تلك المدينة الفرعونية القديمة التى اكتشفها قرب قرية بلاط، وهى مدينة متكاملة يحيطها سور طوله ٢٠٠متر وعرضه ١٥٠ مترًا، وتضم المدينة بعض المقابر التى عثر بها على بعض لوحات تؤرخ لحكام الصحراء الغربية، وقد أمكن التعرف على بعضهم ممن يعود حكمهم إلى الأسرة الثامنة عشرة أى إلى حوإلى ١٤٠٠ سنة ق م، كذلك عثر على لوحات أخرى لأسماء حكام الصحراء من الأسرة السادسة (٤٠٠٠ ق م فى الدولة القديمة على عهد الملك بيبى الأول) وكان مؤسس الأسرة الحاكمة فى الصحراء هو (ايما بيبى)

وفى منطقة بلاط أيضا تم العثور على معبد (موط) فى قرية البشندى، حيث يقول الدكتور لطفى عبدالوهاب عنه أنه من

المحتمل أن يكون قد تم بناؤه إبان حكم الأسرة الثامنة عشرة ثم أعيد ترميمه فى عهد رمسيس التاسع.

أما عن الحياة الاقتصادية، فلا تترك لنا العصور الفرعونية للواحات الداخلة سوى تلك العيون المائية التى وصل عددها حتى عام ١٩٥٦ إلى قرابة الألف، مما يدل على غزارة انتاج المياه التى تقوم عليها الأنشطة الزراعية الكثيفة، والتى ازدهرت بصورة فائقة خلال العصر الرومانى...

العصر الرومانى

لعلنا نجد فى انتشار النسبة الأكبر من الآثار الرومانية فى الواحات، دليلا حيا وموثقا على خصوبة هذا العصر فى كافة مناحيه المادية والبشرية، وقد أيد عديد من المؤرخين العرب حالة الرخاء هذه، خاصة أولئك المعاصرون لحكم (نيودو سياس الثانى ٤٠٨ ـ ٤٥٠ بعد الميلاد) فقالوا عنها :

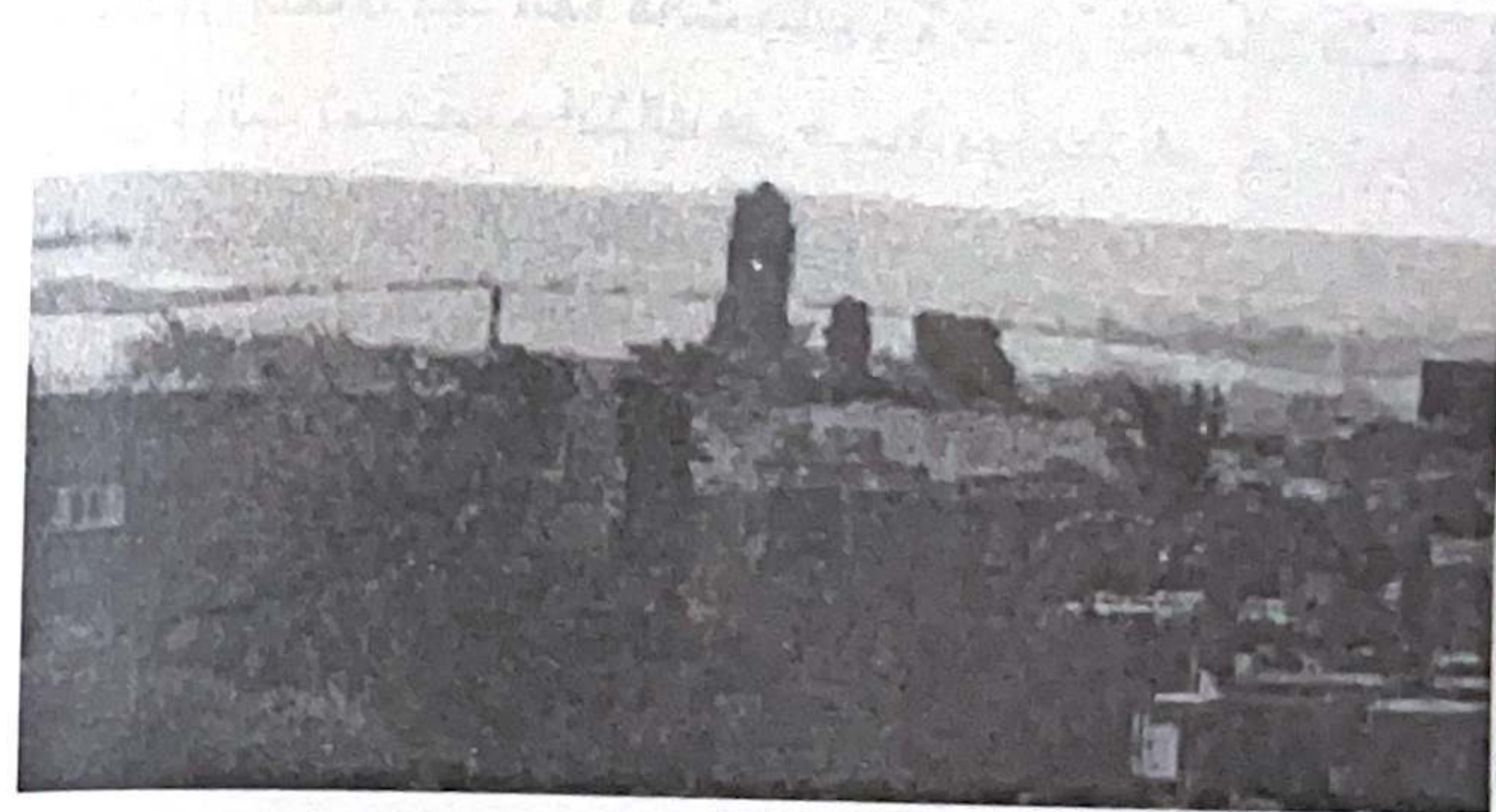
" يجرى ماؤها على سطح الأرض من عمق يتراوح بين ٥١٥ و ٨٥٨ قدما، نظرا لكثرة المياه وصلاحية الأرض فى ذلك الوقت، فقد كان الشعير يزرع فى دورتين فى العام، كما كانت تزرع الذرة ثلاث مرات، وقد كانت الأرض تروى فى اليوم الثالث صيفا، وفى اليوم السادس شتاء، كما أنها كانت مشهورة بصنع الساعات الشمسية (التى كانت تستخدم آنذاك فى ضبط مواعيد استحقاق الفلاح للحصول على مياه الرى أثناء النهار)

ولعل (آثار) الآبار الرومانية الباقية والمنتشرة فى الواحات، والمناطق الزراعية الواسعة المحيطة بها، خير دليل على صدق هذه الإشارات التاريخية.

وقد كنا ـ فى خمسينيات وستينيات القرن الماضى ـ نرى مساحات شاسعة من الأراضى بها بقايا جذور محاصيل الأرز

والقمح بعد الحصاد، فى مناطق تبعد عن الكتل العمرانية بعشرات الكيلومترات، وكانت لاتزال تحتفظ بجسورها وأحواضها طبقا لتقسيم الأرض الزراعية آنذاك - كما لو كانت مزارع تركت منذ سنوات قريبة -!! وما كنا نراه هذا لا يشكل سوى البقية الباقية من المناطق الزراعية التى سلمت من هجوم الرياح الموسمية المحملة بالرمال السافية.

من خلال رؤية هذه البقايا من الأراضى الزراعية البالغة القدم، ندرك ما كانت عليه حالة ذلك العصر من تقدم مبهر فى طرق اختيار نقاط حفر الآبار، وأساليب الحفر، وضمان عدم تأثر بئر بأخرى فى منسوب وحجم تدفق المياه. ومن المعروف أن العصر الرومانى قد تداخل - زمنيا - مع العصر المسيحى، مما يصعب معه تحديد الأطر الزمنية الصارمة لكل عصر منهما، وهو ما ينطبق بصورة جلية على مثال التأريخ للواحات، حيث شهدت أرضها جولات من الكر والفر بين الرومان من ناحية، ومسيحيى الواحات من ناحية أخرى، وهى المرحلة التى شهدت بدايات التدهور والاضمحلال الحضارى فى الواحات..!!!



بقايا صوامع غلال من العصر الرومانى (موط - الواحات الداخلة)

بدأت نذر الخطر تدق أبواب الواحات منذ القرن الخامس الميلادى، مع بدء غارات القبائل الصحراوية البربرية (الأمازيغ) مثل قبائل البيميز التى أتت من نسل قبائل البشارية والعبابدة (التى تتمركز حاليا فى المنطقة الواقعة بين شرق أسوان وساحل البحر الأحمر فى مثلث حلايب وشلاتين)

وعلى أثر هذه الغارات المتتالية على الواحات، قامت السلطات الرومانية بسحب الحاميات الحدودية من الواحات، وقد كان لذلك الأثر المباشر فى هجرة المسيحيين المقيمين فى الواحات بشكل مفاجئ غير متدرج، وهو ما أحدث فراغا بشريا واقتصاديا شديدا بالمنطقة، وقد ترك المسيحيون فى الواحات مدينة كاملة تضم ١٦٩ كنيسة، منها كنيسة الخروج أقدم كنائس العالم.

وقد لقى الكثير من سكان الواحات حتفهم جراء الهجمات التى كانت تشنها قبائل البيميز ، كذلك استولت هذه القبائل على العديد من الأهالى كرقيق، واستمرت حالة عدم الاستقرار هذه حتى القرن السابع الميلادى، وبعده خلال العصر العربى، حيث ساءت الأحوال سوءا شديدا فهجرت الأراضى الزراعية وسدت كثير من العيون.

ظل الوضع هكذا حتى القرن الخامس عشر، حين بدأت الواحات فى مرحلة ازدهار جديدة، وذلك مع نمو التجارة والاتصال عن طريق الواحات من خلال درب الأربعين ودرب الطويل ودرب الغبارى، وهى الدروب - الوحيدة - التى كانت تصل ما بين وادى النيل من جهة، وافريقيا السوداء والمغرب العربى من جهة أخرى، كذلك مابين الجزيرة العربية، وافريقيا والمغرب مرورا بالواحات.

العصر المسيحى

يرتبط تاريخ واحات الصحراء الغربية فى مصر ارتباطا وثيقا بتاريخ مصر فى وادى النيل، فكلما استقرت الأحوال فى وادى النيل وازدهرت الظروف الاقتصادية وجدنا ذلك ينعكس على الحالة فى الواحات، ولكن العجيب فى هذه العلاقة أنها كانت علاقة عكسية ، فكلما كانت الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية مستقرة فى منطقة وادى النيل، كان الإهمال - فى المقابل - يعم قطاع الواحات!!

فقد كانت التغيرات السياسية والعقائدية فى مصر خير دليل على ذلك الارتباط العكسى ، نلمح ذلك - بداية - من العصر الباليسينى (العصر المطير) منذ أن نشأت باكورة الحضارة المصرية على ضفاف بحيرة بير طرفاوى فى أقصى جنوب شرق الواحات المصرية ، وحينما حل عصر الجفاف على هذه المنطقة والهجرة البشرية من ضفاف البحيرة إلى ضفاف نهر النيل الحالى شرقا، تأثرت منطقة الواحات أيضا - عكسيا - بإهمالها التدريجى، ونلاحظ ذلك أيضا فى عصر الدولة الوسطى والدولة الحديثة من تاريخ مصر القديمة ووصولا إلى قيام دولة البطالمة وفى العصر الرومانى الذى بدأ فى سنة ٣٠ ق م نجد أن الإدارة الرومانية

الجديدة قد أولت عنايتها مناطق الواحات بصفة عامة، وخاصة الخارجة والداخلة الواقعتان على طرق السفر إلى الجنوب والغرب، وهى طرق القوافل بين وادى النيل والسودان وافريقيا السوداء من ناحية، وكذلك من شرق النيل والحجاز إلى الشمال الإفريقى (المغرب العربى) حاليا، من ناحية أخرى، فأقاموا الحصون والأبراج بالقرب من منابع المياه على طول درب الاربعين ، حيث أدى النشاط التجارى إلى بناء المعابد فى المناطق الغنية عند هيبس والغويطة وقصر زيان ودوش، وقد شهدت الواحات الخارجة والداخلة والبحرية فترة من الرخاء الاقتصادى لم تشهد له مثيلا قبل أو بعد ذلك، وقد كان القرن الثانى الميلادى بأكمله هو ذروة هذا الازدهار.

وقد صاحب هذه الفترة أيضا ظهور المسيحية كدين جديد، ولا يعرف على وجه التحديد تاريخ وصول المسيحية إلى الواحات. فرغم أن بعض الروايات المسيحية القديمة تذكر أن ذلك حدث فى القرن الأول الميلادى على أيدى الحوارى (برثولوميو)، كما تذكر أيضا أن هذا القديس استشهد فى واحة البهنسا (أحد أسماء واحة الخارجة القديمة) وأنه دفن فى كنيسة مجاورة لمعبد هيبس..

إلا أن علماء التاريخ المحدثون لا يقبلون تاريخية هذه الروايات، ويعتقدون بأن وصول المسيحية إلى الواحات تأخر عن ذلك التاريخ، فأقدم الوثائق التى وصلتنا عن الوجود المسيحى فى الواحات عثر عليها فى معبد قصر دوش (الخارجة) وترجع هذه الوثيقة إلى نهاية القرن الثالث الميلادى ، وهى تسجل خطابا شخصيا كتبه أحد رجال الدين المسيحى يسمى (بسين اوزيريس) (psenosiris) يتحدث فيه عن مصير امرأة مسيحية تسمى (بوليتيكى) نفيت إلى الواحات الخارجة وماتت هناك. ونحن نعرف أن المسيحية كانت قد

ظهرت بشكل ملحوظ فى وادى النيل ابتداء من القرن الثانى الميلادى، وأنها عرفت أعنف ألوان الاضطهاد إبان القرن الثالث الميلادى، ونحن نعرف أيضا أن المسيحيين فى فترات الاضطهاد الرومانى كثيرا ما فروا من مواجهته باللجوء إلى الصحراء (الشرقية عقائديا والغربية عقائديا واقتصاديا) حيث نشأت أولى حركات الرهبنة فى تاريخ المسيحية، وكثيرا - أيضا - ما نفى أو أبعد المسيحيون من وادى النيل إلى الواحات وصحاريها، لذلك فإنه من المحتمل أن يكون وصول المسيحيين إلى الواحات قد تأخر قليلا، والقرن الثالث هو الفترة التى تمثل انتشار المسيحية فى الواحات بشكل ملحوظ على أيدى من فروا أو ابعدوا اليها، وإن يكن ذلك لايمنع من القول من احتمال وصول بعض المسيحيين إلى الواحات قبل ذلك فى القرن الثانى ولكن كحالات فردية مع حركة تجارة القوافل النشطة على درب الاربعين إلى السودان أو على درب الطويل إلى شمال افريقيا، ومنذ القرن الرابع حين صارت المسيحية هى الدين الرسمى لمصر عين أسقف فى واحة الخارجة من قبل بطريرك الإسكندرية، وفى فترات الخلاف المذهبى الذى نشب بين الفرق المسيحية المختلفة، نفيت إلى الواحات بعض زعامات المسيحية مثل اثناسيوس ونسطوريوس، ولابد أن وجود مثل هؤلاء الزعماء المسيحيين قد ساعد كثيرا فى نشر الدين الجديد ورفع الثقافة المسيحية بين سكان الواحات، وقد أدى ذلك وبفضل الظروف الاقتصادية الجيدة للمنطقة - إلى أن يجتهد المسيحيون فى أن ينافسوا جيرانهم من الوثنيين فى بناء المقابر المزينة فى قالب معمارى مختلف وغير مسبوق والذى أفرز لنا بعض الشواهد الأثرية الباقية حتى الآن مثل جبانة البجوات (القبوات) وكنيسة الحيز بالواحات البحرية، وقصر مسعودة الذى يقع جنوب الكنيسة بأمتار

قليلة، كذلك الكنيسة القائمة فى قرية القلمون حاليا بأبراجها والتى تحولت إلى مسجد ولكن على حالتها المعمارية القديمة.

ظلت حالة الازدهار الاقتصادى للواحات مستمرة حتى بدأت نذر الخطر الخارجى منذ القرن الخامس عشر، حينما ذاع صيت الواحات اقتصاديا خاصة لدى القبائل الصحراوية فى الغرب الافريقى مثل قبائل البلمى والمساقيين (الأمازيغ) الذين توالت هجماتهم على الواحات بهدف السيطرة على خيراتها، وقد قتل العديد من أهالى الواحات - المسالمين بطبيعتهم - دفاعا عن زراعاتهم الاقتصادية.

العصر الاسلامى

كان عصر الفتح العربى لمصر، هو أوهى وأضعف مراحل الحياة فى تاريخ الواحات، والتى شهدت خلاله تدهورها الحاد، فقد دخل الإسلام إلى الواحات أولا فى الداخلة عام ٥٠ هجرية آتيا من الغرب مع قبائل الأمازيغ، حيث اتخذت قيادة الفتح من قرية القصر مقرا لإدارة البلاد وأغلب الظن أن الواحات الخارجة لم تدخل فى الحظيرة الإسلامية إلا بعد ذلك بقرابة قرن ونصف قرن تقريبا، وكان للغارات المتوالية على الواحات فى أواخر العصر المسيحى أثرا كبيرا فى إنهاك القوى البشرية التى سلمت من الموت، فقد سلبتهم الغارات القادمة من القبائل أرزاقهم وزراعاتهم لهذا أهملوها، فتفشت الأمراض واستوطن مرض الملاريا على المستنقعات بعد ترك مياه الآبار تتدفق بلا زرع فاتسعت المستنقعات والبرك وظهور بعوض الملاريا، وهو المرض الذى لم تعرفه الواحات إلا فى هذا الزمان.

وهاجر من الواحات إلى الصعيد الكثير من المسيحيين مع دخول الإسلام وعدم اعتناقهم للدين الجديد، فصاروا أقلية.

وفى نصف القرن السادس الهجرى يقول الشريف الإدريسى عن الواحات :

(.. إنها كانت محلابة مياه جارية على سطح الأرض، تروى أشجارا، مازالت باقية، ولقد أصبحت مساكنها وبلداتها خالية من السكان، ويضيف الإدريسى: أن أغنامها توحشت لدرجة أنها تصاد كما تصاد الحيوانات البرية)

وتدلنا بعض الكتابات المدونة على كنائس مدينة البجوات بالواحات الخارجة،على أن المنطقة كانت عامرة بالسكان فى أول القرن الخامس للهجرة، ثم فى القرن السابع، وذلك إنما يدل على أن فترة الهجرة وظاهرة الطرد البشرى من الواحات قد انحصرت فى القرن السادس الهجرى. كذلك تدلنا بعض الوثائق التى عثر عليها فى مقر حاكم القلمون (قاضى الشرع الشريف) بالواحات، والتى كان ضمنها إحدى الوثائق التى تحتوى على (فض نزاع حدث بين عدد من الغزاة المستوطنين، وبين السكان الأصليين حول ملكية الأراضى فى الواحات الخارجة ، وقد فصل فى النزاع عام ٤٠٧ هجرية، وقسمت الأملاك بينهما، حيث يتبين من خلال هذه الوثيقة عدد العائلات المستعمرة، وعدد العائلات الأصيلة، والذى يوضح أن الغالبية العظمى من سكان الواحات الخارجة قد هجروها. وتبين الوثيقة، أن عدد العائلات المستعمرة ٣٩ عائلة، بينما كان عدد العائلات الواحية الأصل ٧ عائلات فقط...!!!

وحول دور العرب الغائب فى مجال إعمار الواحات، يقول الدكتور سليمان حزين :

(وقد يأخذ الكثيرون على العرب أنهم اعتادوا حياة الواحات فى شبه جزيرتهم العربية، ومع ذلك لم يطبقوا تجاربهم فى الاستفادة من هذه الواحات المصرية، ولكننا نحن الجغرافيون، ندفع هذا الرأى ولا نأخذ به، إذ الفرق كبير بين واحات الجزيرة العربية،

وواحات صحرائنا الغربية، فحياة السكان فى الأولى تقوم إلى حد كبير على الرعى فى أعقاب فصل المطر، ثم على الإشراف على طرق المواصلات والحج والتجارة فى شبه الجزيرة، إما سكان الواحات المصرية فليسوا غير مزارعين مستوطنين، لايعملون بالرعى، ولا يشتغلون بالوساطة التجارية، التى انما يقوم بها هنا جماعة من العرب الرحل من غير سكان الواحات الأصليين، وهكذا وجد العرب الأوائل أمامهم صورة واحات جديدة لا تشابه مطلقا ما عرفوه وألفوه فى شبه الجزيرة العربية . فلم يستطيعوا تطبيق تجاربهم فى واحات لا يعرف سكانها الرعى، ولا النقل، ولا الوساطة التجارية...)

وقد شكل الركود والتدهور الاقتصادى والبشرى للواحات خلال مرحلة الفتح العربى لمصر، علامات استفهام تبحث عن اجابات وتفاسير، حتى تستقيم الحقائق التاريخية لسلسلة الحقب المتوالية التى مرت بها هذه المنطقة، فبعد الارتفاع فى المعدلات الاقتصادية والعمرانية والبشرية التى شهدتها الواحات، نجد هبوط المنحنى البيانى بصورة مفاجئة غير متدرجة، وقد كانت نقطة الصفر لهذا المنحنى الهابط هى هجرة البقية الباقية من مسيحيى الواحات الى قطاع النيل الأوسط وتحديدا الى أسيوط وتدريجيا فقد تبع هجرة هؤلاء المسيحيين الذين رفضوا اعتناق الدين الجديد، هجرة أخرى لاحقتها من المسلمين الذين اعتنقوا الاسلام، ولم تكن الهجرة الثانية بسبب المطاردة من الرومان، ولكن كان السبب هو تدنى سبل العيش، وضيق الرزق،نظرا لحالة التدهور الاقتصادى الذى حل بالبلاد بعد إهمال الزراعة وتوقف وهجرة من كانوا يقومون بدور التسويق الاقتصادى لمحاصيل الواحات خارجها.

الفصل الثانى

مملكة الـــواحات

لعل ما يأتى فى المقدمة من حيث الأهمية التاريخية، ذلك التسجيل المفصل لأخبار(مملكة الواحات) التى قامت لقرابة مايزيد على ثلاثة قرون قبل وبعد الفتح العربى لمصر، لتغطى مرحلة مهمة، ظلت غائبة عن معظم الباحثين فى مجال تاريخ الواحات المصرية.

يقول الشاطر بصيلى عبد الجليل فى كتابه (تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط فى فصل مملكة الواحات المصرية) باحثا عن فترة مهمة – ولكنها مهملة – فى تاريخ الواحات الطويل:

على الرغم من أن تاريخ المنطقة وتطورها قد أسدلت عليه الفترات المظلمة ستارا كثيفا، فإننا نجد توضيحا لذلك فى تطور الوضع المناخى، الذى حول الأقاليم الخصبة البعيدة المدى الى مناطق جرداء، انحسرت أراضيها الخصبة تدريجيا فى مناطق صغيرة وهى التى عرفت بالواحات.

وقد أخذت هذه المناطق فى التآكل المطرد، الأمر الذى دعا السكان للهرب الى مناطق أكثر رخاء، واستوحشت الحيوانات التى كانت تعيش فى الواحات، وقد انقرض العدد الأكبر منها، كما أن طرق القوافل قد أقفلت وكان آخرها فى عهد أحمد بن طولون الذى أمر بوقف الطريق الى الشمال والغرب بسبب سافية الرمال التى كانت تغطى القوافل وتدفنها...! وكانت أكبر حملة دفنتها الرمال هى تلك القوة التى أرسلها قمبيز لتدمير واحة سيوة على حد قوله، والواحات الداخلة على قول ثان، فكان أن فاجأت العواصف الرملية هذا الجيش ودمرته وأهلكته.

والمعروف أن لفظ ليبيا، الذى أطلق على المنطقة منذ عهد غارق فى القدم، يرجع أصله الى لفظ ريبو R"BW الذى عرفت به القبائل التى تسكن المناطق الغربية المجاورة لحوض وادى النيل، وذلك كما جاء فى النقوش المصرية القديمة، وقد أطلقت على المنطقة الشرقية من الصحراءالليبية (غرب مصر) مسميات عديدة فى مختلف الفترات، ويبدو أن ذلك يرجع الى تبادل السكنى فى هذه المناطق بين السكان الضعاف من ناحية، والنازحين إليها من الخارج (الأقوياء) من ناحية أخرى.

وعرفت المنطقة التى تضم الواحات المصرية الثلاث وهى الداخلة والخارجة والفرافرة - على الأقل - باسم (موريتانيا) وكانت تحكمها أسرة كانت بيدها التجارة.

ويرجع لفظ موريتانيا فى أصوله الى جماعات من الميديين (وهم من عرفوا فيما بعد بالأمازيغ) الذين جاءوا من بر الشام الى الساحل الليبى فى أوائل العهد المسيحى، وامتد نشاطهم الى منطقة الواحات الشرقية (الغربية بالنسبة لمصر) لممارسة التجارة والسيطرة على طرقها ومواردها.

وقد جاء هؤلاء فى حوالى القرن الرابع قبل الميلاد الى حوض وادى النيل الأوسط، وقد جاء اسم موريتانيا الذى عرفت به الواحات المصرية فى كتاب حنا النيقوى للدلالة على الواحات المصرية، كما يقول بروقيبوس فى كتابه (تاريخ الحروب / الجزء الثالث) عن سيطرة الرومان على مناطق الواحات (أنهم - الرومان - قد اشتبكوا فى قتال ضد الموريتانيين (سكان الواحات المصرية) وأخضعوهم لسيطرتهم، وقد استخدم الروم الخيل، بينما استخدم سكان الواحات الجمال، وقد كان استخدام الجمال سببا فى هزيمة الرومان، حيث إنها قد جعلت خيل الروم تفر من ميدان القتال بسبب ضجيجها المزعج.

ويقول (بالمر) إن المازيكس - الأمازيغ- قد ثاروا فى عام ٣٧٣ م ودخلوا أرض الواحات، فأرسل الامبراطور ثيودوسيوس حملة لتأديبهم وهم فى أرض الواحات، وقد وردت أسماء القبائل التى سكنت الواحات فى الوثيقة التى كتبت فى عهد ديوقلتنيان، والمعروف أيضا أن نسطوريوس قد احتجز فى الواحات الخارجة حوالى سنة ٤٣٥م وقد اختطفه المازيكس (الأمازيغ) فى غزوتهم على الواحات، وفكوا أسره بالقرب من بلدة أخميم فى صعيد مصر.

الوضع الإقليمى للواحات

يقسم المؤرخون العرب الواحات المصرية الواقعة فى الصحراء الغربية الى مجموعتين:

المجموعة الأولى وهى التى كان يطلق عليها مملكة موريتانا، وهى الواحات الجنوبية (الداخلة والخارجة والفرافرة) وتتبع هذه المجموعة عدة واحات صغيرة، عرفت فى المصادر العربية بالحارات.

والمجموعة الثانية هى الواحات الشمالية، التى تضم الواحات البحرية، وواحة (ستتريا) وهى واحة سيوة.

وتعود أهمية المجموعة الأولى من الواحات لدى المؤرخين الى انها تحتل مركزا استراتيجيا له خطورته البالغة على المواصلات بين حوض النيل، وقلب القارة الافريقية، فقد كانت واحات مصر الجنوبية ترتبط مع وادى النيل بعدد من الطرق التى كانت تسلكها القوافل، وكان درب الأربعين من أهم هذه الطرق من الجنوب الى الشمال، أى من أسوان الى شمال أسيوط، فقد كانت القوافل تخرج من شريط وادى النيل غربا الى الواحات عبر العديد من المسالك الوعرة، وكانت هذه المسالك تتصل بدرب الأربعين المعروف باستخدامه منذ أقدم العصور للقوافل بين أسيوط (بنى عدى) ودارفور ويتصل هذا الطريق بحوض النيل فى منطقة دنقلة.

وقصة درب الأربعين بالغة القدم، ويبقى هذا الطريق من بين كثيرمن المسالك التجارية عبر الصحراء الغربية، وقد توقفت هذه الطرق لأسباب عديدة فى مقدمتها الرياح الرملية المهلكة عبر الشريط الذى يمتد من شمال الصحراء الى جنوبها، ويقع بين الحدود المصرية الليبية. وقد لعبت هذه الطرق دورا مهما فى نقل الحضارة الى قلب القارة الافريقية والى أقسامها الغربية، كما عبرتها أيضا الهجرات المتتالية من وادى النيل الى الغرب الافريقى وجنوبه والعكس، وأيضا السفر للحج الى الأراضى الحجازية من دول الشمال الأفريقى

الواحات فى كتابات المؤرخين العرب

أشار ابن حوقل فى كتبه الى أن السلطنة التى كانت تتولى حكم الواحات، كانت فى أيدى أسرة آل عبدون وذلك منذ الفتح

الاسلامى لمصر (حوالى ٦٤٠م) أما عن الزمن السابق لدخول العرب المسلمين الى مصر فيقول ابن حوقل (وبجميع الواحات بيع قديمة ازلية معمورة لأن البلد كان نصرانى الأصل قديما) وتشيرالعديد من المصادر التاريخية - والميدانية أيضا - الى قيام الرومان بحفر وتعمير البلاد كما أنهم قد شقوا الجداول المغطاة لسريان المياه الى الأرض الخصبة، وترجع تغطية هذه الجداول الى حفظها من طغيان العواصف الرملية التى تشتهر بها بيئة الواحات الجغرافية والمناخية.

وقد ازدادت الهجرات من وادى النيل الى الواحات فى العهد المسيحى بسبب الاضطهاد الدينى، وهناك مدينة مقابر البجوات (القبوات) بالواحات الخارجة، وكذلك بعض المقابر المسيحية فى واحة الفرافرة، حيث يقول ابن حوقل (والغالب على أهل الفرفرون (الفرافرة) القبط والنصارى....)

ويقول المسعودى فى كتابه مروج الذهب (...أما بلاد الواحات وهى بين مصر والأسكندرية وصعيد مصر والمغرب وأرض الأحباش (افريقيا السوداء) من النوبة وغيرهم... وصاحب الواحات فى وقتنا هذا، وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة هجرية (٩٤٣ـ ٩٤٤ م) عبد الملك بن مروان، وهو رجل من العرابة، الا أنه مروانى المذهب، ويركب فى العرف من الناس خيلا ورحيلا ونجبا ...وفى أرض الواحات خواص وعجائب، وهو بلد قائم بنفسه، غير متصل بغيره، ولا مفتقر اليه، ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعناب.

آل عبدون (حكام الواحات)

أشار ابن حوقل أن أسرة آل عبدون كانت تحكم مملكة الواحات من زمن سابق لدخول العرب الى مصر (وكانت الواحات الداخلة هى عاصمة المملكة ومقر الأسرة الحاكمة)

ويضيف ابن حوقل فى كتابه (صورة الأرض) أن: ملوك هذه الناحية يرجعون الى مروءة فاشية، ومظاهرة بالحرية ورغبة فى القاصدين، ومحبة للمنتجعين على جميع ضروب القصد مكرمين للتجار نازلين على أحكامهم فى الأرباح. وكان من أحرصهم على هذه الوتيرة، يتقبل المحاسن ويحب حسن الأحدوثة والشكر، ويرغب فى جميل الذكر، أبو الحسن مكبر بن عبد الصمد بن عبدون، رحمه الله، بكبر نفسه وسعة قلبه، وكثرة طوله وفاشى مروءته، يزيد على من سلف له من أهله فى جميع المقاصد الكريمة، ويركب منها الطرقات الصعبة الجسيمة، ولما مضى قام مكانه، وعمر موضعه عبدون بن محمد بن عبدون فى ضمن عبد له، يعرف بمصبح بن ميمون، مغربى الأصل ولد بالواحات الداخلة (عاصمة المملكة) وهو رجل ندب وشيخ شهم، ونواحيهم كثيرة المياه والأشجار والغياض والعيون الجارية العذبة متصرفة فى نخيلهم وزروعهم وأجبيتهم وأكثر غلاتهم القمح والشعير والأرز، ولديهم من العناب الكثير والقوة الواسعة الغزيرة، ما يغدق به الى الكثير من النواحى، وهى كالناحية المعتزلة فى مركز دائرة من النيل، ومن أى نحو قصدت الواحات من أنحائها كان الوصول اليها من ثلاث مراحل الى أربع مراحل، والناحية الخارجة منها المعروفة بيخيط وبيريس أقرب الى النيل.

وللأسرة المالكة عدد من القصور، بالفرفرون (الفرافرة) والبهنسا قصران لآل عبدون، يليهما مساكن كمساكن القلمون إحدى قرى الواحات الداخلة حاليا) ولا حرم فيها ولا ذخيرة، بل هى أعدت لنزول أهلها بها عند نزهتهم، ويليها مساكن الأكرة بالبهنسا وبيخيط وبيريس (الواحات الخارجة) قرى ظاهرة وباطنة، وأمم عليها لوازم السلطان وجزية، ولا يمد آل عبدون وخدمهم

أيديهم فى شىء من الجباية سوى الخراج والجزية من النصارى وليس بجميع الواحات يهودى واحد فما فوقه.....)

احوال مملكة الواحات

تحدث ابن حوقل عن تكريم ملوك الواحات للتجار نازلين على أحكامهم فى الأرباح، ويزيد ابن حوقل فيقول : ليس بجميع الواحات حمام، ولا فندق يسكنه الطارئ والقادم إليها، واذا قدم التجار والزوار على آل عبدون أنزلوهم أين كانوا من قرارهم، ولزمتهم الانزال ودارت عليهم الضيافات الى حين رحيلهم، وعندهم بجميع نواحيهم المطاحن بالابل والبقر، وقلما يمطرون ومياه عيونهم حارة، فهى تقوم لهم مقام الحمامات.

... وبجميع الواحات بيع قديمة أزلية معمورة لأن البلد نصرانى الأصل قديما، وكان غزير الدخل كثير المال، فشاب وشمط بجور السلطان...!!!

.... وغلات البلد (الواحات الداخلة) فوق حاجتهم وبه من القمح والتمور الجميلة الكبار الحب والعناب والقطانى الى جميع الفاكهة والبقول ما يزيد على حاجتهم وينيف على فاقتهم وإرادتهم.

وعن سكان الواحات الداخلة، يقول ابن حوقل :

تسكن هذا البلد مجموعات من المصريين الأقباط والمسلمين بالإضافة الى السكان الأصليين وهم من البربر (الأمازيغ)، وكانت بالواحات أيضا مجموعات قبلية منها بنو هلال، فيقول (وبالواحات من بنى هلال عدة غزيرة وأمة كثيرة، وهى مصيفهم وقت الغلة وميرتهم منها)

ويضيف ابن حوقل : ومن قصد الواحة الداخلة وهى دار مملكة آل عبدون من ناحية القيس والبهنسة كان وصوله الى بهنسة الواح

(حاليا الواحة الخارجة) اذ بها ناحية تعرف بالبهنسة أيضا (قرية القصر بالداخلة حاليا) وبينها وبين الفرفرون مرحلة...

وقد يقصد الواحات الداخلة من ناحية المغرب ومن جزيرة فيها نخيل وسكان من البربر (الأمازيغ) تعرف بسنتريا (واحة سيوة) فيكون أول وصولهم منها الى ناحية البهنسة (قرية القصر بالداخل).

عرف إقليم الواحات الخارجة والداخلة والفرافرة (الفرفرون) وفيها عدد من المدن والقرى والقلاع، باسم مملكة موريتانيا الذى استمر استخدامه حتى حوالى القرن التاسع الميلادى حيث استبدل بمملكة الواحات كما ورد فى كتب العرب.

ويبدو أن الأسرة المالكة فى هذا الإقليم قد اعتنقت الإسلام فى حوالى القرن التاسع الميلادى أو بعد ذلك بقليل. ويرجع اسم هذه المملكة إلى مقطعين يونانيين، أولهما مورى ومعناه أهل البادية، وهناك إشارة إلى حدوث ثورة مجموعة من المازيكين (الأمازيغ) فى السنوات الأخيرة من القرن الرابع الميلادى الأمر الذى دفع الإمبراطور ثيودوسيرس لإرسال حملة إلى موريتانيا لتأديبهم. وحدث فى نهاية القرن السابع وأوائل القرن الثامن الميلادى شكوى ملك المقرة (دنقلة) من منع ملك موريتانيا مرور رسل المقرة إلى الإسكندرية لمقابلة البطريرك ومرجع ذلك إلى تحالف مملكة موريتانيا مع حكومة مصر الإسلامية ضد المقرة (دنقلة) وجاء فى المصادر القبطية (حياة البطريق إسحاق) أن ملك موريتانيا قد منع مرور الأساقفة وغيرهم من رجال الدين الذين كانوا يسافرون عن طريق الواحات إلى دنقلة أو العودة إلى الإسكندرية.

وهذه المملكة - موريتانيا - التى أطلقت على مجموعة الواحات المصرية لا ترتبط بأية علاقة مع موريتانيا الواقعة على المحيط

الأطلسى جنوبى مراكش (المغرب)، والأسرة المالكة فى الواحات المصرية ترجع إلى "لواته" وهى قبيلة أمازيغية،وعلاقة مجموعات هذه القبائل، من لواته والمقرة والنوبة (نوباديا، نوباتيا .. إلخ) ونوميديا، فى حاجة إلى دراسة خاصة.

قامت على مجموعة الواحات الداخلة والخارجة والفرافرة حكومة من أسرة آل عبدون الذين كانت السلطنة فى أيديهم منذ ما قبل فتح العرب لمصر فى النصف الأول من القرن السابع الميلادى. وترجع هذه الأسرة كما يقول المسعودى وابن حوقل إلى حى من لواته قبيلة من البربر (الأمازيغ).

ويحتمل أن تكون هذه الأسرة قد جاءت إلى هذا الإقليم فى زمن سابق للإسلام وأنها اعتنقت الإسلام بعد دخوله إلى مصر، ويستند هذا القول الى إن مجموعات قبيلة لواته كانت موجودة فى شمال غربى هذا الإقليم منذ زمن أقدم

ولا نعلم شيئاً عن تنظيمات هذه المملكة الإدارية، والذى يبدو من الوصف الذى جاء فى كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل أنها كانت تعتمد على الجباية - الخراج والجزية - وكانت تمر عبر أراضيها القوافل إلى السودان وغانة والمغرب وفزان. والمعروف أن هذا الطريق قد قفل بعد منع أحمد بن طولون السفر من مصر إلى المغرب عبر هذا الطريق بسبب (سافية) الرمل التى تنقلها الرياح فتهلك المسافرة. وهو ما اطلق عليه بعد ذلك بحر الرمال الأعظم، الذى يمتد على طول الشريط الواقع على حدود مصر الغربية، وحتى داخل الحدود الليبية فى الصحراء الغربية

وكانت هناك حروب وغزوات بين مملكة الواحات والنوبة، ولا تُعلم أسباب تلك الحروب، هل هى كانت لأغراض سياسية أو

اقتصادية. وقد هجم النوبة على الواحات فى عام ٩٥١ م، وأن هدنة قد عقدت بين مملكة الواحات ومملكة النوبة بعد ذلك، وكانت هناك ممالك أخرى من ناحية الغرب والجنوب الغربى للواحات منها القرعان والزغاوة

ولا نعلم شيئاً مؤكداً عن الأمر الذى انتهت إليه هذه الأسرة المالكة ومن الذى حل محلها، كما أننا لا نعلم شيئاً عن الهجرات مِن وإلى هذه المملكة. فالواضح أن أهل النوبة قد تركوا الواحات فى نهاية القرن الثالث وأوائل الرابع الميلادى للسكنى جنوبى الشلال الأول على حوض النيل، ومن المحتمل أن تكون هجرات أخرى قد تلت ذلك إلى حوض النيل فى مختلف بقاعه وبخاصة بعد قفل طريق الصحراء إلى الغرب الأمر الذى تعطلت معه التجارة عن طريق القوافل المذكورة..

ويقول الأصطخرى: "وأما الواحات فإنها بلاد كانت مغمورة بالمياه والأشجار والقرى والرموم قبل فتحها. وكان يسلك من ظهرها إلى بلاد السودان بالمغرب على الطريق الذى كان يؤخذ ويسلك قديماً من مصر إلى غانة فانقطع ولا يخلو هذا الطريق من جزائر النخيل وآثار الناس وفيها إلى يومنا هذا ثمار كثيرة وغنم وجمال قد توحشت فهى تتوارى. وللواحات من صعيد مصر إليها فى حد النوبة نحو ثلاثة أيام فى مغارة حد، ولم تزل سافرتهم وسافرة أهل مصر على غير طريق تتصرف إلى المغرب وبلد السودان فى برارى ولم ينقطع ذلك إلى حين أيام دولة أبى العباس أحمد بن طولون. وكان لهم طريق إلى فزان وإلى برقة فانقطع بما دار على الرفاق فى غير سنة بسافية الريح للرمل على الرفاق حتى هلكت غير رفقة، فأمر أبو العباس بقطع الطريق ومنه أن يخرج عليه أحد".

وفيما يبدو أن هذا المنع كان على التجار والمسافرين من إقليم مصر.

وذكر الجغرافى العربى: "وبلد الواحات ناحيتان ويقال لهما الواحة الداخلة والواحة الخارجة وبين الداخلة والخارجة ثلاث مراحل، وأجلّها الناحية الداخلة وهى واسطة البلد وقرار آل عبدون ملوكها وأصحابها، وفيها مساكنهم وأموالهم وعدتهم وذخائرهم، وهما حارتان بينهم نصف بريد وبكل حارة منها قصر إلى جانبه مساكن لحاشية من ينزله وخاصته وأصحابه وأضيافه وفيهما حرمهم وتعرف إحدى الحارتين بالقلمون والأخرى بالقصر، والناحية الخارجة تعرف ببيريس وبيخيط، وهما خمسة أصقاع ويشمل كل صقع منها على منابر تتقارب فى المنزلة والحال". وذكر ابن دقماق أربع وعشرين بلداً فى مملكة الواحات سنوضحها فيما بعد.

"والواحات كالناحية المعتزلة فى مركز دائرة من النيل، تبعد غرباً عن مدينة الأقصر فى صعيد مصر بحوالى الثلاثين والمائة من الأميال، ومن أى نحو قصدت الواحات من أنحائها كان الوصول إليها من ثلاث مراحل إلى أربع مراحل، والناحية الخارجة منها المعروفة ببيخيط وببيريس أقرب إلى النيل ومن قصدها من ناحية النوبة وبيرين وإعمالهم اجتاز بعين النخلة بماء عدّ لا ساكن عنده ولا يجد الماء إلى بيريس، ومن اجتاز بها أرض مصر وقصدها من أسنى (أسنا) وارمنت تزود ماء النيل إلى بيريس، ومن قصدها من البلينا وأخميم وأسيوط والأشمون من أسافل الصعيد كان وصوله إلى بيخيط وتزود ماء النيل، ومن قصدها من أسوان وأعلى الصعيد اجتاز بدنقل بماء عد فى أحساء تحفر باليد وعليه نخيل كثيرة بغير

ساكن وتزود الماء إلى بيريس ومسيرة كل طريق مما ذكرته إليها ثلاث مراحل واكثر هذه الطريق فى عقاب وأودية وجميع من قصدها من هذه الأربع نواحى يقطع الوادى المعروف بوادى واحساء بنى فضالة".

"ومن قصد الواحة الداخلة وهى دار مملكة آل عبدون من ناحية القيس والبهنسة كان وصوله إلى بهنسة ألواح إذ بها ناحية تعرف بالبهنسة أيضاً وبينها وبين الفرفرون مرحلة".

"وقد يقصد الواحات من ناحية المغرب ومن جزيرة فيها نخيل وسكان من البربر تعرف بسنترية (يقصد واحة سيوة) فيكون أول وصولهم منها إلى ناحية بهنستها".

"والفرفرون قرية ذات قصور وبين بهنسة مصر والقيس وبهنسة الواح أربع مراحل وهى فى جملة ألواح الداخلة، وتصيب الماء فى هذا الطريق بموضع يعرف بماء النخلة وفيه نخلة".

ونشير فيما يلى إلى ما كتبه ابن دقمان فى كتابه الانتصار لواسطة عقد الأمصار (جزء ثان):-

(إن الواحات جميعها وهى الخاص والداخلة والخارجة والخاص أقربهم الى الأعمال البهنساوية، وميرتهم أربعة وخمسون ألف دينار

(واح الخاص (١٣٠٠٠دينار)

والخارجة (١٢٠٠٠ دينار)

والداخلة (٢٩٠٠٠ دينار)

وهى بلاد كثيرة حصينة وبها قلعة، وبهذه البلاد من الفواكه والثمار شىء كثير وكانت فى القديم مملكة قائمة بنفسها، وكان لصاحب مصر على صاحبها قطيعة، ثم صارت مضافة إلى مصر.

وهو إقليم غير متصل بغيره تحيط به المفاوز وجيزة بين مصر والإسكندرية والمغرب والصعيد والنوبة والحبشة ومسافاته من كل ناحية مقاربة للأخرى وقيل هى ثلاث واحات.

الأولى تسمى الداخلة، وقصبتها تسمى المدينة. ووسطى (الخاص) وفيها مدينتان، إحداهما - وهى الكبرى - تسمى القصر، والأخرى تسمى هنداو، وهما مسورتان. والثالثة وتسمى الداخلة، وفيها مدينتان، إحداهما - وهى الكبرى - تسمى أريس، والثانية تسمى ميمون وبها عيون حامضة وأهلها يشربون منها ويسقون بها أراضيهم ومتى شربوا من غيرها استوبؤا.

ويقال أن عدة بلاد الواحات أربعة وعشرون بلداً منها: القصر، وبها عين حارة مثل الحمام. وأفطيمة فيها أعناب كثير وأتيان، وشكول فيها أرز وعنب. وجافاته فيها أرز وكروم. وعين جديد البحرية بها تزرع كروم وأرز. وعين جديد القبلية بها كروم كثيرة وتزرع بها الأرز. (نعتقد أن البحرية هى قرية الجديدة، والقبلية هى قرية الموشية)

وبرقس بها كروم ويزرع بها الأرز أيضاً.

والقلمون بلد كبير كلها كروم وبها كنيسة للنصارى (تحولت الى مسجد فيما بعد)

والقلول بها كروم وتزرع الأرز.

وعنقيش بها نخيل وموز كثير وكروم كثيرة، ويزرع بها الأرز، والجبن الذى يعمل من لبن بقرها إذا أكل نفع من رمى الدم، وقد جرب هذا. وذكر لى جماعة من أهل الواحات عن هذا الجبن هذا الحديث.

وموط بها كروم ويزرع بها الأرز
والهندا، وينزل بها المتولى على الواح ولا يزرع الأرز.
وبنسطر - يزرع بها الأرز.
وبنى يزيد - يزرع بها الأرز أيضاً.
والمعيصرة - القريبة يزرع بها الأرز أيضاً.
وسمنت - القديمة يزرع بها الأرز.
وسمنت الخطا – يزرع بها الأرز.
والقصبة - بلد كبير وبها كروم ويزرع بها الأرز.
وبلاط - يزرع بها الأرز أيضاً.
وبنى يزيد الشرقية، كفر صغير، ويزرع بها الأرز.
وتنيده - بلد كبير، يزرع به الأرز.
وحاجر القصر - بها كروم، ويزرع بها الأرز.
بيت خلو - بها كروم ويزرع بها الأرز.
وأفطمية - بها كروم ويزرع بها الأرز.

وهذه البلاد تسمى الواحات القبلية يسافر إليها من بر أسيوط مسيرة ستة أيام يحملون الماء والزاد ثلاثة أيام ثم يأتى المسافرون بعد ذلك إلى عين مور تحت جبل يحملون منها الماء إلى الواح.

وفى "المنتية" معدن الشب الأصر والأبيض مباح. وبأرض الواح يزرع القطن وهو كسوة أهلها لم يخرج منها، وفى البلد الذى تسمى "موط" معدن الحوت، وهو الزاج، ويسمى أيضاً القلقلند، وهو من قبليها مسيرة ساعة. وكان عليه ديوان ومشد، وأرض الحوت كيمان كبار فى وسط جبل.

ويقال ببلاد الواحات عيون حامضة يستعملون ماءها كاستعمال الخل، ومنها عيون مرّة ومن قوة مائها لا يخالط شيئاً إلا مرّره، وإن العلة فى اختلاف هذا الطعوم فى المياه أن الأرضين المختلفة مثل مواضع الشب والزاج والمواضيع النارية الرمادية.

ومن الأساطير حول الواحات، يذكر ابن حوقل :

(إن ببلاد الواحات غنما وماعز قد توحشت، فهى تتوارى من الناس مثل الحيوانات البرية، وقيل أن الذى بنى الواحات وعمل فيها عجائب شى، منها ما هو ملفوف وقائم كالعمود، لاينحل ولا يذوب، والبركة التى تسمى (بركة فلسطين) بمعنى "صياد الطير" اذا مر عليها الطير سقط فيها ولم يبرح منها حتى يمسك به أو يموت، وعمل على أبواب بعض مدائنها أربعة أصنام من نحاس، لا يقرب منها غريب الا ألقى عليه النوم والسبات فلا يزال نائما حتى يهلك)

ويضيف ابن حوقل (ويقال أنه عمل فى بعض المدائن الداخلة مرآة يرى فيها جميع ما يسأل الإنسان عنه، ويقال أنه صنع منها واحات داخلة، وواحات ظاهرة، وواحات باطنة، يظهر فى بعض الأحيان لمن شاء الله له رؤيتها، ووقفت على بعض الكتب فوجدت مكتوبا فيه أن بعض الرجال من أهل صعيد مصر أتاه رجل وأعلمه بأنه يعرف مدينة بأرض الواحات بها كنوز عظيمة، وبها أنهار وأشجار وثمار وأطيار، فتزود وخرج مسافرا إليها معه فسار فى الرمل ثلاثة أيام حتى أشرفنا على مدينة عظيمة، ويظاهرها نهرعظيم والى جانبه شجرة عظيمة، فأخذ الرجل من ورق تلك الشجرة فدقه ولطخ بمائه ساقيها وخاض ذلك النهر فلم يتعد الماء الى حدماء الورق، فصعد الى المدينة وأخذا من الذهب الذى بها ما أرادا وأطاقا حمله وتفرقا فدخل ذلك الرجل الصعيدى لبعض ولاة

الصعيد وعرفه القصة وأراه عين الذهب، ووجه معه جماعة
وزودهم زاد مدة، وجعلوا يطوفون بتلك الصحارى مدة فلم يقفوا
لتلك المدينة على أثر.....!!!!

ويقال أن خلف مدن الواحات مدن كثيرة وكلوا بها الروحانيين فلا يستطيع أحد أن يدنو منها ولا يدخل اليها.

وقيل أن الواحات كانت أعمر المدن الا أن أهلها تحاسدوا وفشت بينهم حروب كثيرة وأخرجت بلادهم فسميت الواحات....!!

ومغل (غلات) هذه البلاد التمر والزبيب والمشمش والعناب والعرقسوس والأرز وبها الموز والرمان والبرقوق والسفرجل كثيرا وبها النارنج

وفى مؤلفه الضخم بدائع الزهور فى وقائع الدهور، يذكر ابن أياس فيما يكتب عن (أعمال الديار المصرية وكورها) حول التعريف بأهم المدن المصرية،قد عرض لحوالى عشرين مدينة فقط من المدن المصرية، وقد جاءت الواحات الداخلة فى الذكر العاشر من هذه المدن، فيورد فيها ما يلى نصا :

ذكر الواحات الداخلة

هذه المدينة بناها قنطريم، وكان بها بركة، اذا مر بها الطير سقط فيها، لا يبرح منها حتى يؤخذ باليد، وكان لها أربعة أبواب، على كل باب منها صنم من نحاس اصفر، إذا دخل من أبوابها غريب، القى عليه النوم، فينام عند الباب، ولا يبرح حتى يأتيه أحد من أهل المدينة وينفخ فى وجهه، فيقوم، وإن لم يفعلوا ذلك، لايزال نائما عند الباب حتى يموت...!!!

ويورد ابن اياس، فى كلامه عن عجائب مصر، حول الواحات الداخلة، ما يلى:

قال ابن عباس، رضى الله عنهما: لا زالت الناس ينقصون فى الأرزاق والآجال فى كل عام، الى وقتنا هذا، قلت: ومصداق هذه الأخبار،ما قاله الشيخ حسام بن زنكى الشهرزورى،قال : كان بالواحات الداخلة، شجرة نارنج، يقطف منها فى كل سنة نحو اربع عشرة ألف نارنجة، ما سوى ما يتناثر من الريح، وما هو اخضر...!

قال الشيخ تقى الدين المقريزى، صاحب الخطط : فلما سمعت بذلك انكرته، ولم اصدقه لغرابته، فقد رآنى سافرت الى الواحات الداخلة، وشاهدت هذه الشجرة، فاذا هى قدرجميزة كبيرة، فسألت مستوفى الناحية عما تطرح فى كل سنة، فأحضر لى قوائم تتضمن ذلك، فتصفحتها، فاذا فيها : قطف منها فى سنة احدى وسبعمائة، اربع عشرة ألف نارنجة، صفراء مستوية، سوى ما بقى عليها من الأخضر، وما تناثر من الريح، فتعجبت من ذلك غاية العجب، انتهى ذلك، فهذا بقية ما كان بمصر من العجائب

ولكن أهم ما يضيفه ابن حوقل (فى رأينا) حول التاريخ المجهول للواحات قوله:

(وبمغارات الواحات عرب سليم (من قبيلة بنى سليم) يقطعون بها الطريق على من أرادها أو من خرج منها)

وتأتى أهمية ما يقوله ابن حوقل فى هذه الاشارة الى أنها تؤكد ما قاله الدكتور سليمان حزين فى دراسته الميدانية للواحات الداخلة والخارجة فى منتصف القرن العشرين، والتى نشرت فى أحد أعداد المجلة الجغرافية، وقد تضمنت أن العرب (القبائل) التى وصلت الى الواحات، انحصر نشاطها - فقط - فى ادارة بوابات عبور القوافل على طرق القوافل عبر درب الأربعين فى الواحات الخارجة والذى كان يربط وادى النيل بالجنوب الأفريقى، ودرب الطويل

(العرضى) فى الواحات الداخلة، والذى كان يربط وادى النيل ومنطقة الخليج (الأراضى الحجازية) بالغرب الأفريقى (دول المغرب)

النوبيون وسكان الواحات

تحمل الذاكرة الشعبية لسكان الواحات الداخلة - حتى الآن - بعض الحكايات (بالغة الأهمية) حول الهجمات الليلية المتفرقة لجماعات سود البشرة يأتون من الجنوب فى حملات على ظهور الإبل يسلبون وينهبون كل ماتطاله أيديهم من محاصيل وغنائم من مدينة موط تحديدا، فهى المعمور الثرى والكثيف الذى يقابل المهاجمين من الجنوب، حتى أن هذه الذاكرة الشعبية تفسر وجود أحد السود من سكان الواحات الداخلة الحاليين بأنه من مخلفات هذه الحملات، حيث لون البشرة السوداء لايوجد فى الواحات عموما سوى فى قرية باريس بالواحات الخارجة والتى كانت تبيع المؤن لقوافل درب الأربعين وهى كانت منفذا للضرائب المصرية على بضائع القوافل العابرة) مقابل بعض المرضى من الإبل والجوارى المريضات بسبب السفر الطويل لهذه القوافل، وهو ما يفسر انتشار لون البشرة السوداء بصورة ملحوظة، كذلك فى واحة سيوة، والتى وفد اللون الأسود اليها من قبيلة (التكارتة) من دارفور.

يقول المؤرخون أن دقلديانوس الحاكم الرومانى لجنوب الصعيد والواحات قام فى القرن الثالث الهجرى بنقل مجموعة من سكان النوبة وتكليفهم بحماية حدود مصرالغربية فى الواحات الداخلة، وذلك لإجادتهم ركوب الإبل والتعامل مع الصحراء ومخاطرها وهو مالم يكن يجيده سكان الواحات الذين لايجيدون سوى حفر الآبار والزراعة وما يتبعها من أنشطة، ورغم ذلك فإن غارات اهل النوبة لم تتوقف، فكانت جنودهم تحرس الواحات من غربها، وفى الوقت ذاته يشن النوبيون حملاتهم على الواحات من جنوبها...!!

وقد كانت آخرحملاتهم على الواحات الداخلة فى عام ٩٥١ م حتى انسحبوا بعد عقد اتفاقية صلح (فى دنقلة) بين النوبة من ناحية، وحاكم مملكة الواحات آنذاك (عبدون بن آل عبدون)

وجدير بالذكر أنه حتى الستينيات من القرن العشرين - حين كانت واحات الوادى الجديد تقع تحت ادارة سلاح الحدود - كانت الشرطة فى الواحات بأكملها من النوبيين السود، ممن كان يطلق عليهم اسم (الهجانة) وقد عاصر المؤلف هذه المرحلة بتفاصيلها التاريخية كشاهد عيان، فقد كان هؤلاء الهجانة ذوى خبرة وكفاءة بالغة فى عالم الصحراء الموحش، والعلم بمجاهل الحدود الغربية لمصر، حتى أنهم قد اشتهروا بفن (قص الأثر) الذى يعتمد على آثار الأقدام فى الرمال للتوصل الى إنسان أو حيوان - أفراد أوقطعان - ضلت طريقها فى الصحارى.

الواحات بين قبائل الغرب الأمازيغى والشرق العربى

وجدت القبائل العربية التى نزحت الى مصر فى أعقاب الفتح الاسلامى لمصر ضالتها فى الصحارى الملاصقة لنهر النيل وكان شرقة - بطبيعة الحال - هو القطاع الجاذب لدى بدو الجزيرة العربية، حتى يتمكنوا من ممارسة عملية الارتباع لذلك فقد كان الشاطئ الشرقى لنهر النيل هو أقرب النقاط للهجرة، واكثرها مناسبة للمواءمة بين ثقافة الترحال والصحراء وبين ضرورة الكلأ والماء واسباب الحياة وبالتالى فإن الواحات - تلك البقاع الصغيرة فى وسط الصحارى - البعيدة عن الوادى حيث المسافة اليها تصل الى ثلاثة أضعاف المسافة بين الجز يرة العربية وشاطئ النيل لم تكن تغرى هذه القبائل بالسعى اليها ـ ظل هذا الحال لقرابة مائة عام تقريبا حتى عرفت القبائل القادمة من الصحراء المغربية شمال

افريقيا الواحات - فقد عرفتها طريقا ومحطات سفر الى وادى النيل، والى الجزيرة العربية - كما عرفتها طريقا لامم افريقيا السوداء

وكما ذكرنا سابقا حول الاختلاف الثقافى فيما بين قبائل المغرب - البربر- وبدو الشرق - بدو الجزيرة العربية، فالجنس الاول، البربر (الأمازيغ) هم اقرب الى التلاقح والمزج الثقافى مع سكان الزراعة المستقرة، بينما الجنس الثانى بدو الجزيرة العربية هم كيان ثقافى مغلق لايسمح بالتلاقح لما تتسم به الثقافة البدوية من حدة وصرامة وضبط آليات الجماعة بداخلها .

ولعلنا نجد المثال الحى على ذلك فى واحة سيوة فان ثقافة البربر تشكل جانبا غالبا لدى اهالى الواحة، حيث يشهد تاريخ الواحة على عمق العلاقة الانثروبولوجية مع عدد من قبائل الأمازيغ الوافدة من الصحراء المغربية المجاورة (والسيويون يتحدثون باللغة الأمازيغية كلغة أولى حتى الآن)

بينما نجد قبيلة الشهيبات وهى من بطون قبائل بنى سليم والتى هى فى الأصل من الجزيرة العربية، نجدها تعيش على أطراف واحة سيوة فى قالب قبيلة مستقلة، لاتتزاوج مطلقا مع اهالى الواحة ولكنها فقط تعمل فى مجال النشاط التجارى القائم على منتجات الواحة من البلح والزيتون.

وتلك هى الحالة التى تعد مثالا معبرا تماما عن الفوارق الحادة بين ثقافة البدو من ناحية، وبين ثقافة الأمازيغ من ناحية أخرى، ممن يطلق عليهم اسم المغاربة وهم البربر و من المعروف ان قبائل بدو الشرق هم من كانوا فى طليعة جيوش الفتح الاسلامى لمصر بينما كانت قبائل الغرب الأمازيغية فى علاقة تاريخية مستمرة مع الواحات

وكانت المرحلة الاستكشافية لأمازيغ الغرب للواحات تتمثل فى قوافل التجارة ورحلات الحج التى كانت تخترق الواحات الداخلة الى الصعيد الأوسط، ثم الى ميناء (عيذاب) الذى يقع فى منطقة مدينة القصير الحالية، على شاطىء البحر الأحمر،تعبر الى أرض الحجاز، كما كانت قوافل التجارة من الصحراء الغربية الى الواحات الداخلة التى كان يتفرع منها طريقان، الأول شرقا الى وسط الصعيد،والثانى الى دارفور فى افريقيا.

من هنا لعبت الواحات الداخلة دور محطة المفصل بين غرب افريقيا وشرقها وجنوبها فى آن واحد، وكانت تلك هى الارهاصة الأولى - او لنقل الوحيدة - التى يسجل فيها التاريخ علاقات ثقافية متوسطة بين جماعات الواحات، والمجتمعات الأخرى، بعد الفتح الإسلامى لمصر.

وقضية تحديد التاريخ الذى انضمت فيه الواحات الى الحظيرة الإسلامية، تحتاج الى دراسات متأنية، ومناقشات هادئة، وذلك على ضوء المعطيات المعلوماتية القليلة المتاحة.

فى هذا الصدد، يقول الدكتور سليمان حزين، انه ينبغى ملاحظة أن العرب انما هاجروا من جزيرتهم وباديتهم - بعد مرحلة الفتح العسكرى - ليستقروا فى بلاد أغنى منها، وأيسر حالا، كسهول دجلة والفرات، فلم يكن غريبا أن تشغلهم خصوبة وادى النيل التى لم يروا مثلها فى شبه جزيرتهم العربية،

ينبغى ان نلاحظ أن هذه الواحات النائية، كانت دائما ملجأ هادئا للراغبين فى الرهبنة والعزلة، والانزواء فى الصوامع والأديرة، بل أن كل مظاهر الحياة بها كانت مركزة فى هذه الأديرة والمعابد (مثل أديرة وادى النطرون ومدينة كنائس البجوات بالخارجة، وقرية

المقابر المسيحية فى أسمنت الخراب بالداخلة) فى حين جاء العرب بالدين الجديد، والذى حمل شعار : لا رهبانية فى الاسلام...

تضافر هذان العاملان وغيرهما فى إهمال العرب لهذه الواحات، فلم تعد تحسب فى الولايات، ولا فى الأعمال، وكان ذلك فى وقت بدأت تقوى فيه دويلات نوبية فى الجنوب من ناحية، وقوى البربر (الأمازيغ) فى الشمال والغرب الافريقى من ناحية أخرى.

استطاعت هذه القوى ان تشن غاراتها دون أن تلقى مقاومة من قوة حامية، أو سلطان يدافع، فأصبحت هذه الواحات الجنوبية غنيمة لقبائل النوبة من الجنوب، وغزوات الأمازيغ المطاردين من فلول الرومان من الشمال الغربى، وهو ما زاد من حجم تخريب وتدمير ما عمره الرومان فى الواحات.

ويقول المسعودى : (فى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة من الهجرة، سار ملك النوبة فى جيش عظيم الى الواحات، فأوقع بأهلها، وقتل منها، وأسر كثيرا من سكانها ...)

ولعلنا، وبعد هذا الطرح الواجب، لبعض الرؤى التاريخية للواحات من خلال ما أمكن العثور عليه من الكتابات والدراسات التاريخية، أن نحدد الملامح العامة للتكوين السكانى للواحات

حيث كان البعض يتكهن بان قاطنى الواحات ماهم الا بعض المهاجرين من منطقة المغرب العربى، بينما يقول آخرون بانهم قادمون مع الفتح العربى الاسلامى لمصر وراى ثالث يتجه الى قدوم السكان من الجنوب عن طريق درب الاربعين

الفصل الثالث

تيارات التغير الثقافى فى الواحات

من أهم ما تتسم به الشخصية الواحية،هو القابلية المفرطة فى الأخذ عن الوافد، فقد فرضت العزلة التاريخية على تكوين هذه الشخصية عنصرا مهما فى كيانها، يتمثل فى ان الوافد أرقى وأكثر تقدما، وأعظم حكمة، وهى ما يطلق عليها - ثقافيا - مرحلة الانبهار، وهنا نود الاشارة الى ان هذه السمة هى سمة الاختلاف بين ثقافة الواحات من ناحية، وثقافة البدو من ناحية أخرى ، فالأخيرة تتسم بالذاتية المفرطة، التى تنظر الى الآخر وتوسمه بالدونية، وبالتالى فهى لاتأخذ منه الا بحذرشديد، بعكس ثقافة الواحات المنفتحة على كل ما هو وافد، لذلك كان للتيارات الثقافية الوافدة اثر كبير عليها. وربما كانت هذه السمة المهمة فى الشخصية الواحية سببا مباشرا فى محاولة الكثيرين من اهل الواحات إرجاع نسبهم الى مناطق خارج الواحات، سواء من وادى النيل، أو الجزيرة العربية، أو المغرب العربى، وبرغم أن جانبا كبيرا من هذه الادعاءات يمكن ان تكون لها نصيبا من الصحة، الا ان هذا لايمنع من مخالفة جزء كبيرمنها للحقيقة، أولنقل تحتاج الى تدقيق..

وتعود هذه الظاهرة فى مجملها الى عدم الاهتمام بما يسمى بعملية التنسيب، بصورة متوارثة وموثقة، وهذه واحدة اخرى من

ألفوارق الجذرية بين الثقافة الواحية من ناحية، والثقافة البدوية من ناحية اخرى، حيث يحرص البدو على الشجرة القبلية، بصورة تاريخية موثقة ومتوارثة وواضحة بدرجة لايشوبها اى لبس، ومراعاتها فى كل مناحى الحياة،من حيث علاقات التزاوج، والخلافات، والحروب، والقضاء العرفى....الخ

لذلك فإن غياب التنسيب الموثق لسكان الواحات، يعد من اهم المشكلات التى يواجهها من يتعرض لدراسة الأصول السكانية ، والجانب الأنثروبولوجى لهذه المجتمعات.

كان للتيارات الثقافية الوافدة للواحات اثر ليس قليلا على مكون الثقافة الشعبية فى هذه المناطق، على اختلاف ظروفها الجغرافية، فنجد التأثير الواضح لثقافة الأمازيغ - من صحراء المغرب العربى - يظهر فى العديد من السمات الثقافية لواحة سيوة وصل فيها الى حد اللغة الاولى للمواطن السيوى ، بينما نجد بعضًا من عناصر الثقافة البدوية قد تزاوجت مع ثقافة الواحات فى البحرية، اما فى باريس بالواحات الخارجة ففيها تأثر بثقافة الجنوب الافريقى، حيث كانت محطة المعبر الحدودى لمصرالى افريقيا على طريق درب الأربعين،

اما الواحات الداخلة، فقد كانت بوتقة واسعة لاستقبال العديد من المؤثرات الثقافية،

فلم تقتصر المؤثرات الوافدة لها على الجوار الجغرافى، الذى يأتى عادة فى شكل الهجرات غير المنتظمة،والتسرب من خلال حالات (الاستبقاء) والاستقرار للعابرين لطرق السفر ، انما تخطت حدود الجغرافيا الى ميراث التاريخ العسكرى المتمثل فى غزوات القبائل الأمازيغية القادمة من الغرب الافريقى التى بدأت مع

مواجهات هذه القبائل لجيوش الرومان، وقد كانت الواحات من أهم مناطق العمران الزراعى الرومانى آنذاك . .

واذا ما حاولنا تشخيص التيارات التى كانت لها التأثير المباشر، وغير المباشر على عملية بناء وتكوين الشخصية (الواحية) بعامة، والمرأة بصفة خاصة، فقد شهدالقرن الماضى منذ بداياته الأولى، عدة إرهاصات للتغير الثقافى والاجتماعى والمادى البطىء، بعد حالة - طويلة نسبيا - من الثبات والركود الثقافى ظلت لمئات من السنين، وقد جاء هذا التغير فى مجمله خارجى المصدر، مخترقا حالة العزلة التاريخية للواحات، تلك العزلة التى فرضتها خريطتها الجغرافية المنزوية فى أقاصى غرب صحراء مصر، أشد الصحارى فى العالم وعورة، ولكى نتناول عوامل وعناصر التغير هذه، فيكون من الأيسر أن نفصل بين التيارات التى وفدت قبل القرن العشرين (القديمة)، عن تلك التى حدثت بعده وخلاله، ونعدها من التيارات الحديثة .

أولا : التيارات القديمة

كانت الواحات الداخلة هى عاصمة مجموعة الواحات المصرية كلها، لتوسط موقعها على طريق السفر من افريقيا الى المغرب، وقبل العصر الاسلامى، كانت محطة السفر التى تربط بين المسيحيين الافارقة، وبطريرك الكنيسة فى الاسكندرية، لذلك كانت الواحات الداخلة مصدرا لأكبر خراج اقتصادى، بحكم اتساع رقعتها الزراعية، وتعداد قوتها البشرية، وهى كذلك حتى الآن.

ومنذ العصور الفرعونية، كانت مدينة موط هى الموطن الأساسى للادارة، وذلك بحكم موقعها الذى يمثل زاوية، أحد أضلاعها يتجه شرقا، بينما الضلع الآخر يتجه شمالا، وفى العصور المتقدمة

الفرعونية اتخذت بلاط الحالية مقرا لحاكم الواحات، ثم تحول المقر الى مدينة موط مرة أخرى، ثم الى قرية القصر فى بداية العصر الأيوبى، ثم الى قرية القلمون فى العصر التركى (العثمانى) ثم الى موط والى الآن.

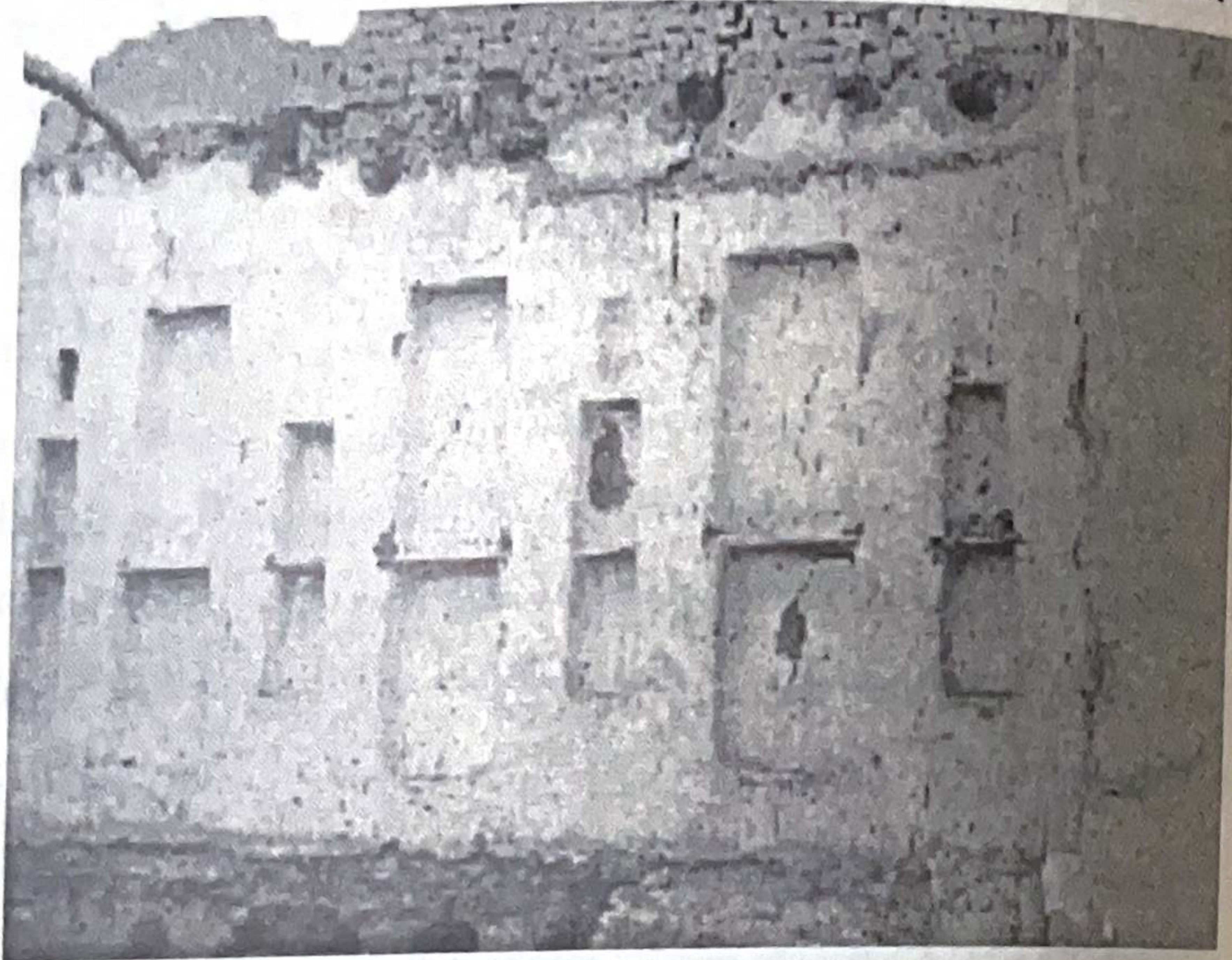
ومثلما كانت الواحات الداخلة عاصمة لمملكة الواحات - كما يقول ابن حوقل - فى العصور قبل الاسلامية، فقد ظلت ايضا عاصمة بعد دخول الاسلام، وقد كانت مقرا لآل عبدون الذين كانوا يحكمون الواحات آنذاك، وهناك العديد من الوثائق التى تؤرخ لقرية القلمون بالداخلة، التى كانت عاصمة ومقرا لقاضى الشرع الشريف لإقليم الواحات وجرجا (وننشر صورا فوتوغرافية لوثائق ملكية تحمل خاتم وتوقيع قاضى الشرع الشريف بالقلمون،تعود الى عام ١٢٣٣هجرية، أى منذ حوالى مائتى عام)،وهى متضمنة فى الباب الخاص بالعادات (عادات توزيع مياه الآبار)

وقد ظل هذا الوضع قائما حتى نهاية عصر محمد على.

ومع وصول حاكم الواحات الذى كان يدعى طنبور التركى بأسرته الى القلمون، تخلقت اول ثقافة طبقية فى الواحات، فيما عرف بطبقة الملاك ، وطبقة الفلاحين، والطبقة التركية كان يطلق عليها لقب السيهات، حيث كان يسبق الاسم لقب (سى)، وكان من الطبيعى عدم قيام علاقات زواج فيما بين الطبقتين،ومن أشهر عادات نساء الطبقة العليا التركية الأصل،هى عدم الخروج من المنازل الا ليلا، بعكس نساء طبقة الفلاحين فقد كن يخرجن نهارا، لمعاونة الرجل فى العمل الزراعى، وحتى الآن تعيش هناك سلالات لعدد من العائلات التركية فى قرية القلمون، مثل عائلات الشاهد (والتى كانت تتولى تسجيل عقود الملكية) وعائلة الكاشف (التى

كانت تتولى تحصيل الضرائب) وعائلات طنبور، وغيطاس، والباشا، وهم من حكام الواحات فى السابق، وتستطيع أن ترصد خلال جولة حالية داخل الكتلة العمرانية القديمة للقلمون (فى منطقة الوسط) التى كان يسكنها علية القوم من الأتراك، تلك الغرف الواسعة التى تحمل جدرانها أرففا حائطية ننشر احدى صورها الفوتوغرافية، كانت تستخدم فى حفظ الدفاتر والكتب والمخطوطات..!!

كما يشهد العديد من المعمرين فى الواحات حاليا بأن القلمون ظلت لعهود متتالية مصدرا للحرف والصنائع المتخصصة فى نجارة خشب السنط، والحدادة، وفنون حفر الآبار، واقامة السواقى على العيون الفرعونية التى لم تعد مياهها تتدفق ذاتيا . ويبرهن المعمرون على ذلك بانتشار الملكيات الزراعية المرتبطة بملكية مياه الآبارلعدد كبير من العائلات التى تنحدر أصولها من قرية القلمون.



جانب من جدار مكتبة فى منزل أحدالأعيان - القلمون القديمة الداخلة

ثانيا: التيارات الحديثة

(التحول الأكبر)

١. هيئة تعمير الصحارى

فى عام ١٩٦١ كانت بداية وصول اولى قوافل التعمير الى الواحات الداخلة والخارجة، فى مرحلة تاريخية شهدت انقلابا حضاريا وثقافيا واقتصاديا فى كلتا المنطقتين، الخارجة والداخلة، وان كانت الاولى أقل تأثرا من الثانية، بسبب موقعها القريب - نسبيا - من الصعيد الأوسط، بالإضافة الى كونها العاصمة الادارية للمحافظة، التى تستقطب - بالضرورة - عناصر بشرية لازمة للحكم والادارة.

فقد كانت الواحات الخارجة - قبل وصول قوافل التعمير - عاصمة ادارية لمحافظة الصحراء الجنوبية، منذ عام ١٩٢٢. والتى تغير اسمها ليكون محافظة الوادى الجديد اعتبارا من عام ١٩٦١. وبذلك كانت الواحات الخارجة اكثر الواحات المصرية تعرضا للتيارات الثقافية الوافدة، فمنذ العصور الوسطى وحتى العصر الحديث، شهدت الخارجة واستقبلت تيارات ثقافية مختلفة المصادر، منها لكونها محطا ومعبرا وبوابة لمصرعلى طريق درب الأربعين الذى ظل طريقا للربط الحضارى والتجارى بين مصر وشمال افريقية من جهة، والأمم الأفريقية فى الجنوب من جهة أخرى، ومن أهم ما يمكن الإشارة اليه من عناصر كانت شديدة التأثيرالثقافى على منطقة الخارجة، هى تجارة الرقيق الوافدة من افريقية عبر درب الأربعين، حيث كان بعض تجار هذه السلعة يبادلون اهل الواحات الخارجة عددا من الرقيق، مقابل تزويدهم بالمؤن اللازمة للمسافرين، والأعلاف لقوافل الإبل.

وقد كان لهذه الظاهرة أثرا كبيرا - على المدى القريب والبعيد - فى التركيبة السكانية، خاصة فى منطقة باريس والخارجة.

كذلك، ومنذ ان تحولت القيادة فى محافظة الصحراء الجنوبية لتكون تحت ادارة سلاح الحدود، الذى كان يحكم - ايضا - محافظات سيناء، واسوان، والصحراءالغربية (مطروح - واحة سيوة - الواحات البحرية - واحة ألفرافرة) فقد تبع ذلك انتقال اعداد هائلة من عسكر وهجانة الحدود خاصة من سيناء واسوان الى الواحات الخارجة بصورة مكثفة، واقل منها الى الداخلة. وقد كانت هذه الهجرة (الرسمية) عاملا مهما فى التأثير الثقافى الوافد على الواحات الخارجة تحديدا،والداخلة بصورة أقل.

أيضا، فقد كان لقرب الواحات الخارجة من بلدان وادى النيل - وهى اقرب الواحات المصرية الى خط النهر - سببا مباشرا فى استقبال حركة التجارة من والى منطقة الصعيد، وبالتالى كان طبيعيا ان يستقر عدد كبير من تجار الصعيد فى الواحات الخارجة بأسرهم واقاربهم، فقد كانت بلاد الصعيد الأوسط - آنذاك - مناطق طاردة، بعكس مناطق الواحات التى كانت وقتها بكرا،تقبل، بل تشجع على الوفادة البشرية، خاصة فى تلك النشاطات التى لم تدخل قبلا فى ثقافة السكان المحليين، تلك الهجرة التى ما لبثت حتى تحولت الى استقرار، وذوبان اجتماعى لكل هذه الفئات الوافدة.

لذلك، فالواحات الخارجة كانت قد اتخذت تكوينا سكانيا خليطا مستقرا، لايحمل من الخصوصية الثقافية التى تتسم بها الواحات عموما،تلك الخصوصية التى طالما حافظت عليها العزلة التاريخية والجغرافية أيضا.

لكل هذه الأسباب كانت الواحات الخارجة اقل الواحات تأثرا من الناحية السكانية والثقافية، عند وصول قوافل التعمير (الحكومى) اليها عام ١٩٦١.

لكن الأمر كان مختلفا فى الواحات الداخلة، التى تبعد عن الواحات الخارجة بمسافة مائتى كيلو متر فى اتجاه الغرب، والتى عاشت فى خصوصية ثقافية لعهود طويلة، بسبب عزلتها الجغرافية عن مناطق الاحتكاك الثقافى الأخرى.

وواقع الأمر، انه يمكن القول بأن الواحات الداخلة كانت هى الأكثر اغراء وجاذبية لقوافل التعميرالجديدة الوافدة لعدة أسباب، منها :

١ـ أن الواحات الداخلة هى أكبر الواحات المصرية من حيث حجم المخزون الجوفى لمياه الآبار، وهو ما يشكل عاملا مساعدا مهما فى انجاز خطط التنمية الزراعية، التى تستهدفها قوافل التعمير بصفة أساسية.

٢ـ ان السكان بالداخلة يتميزون بثقافة زراعية فائقة،قلما تتوافر فى باقى الواحات الأخرى.

٣ـ أن التعداد السكانى بالداخلة هوالأعلى، مما يساعد ويضمن توفير الأيدى العاملة الزراعية المدربة، التى تتطلبها التنمية الزراعية.

٤ـ أن المعمور البشرى فى الداخلة، موزع على مسافات متباعدة جغرافيا، مما يضمن التواجد البشرى المسبق، فى خطة التوسع الزراعى، وهوما يوفر على الخطة الإنفاق على خلق مجتمعات فى مناطق مستحدثة، وما يتطلبه ذلك من تكاليف البنية الأساسية لمثل هذه المستعمرات الجديدة، ويكفى ـ للتدليل على قرية بلاط وحدها كانت تضم - عند وصول التعمير الحكومى - عدد٥٨ تابعا، يضم كل واحد منها عددا من العائلات التى تمارس العمل الزراعى على مياه العيون القديمة والسواقى،

وسط مساحات شاسعة من الأراضى القابلة للزراعة، ما أغرى صاحب القرار التنموى،باتخاذ هذه (التوابع) نقطة الانطلاق والتوسع، وهو ما لم يتوفر فى الواحات الأخرى.

استطاعت (هيئة تعمير الصحارى) وهو الجهاز الرسمى الذى انيطت به مهام تعمير الوادى الجديد،ان تحدث انقلابا جذريا فى منطقة الواحات الداخلة، على المستويات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية ، لذلك كانت بحق، هى اهم واكبر المؤثرات الثقافية الوافدة الحديثة فى الداخلة. ولعل اللافت للنظر، هو ان هذا التغير - او التغيير - الانقلابى، جاء فى مدة زمنية شديدة القصر، اذا ما قورنت بآثارها التى خلفتها بعد رحيلها، اذ لم يصل عمر هذه الهيئة العمرانية الى أكثر من تسع سنوات فقط، وهو زمن لا يمكن له ان يحدث مثل هذه التغييرات فى اى مجتمع آخر، ولكن قدرة الواحات الفائقة على تقبل اية عناصر وافدة، كانت هى المبرر الأوحد لهذه النتائج التى حدثت على أرض الواقع.

لهذا فاننا يجب ان نعرض لبعض مما سلكته هذه الهيئة العمرانية الجديدة، فى هذا المجتمع الواحى المعزول منذ زمن ليس بالقصير، خلال مدة بالغة القصر !!!

اولا : كانت رحلة السفر من الواحات الداخلة الى الواحات الخارجة (اقل من مائتى كم) تقطعها سيارات نقل الركاب الى جانب البضائع - مع الأبقار أحيانا - فى مدة تتراوح بين ٢٤ الى ٣٦ ساعة، وتستكمل الى القاهرة فى ثلاثة أيام أخرى !!

فقد كان درب الغبارى القديم، هو الطريق غير الممهد والذى كثيرا ما كانت تغوص عجلات العربات فى رماله فى بعض المسافات، وتتخطى الجبال والهضاب صعودا وهبوطا فى مسافات

أخرى، مما كان يجعل من الانتقال بين الداخلة و ا لخارجة، ضربا من المغامرة !! وقد كان يوم الثلاثاء اسبوعيا هو فقط اليوم المحدد للسفر،

كانت أهمية هذه الرحلة اشد ما تبدو، فى سفر طلاب المدرسة الثانوية الى الخارجة، حيث لم يكن هناك بالداخلة سوى المستوى التعليمى الإعدادى (حتى عام ١٩٦٢)

وبالتالى فلم يكن من المتاح لهؤلاء من صغار التلاميذ، الا ان يكتفوا بزيارة اهليهم فى الداخلة- فقط - فى أجازة نصف العام، على الأكثر !!

وعلى درب الغبارى هذا كانت هناك العديد من العلامات التاريخية والمعتقدية، خاصة ان هذا الدرب كان هو طريق السفر من وادى النيل الى المغرب العربى،والعودة، وبالتالى فقد كان بالنسبة للمغاربة هو طريق الحج والتجارة، عبر الواحات، ثم قوص بالصعيد الأوسط، ومنها الى ميناء عيذاب (القصير) على البحر الأحمرثم الى الأراضى الحجازية، وهناك العديد من الأحداث والروايات التاريخية التى ارتبطت بهذا الدرب، منها على سبيل الأمثلة :

منطقة المغربى والتى تبعد عن الداخلة بمسافة ١٢٠كم الى الشرق، وقيل انها كانت تضم ضريحا لأحد المشايخ المغاربة، وقد توفى فى هذا المكان،وهو فى طريق عودته من الحج عائدا الى بلده فى المغرب، فدفن فى هذا المكان، وصار الموقع مزارا للمسافرين، ومحطة للراحة الجسدية والنفسية ايضا، ومكانا لتناول الوجبة التى يطلق عليها اهل الداخلة (أكل السكة)

ومما زاد من قوة هذا المعتقد الشعبى لدى اهل الداخلة، حول هذا الشيخ صاحب الضريح (المغربى) هى تلك الواقعة الحقيقية

(تاريخيا) والتى ننقلها عن اللواء رفعت الجوهرى، مؤرخ سلاح الحدود، فى سرده لأحداث محاولة الغزو السنوسى للداخلة، حيث يقول :

(فى يوم ١٠ من مايو سنة ١٩١٦ قامت قوة من الأستراليين،يبلغ عددها عشرين، ومعها مستر اومسترنج، والشيخ محمد سعيد بقصد اكتشاف طريق الداخلة، وقد وصلوا الى (المغربى) وهى نقطة فى الجبل تقع فى ثلث طريق الصحراء ما بين الخارجة والداخلة، وهناك تقابلوا مع طيارتين كانتا تكتشفان جيوش السنوسية بالداخلة، وقد اطلقتا القنابل على موط وهى عاصمة مركز الواحات الداخلة، والراشدة، وعادت دورية الكشافة بالطريق ما بين اسيوط والخارجة، فقام الشيخ محمد سعيد ومعه كل ما يلزم لإحضار حطام الطائرتين على ا لعربات، وفعلا عاد بأجزائها يوم ٢ من يونية، ولم يصب ركابها بضرر.

وفى شهر يونية، سقطت طيارة ما بين الداخلة والخارجة، فقامت للبحث عنها قوة من ا لجيش البريطانى، يرافقها الشيخ محمد سعيد، وقد وجدت بجوار (المغربى) وهى نقطة ما بين الخارجة والداخلة، الا انه وجد راكباها قتيلين، احدهما قتل نفسه، والآخر قتلته الحادثة، وقد دفنا هناك، وعادت القوة البريطانية بالطيارة المكسورة يوم ٢٦ من يونية سنة ١٩١٦ . وقد استحضرت هاتين الجثتين فى سنة ١٩٢١ وارسلتا الى المنيا، لدفنهما فى مقبرة الجيوش هناك)

هذا مايرويه ـ نصا ـ اللواء رفعت الجوهرى، من واقع السجلات اليومية لسلاح الحدود.

ولعل حوادث الطائرات البريطانية، وسقوطها فى منطقة (المغربى) تحديدا، بعد قصفها لسكان الواحات الداخلة، يكون مبررا

قويا لأن يعتقد الجميع فى (بركة) وقداسة هذا الشيخ المغربى، وهو مايبرر أن يتخذ المسافرون من موقع ضريحه على طريق درب الغبارى محطة للراحة والمبيت به أثناء السفر لواحة الخ ارجة.

يمر درب الغبارى أيضا على منطقة (الغراب) وهى قبل الوصول الى واحة الخارجة بمسافة ٣٠ كم، وكان المسافر على هذا الطريق يستطيع ان يرى بقايا خط سكة حديدية فى منطقة الغراب هذه.

ومنطقة الغراب لها - ايضا ـ قصة تاريخية، تعود الى شهر اكتوبر من عام ١٩١٦ اثناء محاولة الاحتلال السنوسى الليبى للواحات الداخلة، وتحرك القوات المصرية مع القوات الإنجليزية عبر الواحات الخارجة، متجهة الى الداخلة لتحريرها من الغزاة،وبهدف نقل القوات العسكرية الى منطقة المعركة، شرعت فى انشاء خط للسكة الحديدية، حتى وصل هذا الخط الى منطقة الغراب، حينئذ علم الغزاة بقدوم جنود مصر وبريطانيا، ففروا هاربين منسحبين شمالا الى الفرافرة ثم الى الواحات البحرية، واسم الغراب هذا يعود الى (غراب) المياه، الذى يقوم بتزويد القطار بالمياه اللازمة من خلال البئر التى تم حفرها فى الموقع.

كان درب الغبارى هذا، هو النافذة الوحيدة التى يمكن ان يطل منها أبناء الداخلة على اقرب مناطق العمران فى مصر، وقد شكلت صعوبة السفر خلال هذا الدرب أولى صور العزلة الثقافية، تلك العزلة التى دامت حتى وصول هيئة تعمير الصحارى.

وخلال اقل من عام، قامت هيئة التعمير برصف هذا الطريق، فى نفس مسار درب الغبارى، ذلك الاسم الذى لم يعد يعرفه احد الا من خلال الخرائط القديمة، حتى النقاط والمحطات التى كانت شهيرة فيما مضى، اضحت فى طى النسيان، رغم ارتباطاتها

الوثيقة بتاريخ المنطقة، الذى يحمل أحداثا لم يمض عليها الا ما يقارب ٩٠ عاما فقط، فقد اصبح المسافر يقطع المسافة من الداخلة الى القاهرة فى حوالى عشر ساعات فقط،،،وبالتالى فقد ذاب العديد من العناصرلثقافية المميزة للسكان،مع سهولة ويسر الاتصال بوادى النيل بكل ربوعه، وثقافاته المختلفة.

لذلك كانت عملية رصف طريق الداخلة، الخارجة / درب الغبارى سابقا، خلال هذه المدة الوجيزة، تعد فاصلا ثقافيا حاسما، أنهى العزلة التاريخية الضاربة فى القدم، وبرغم ذلك، فأنه لم يصب الخصوصية الثقافية بكل مكوناتها المحلية، ولكنه، وبشكل مؤكد، استطاع أن يدهس (السيرة الذاتية) لدرب الغبارى، بما تحمله من قصص وحكايات الشيخ المغربى وكراماته، التى تبخرت سريعا، مع دخان المركبات التى تتسابق على اسفلت الطريق الجديد..!!

ثانيا : استخدمت هيئة التعمير الحفارات العملاقة فى حفر الآبار الجوفية، من تلك النوعية التى تستخدم فى حفر آبار البترول، والتى كان يطلق عليها اسم (بريمة) وبعد أن كان الأهالى يحفرون آبارهم بآلة (الدولاب) التى تستغرق قرابة خمس سنوات لحفر بئر واحدة، اصبح الأمر لا يستغرق أكثر من اسبوع واحد، اضافة الى أن تكاليف الحفر - فى عصر هيئة التعمير - كانت تتحملها الحكومة كاملة، دون تحمل الأهالى لأية أعباء مالية.

وبذلك تسببت هيئة التعمير فى توقف الأهالى عن حفر الآبار بالطريقة التقليدية، وان كان هذا التوقف ظل مؤقتا، الى أن عاد الدولاب البلدى مرة أخرى بعد انسحاب الحكومة من توليها

مسئولية التعمير، وقد عاد الدولاب مطورا بصورة نسبية ، ولكن لم تعد معه الأغانى التى كان الرجال يتغنون بها أثناء العمل فى الحفر.

ثالثا: كما ذكرنا، فقد كان ضمن المغريات التى جعلت هيئة التعمير تتجه بثقلها نحو الواحات الداخلة بصورة اكثر تركيزا عما عداها من واحات أخرى، كانت وفرة العمالة الزراعية المدربة والماهرة،خاصة وأن حرفة الزراعة هى مكون ثقافى بالدرجة الأولى.

وفى ذلك نذكر التجربة التى حاولت هيئة التعمير تنفيذها، فى بداية عهدها بالعمل فى المنطقة، حين قامت – لتنفيذ خطة غير مدروسة للحكومة تهدف الى توطين البدو – بتمليك أراض زراعية ومساكن لمجموعة من البدو (من قبائل اولاد على) ممن كانوا يترددون على شمال الواحات الداخلة، يعيشون على سلب ونهب محاصيل الفلاحين، فلم تشهد هذه المحاولة الا الفشل الذريع، بسبب ما نؤكد عليه دوما، وهو ان الزراعة ثقافة، وثقافة البدوى لا تتفق مطلقا مع هذا النشاط المستقر. بل أن علاقة البدوى بالفلاح تصل عبرتاريخها الى حد العداء.

وقبل قدوم هيئة التعمير الى المنطقة، كان فلاح الواحات الداخلة يتسم بدرجة عالية من الخبرة والنشاط والمثابرة، والدليل على ذلك هو هذا الكم الهائل من الانتاج الحيوانى الذى يتم تصديره الى الواحات الخارجة، والواحات البحرية، والفرافرة، وبعض مدن اسيوط، منها مايتم تصديره بطرق شرعية، ومنها بطرق التهريب، بسبب انخفاض السعر المحلى ، مع توافر الانتاج.

وقد كان العمل الزراعى، هو النشاط السائد تماما دون غيره، وكان نظام الأسرة الممتدة، هو النمط الاجتماعى الغالب للسكان

(والأسرة الممتدة هو نظام اجتماعى يسمح بزواج الأبناء فى منزل أبيهم) وبالتالى يكون الأب الكبير دائما هو ولى الأسرة، بمن فيهم من الأبناء الرجال المتزوجين وابنائهم ايضا، وكانوا جميعهم يعملون فى زراعة أراض وآبار الأسرة، مهما كان حجمها، كبيرا، ام محدودا .

لهذه الاسباب وغيرها، سعت هيئة التعمير الى فلاحى الداخلة لجذبهم للعمل بها، متبعة اسلوب ونظام الأجر باليومية، واذكر ان هيئة التعمير كانت تعطى أجرا يوميا للعامل قدره عشرون قرشا، بما يوازى ستة جنيهات شهريا.

ولما كانت الزراعة فى المنطقة ليست بذات العائد المادى الذى يغرى بالتمسك بها كنشاط منفرد (نظرا لوفرة العرض مع تدنى الطلب)، فقد سعى كل رب أسرة (ممتدة) الى تشغيل معظم الأبناء من الرجال فى هذا العمل (الحكومى) الجديد، الذى يدر دخلا نقديا سائلا بصفة شهرية خاصة اذا كان ما يقومون به من عمل، يدخل فى دائرة العمل الشكلى والصورى، شأنه فى ذلك شأن معظم العمل الحكومى، بمفهومه التقليدى فى مصر عموما.

وهنا نستطيع ان نسجل مدى التأثير الاجتماعى والثقافى لهذه الظاهرة التى تسيدت مجتمع الواحات الداخلة، خلال فترة تواجد مؤسسة التعمير، والى ما بعدها ايضا، وهوما يتجلى فى بعض الصور التالية :

١ـ مع اتجاه معظم الأيدى العاملة فى العمل الزراعى، الى العمل الحكومى، أهملت الزراعة المحلية التقليدية بمحاصيلها التى كانت تغذى المجتمع المحلى بالاكتفاء الذاتى، واتجه الفلاحون الى شراء معظم طعامهم !!

٢ـ مع الاعتماد على هيئة التعمير فى حفر الآبار التى تغذى زراعات الأهالى، وعدم تمكنها من تلبية كل احتياجات المياه فى المنطقة،

فقد جفت معظم الأراضى، والعيون القديمة، دون استعواض لها، مع ترك الأهالى للعمل الجماعى فى حفر الآبار بالطرق التقليدية القديمة، نظرا لما تتطلبه من قوى بشرية متفرغة، وجهد لا يقدر عليه من اعتادوا العمل الحكومى.

٣ـ أهملت هيئة التعمير بصورة تامة، زراعات النخيل، فلم يكن انتاج البلح ضمن أجندتها،حيث اقتصرت خطتها - فقط - على محاصيل الغلال بغرض التصدير الى العاصمة، وذلك بهدف سرعة عرض انجازات الهيئة على مسئولى الحكومة، ولما كان النخيل من الأشجار التى لاتثمر الا بعد مرور خمس سنوات على الأقل،اذن فهو من المحاصيل ذات النفس الطويل، التى لا تسعف بعرض النتائج العاجلة، وقد كان فى ذلك تجاهلا تاما لعنصر ثقافى مهم للغاية، فى ايكولوجيا الحياة فى الواحات، التى ظلت لقرون عديدة تعتمد فى كل مناحى حياتها على النخلة،بكل مكوناتها، وليس ثمارها فقط.

ولأن البلح يشكل أهمية خاصة وهو العنصر الثقافى الأهم فى حياة الواحات، فقد عادت رعايته من جديد، بصورة غير مسبوقة، وقد كان الدافع الى هذا البعث الجديد، هوتلك المصانع العديدة التى تتولى تعبئة وتغليف ثمار البلح، بهدف تسويقه وتصديره، وبالتالى فقد أضحى هذا المحصول نشاطا اقتصاديا بالغ القيمة، ما جعل زراعة اشجار النخيل ورعايتها المستمرة، تأخذ مكان الصدارة بين الانشطة الزراعية الأخرى دون منازع.

ولعل ذلك ما يعد مؤشرا مهما فى خصوصية الثقافة الزراعية فى المنطقة، التى تتمثل فى اهتمام شباب الفلاحين بهذا المحصول المحلى المهم.

٤ـ من تجليات الدخول النقدية الشهرية فى صورة رواتب، ظهور المقاهى التى تعج بالرجال والشباب، ممن كانوا - فيما مضى - يقضون يومهم كاملا من قبل الشروق الى ما بعد غروب الشمس فى حقولهم، بصفة يومية، خاصة والحقول تبعد عن المساكن بمسافات بعيدة، حتى انك حينما كنت تصادف رجلا فى شوارع الواحة فى غير يوم الجمعة، فإن عليك ان تسأله عن صحته، فمن لايخرج الى الغيط فى يومه، لابد وأن يكون مريضا !!!

لذلك عجت المقاهى بكل هؤلاء، وقد تبدلت ملابسهم الى الأحدث والوافد من الأزياء، واختلط الشباب من ابناء البلد، بالوافدين من أبناء وادى النيل العاملين فى هيئة التعمير، وتكونت بينهم علاقات، فى العمل، والمقاهى، والمنازل أيضا.

وقد كان لذلك الأثر الثقافى الهائل على الشخصية المحلية، خاصة ان معظم هؤلاء الوافدين لم يعودوا الى بلادهم، بعد زوال مؤسسة التعمير، لتفضيلهم البقاء والحياة فى الواحات.

كان أثر هذا العنصر فى منظومة التغير الثقافى الذى احدثته هيئة التعمير، يكمن فى تحويل فلاحى الواحات الى صفوف العاملين الزراعيين بها، ثم من عمالة مؤقتة باليومية، الى عمالة دائمة (مثبتة) مع نقلهم الى قوة العمل الحكومى فى مجلس المدينة (الادارة المحلية) وقد جاء هذا الإجراء بمثابة الرشوة، مقابل السكوت عن الانسحاب المفاجئ لهيئة التعمير من المنطقة، وما كان يمكن ان يحدثه ذلك الهروب من آثار اجتماعية واقتصادية، اما الخلل الثقافى الذى خلفته هذه الهيئة، فلم يلق اية اهتمامات، او دراسات تذكر، بل لعلنا نستطيع ان ندعى اننا اول من يتعرض لهذا الأمر، وذلك لما يمثله من اهمية بالغة،خاصة عند التعرض لدراسة

التاريخ الثقافى لمنطقة الواحات الداخلة، بمنهج علمى وميدانى وتاريخى أيضا !!!

ولكن، لعل العزاء فى تلك الآثار المترسبة جراء هذه المرحلة، وانسحاب التعمير الحكومى ،الذى لم يدم عمره لأكثرمن تسع سنوات، مع ثبات الثقافة الزراعية الأصيلة فى تكوين الشخصية المحلية، عاد الناس من جديد الى العمل الزراعى، ليكون هو النشاط السائد والأساسى، ولكن فى صورة مطورة.

فبعد ركوب الدواب للحقول، صارت الدواب تجر عربات (الكارو) التى تحمل الفلاح وزوجته وأبناءه الى حقولهم - محملة بالمحاصيل والأعلاف فى رحلة العودة.

أيضا، لم يكتف الفلاحون (الموظفون) برواتبهم، فسعوا الى النشاط الزراعى (بعد الظهر) ولكن على دراجة بخارية او سيارة، خاصة وقد اصبح لكل المناطق الزراعية طرقا ممهدة.

٢. تهجير سكان مدن قناة السويس فى أعقاب نكسة ١٩٦٧

مع هزيمة ١٩٦٧ التى لحقت بمصر، وما تبعها من تهجير لسكان مدن قناة السويس، فقد كان للواحات الداخلة النصيب الأكبر فى عدد المهجرين، خاصة وأن نسبة كبيرة منهم كانوا ينتمون فى الأصل اليها، وقد كان اغلبهم يعيش ويعمل فى منطقة الجناين بمحافظة السويس، وكان انتماؤهم الاصولى للواحات الداخلة سببا فى سرعة انصهارهم اجتماعيا، لذلك لم تكن فترة التهجير مؤقتة، كما كان مقدرا لها،وبقى منهم العدد الأكبر مستمرا فى الواحات الداخلة تحت المغريات الاقتصادية الفارقة.

كان من الآثار الثقافية لهؤلاء المهجرين فى الجانب الاقتصادى، تلك الثقافة الزراعية الجديدة التى تمثلت فى إدخال خضراوات

تزرع لأول مرة فى الواحات الداخلة، مثل الكرنب، والبقدونس، والخص

وما يهمنا اكثر من غيره فى عناصر التأثر، هو استحداث احد العناصر الجديدة فى احتفالية الزواج، هو عنصر احتفالية الحنة.

وكما ذكرنا، فقد انصهر المهجرون اجتماعيا، فصارت فتياتهم فى بؤرة اهتمام الراغبين فى الزواج من ابناء الواحات.

كانت الحنة فى احتفالية الزواج فى الواحات الداخلة طقسا لايتم فى اطار احتفالى، ولكنه كان مجرد ممارسة تتم فى الخفاء دون اعلان ، بل ان الحناء فى يد العريس كانت كثيرا ما تثير السخرية من الاصدقاء الشباب.

مع تعدد زيجات فتيات مهجرى السويس، وممارستهم لطقس احتفالية الحنة، تغلغلت تفاصيل هذا العنصر فى الثقافة الشعبية المحلية فى الواحات الداخلة، حتى ان هذه الاحتفالية كانت تسمى - لفترة قريبة - باسم الحنة السويسى، نسبة الى مصدرها، وبالتالى فقد شكلت احتفالية الحنة عنصرا جديدا - وافدا - فى الثقافة الشعبية لعادات الزواج فى الواحات الداخلة.

ولعلنا هنا، نؤكد على حقيقة مهمة، ألا وهى سنة التغير والتطور أيا كانت الأسباب والوقائع، فنحن هنا لاندين هذا التغير بقدر ما نرصده فقط، ليتعرف الشباب من أبناء هذه المنطقة على تراثهم وتاريخهم الذى يؤكد الشخصية العبقرية لهذه الواحات عبر معاناتها مع الحياة فى صحارى توصف بأنها أشد الصحارى وعورة فى العالم..!!!!

الباب الثانى

المأثورات الشعبية

تتسم منطقة الواحات الداخلة بالثراء فى المفردات المتميزة لمأثوراتها الشعبية التى تنتشر على رقعة جغرافية واسعة طبقا لتعدد وحداتها العمرانية، وكما ذكرنا فإن المنطقة تضم ما يناهز ثلاثين واحة، ظلت على مدى تاريخ طويل متباعدة غير متصلة، حتى أنك تستطيع أن تلمح - الآن - الاختلافات الواضحة فى اللهجات المحلية لكل منها، ناهيك عن مسميات بعض المفردات المادية، وأيضا العديد من الفروق البينة فى الممارسات الخاصة بالعادات المرتبطة بالزواج، والطعام، وأشكال العمارة السائدة... الخ

لذلك فان الإلمام بكل أصناف وعناصر ومفردات المأثورات الشعبية فى منطقة الواحات الداخلة ربما يحتاج إلى عشرة أضعاف المساحة التى يتيحها هذا الكتاب، ولكن، ولأن ما لا يدرك كله لا يترك كله، تجدنا فى وضع المضطر إلى اقتطاف ما هو أكثر تميزا، وأفضل تعبيرا عن الخصوصية الثقافية للمنطقة.

فنحن - فى هذا الباب المخصص للمأثورات الشعبية - لا نقدم مسحا شاملا لكل عناصر المأثورات - رغم توفرها لدينا - ولكنا نتعرض للبعض المهم منها، من تلك التى تؤكد على ما نهدف إليه من هذه الدراسة، وهو موضوع ارتباط المأثورات الشعبية لدى سكان الواحات الداخلة بالتاريخ الثقافى للمنطقة فى سياق واحد متصل ومتسق مع البيئة الجغرافية ذات الخصوصية غير المتكررة.

الفصل الأول

العادات والمعتقدات

أولا : عادات الزواج

١. المرأة

يختلف حال المرأة فى الواحات الداخلة عما عداها من مناطق أخرى لدى سكان الصحراء الغربية، سواء الواحات الأخرى، أو مناطق البدو فى الشمال.

فالمرأة فى واحة سيوة، ترتدى ما يطلق عليه اسم (الملاية) وهى عبارة عن غطاء من الرأس وحتى القدم بما فى ذلك الوجه، حتى إنه يحظر على المرأة فى سيوة التحرك فى الشارع سيرا على الأقدام، ولاتتحرك إلا على ظهر (كاروسة) وهى العربة الخشبية التى تجرها الدواب. لذلك فإن التعليم الابتدائى - كان - هو نهاية المطاف للفتاة فى سيوة حتى وقت قريب جدا.

أما فى الواحات البحرية وواحة الفرافرة، ومنطقة بدو مطروح فيطغى زى النقاب على لباس المرأة والفتاة بصورة مطلقة،وقد صار زيا تقليديا معتادا.

وفى الواحات الخارجة ترتدى المرأة الأزياء الحديثة المتعارف عليها فى وادى النيل، فالواحات الخارجة هى عاصمة محافظة الوادى الجديد، التى اجتذبت العديد من الثقافات الوافدة، وتأثرت بها ، وهو ما أفرز نوعا من التميع الثقافى للسكان،وتبخرت معه الخصوصية الثقافية، وخاصة مع استيطان العديد من حملة ثقافات الصعيد والدلتا، وهو ما لم يحدث لباقى الواحات الأخرى البعيدة ـ نسبيا ـ عن مثل هذه التيارات، وإن كان التغير ـ حاليا ـ يزحف، وبشدة، على كافة الواحات المصرية حتى أطرافها، ويتسارع التميع ـ المادى على الأقل ـ إلى أوصالها..!!

اما عن تاريخ المرأة فى الداخلة فهو يشهد بمشاركتها فى كافة اعمال الزراعة، والحقل، وتربية الحيوانات المنزلية وغيرالمنزلية، فضلا عن قيامها بإنتاج كافة المتطلبات من منتجات الخوص، وهو ما فرض عليها الخروج اليومى للحقل، والذهاب للسوق فى زى يتلخص فى جلباب، وطرحة تغطى الرأس فقط .

ومنذ فترة قريبة، تزيد قليلا على نصف القرن، كانت المرأة فى الواحات عموما تختلف عما هى عليه الآن، بداية من الزى بصفة خاصة، حتى دورها فى الحياة اليومية بصفة عامة، وقد بدت مظاهر التغير فى الظهور على فترات ومراحل تتفاوت من واحة إلى أخرى، طبقا للظرف التاريخى لكل منطقة.

ومع ما تعرضت له هذه الواحات من رياح التغير الوافدة، بل والغازية أحيانا أخرى، فإنه لا يجب إغفال التأثير المباشر لعناصر الاتصال الجديدة، التى تتمثل فى شبكة الطرق الرابطة بين الواحات، وشريط وادى النيل.

كانت عناصر الثقافة المادية ـ فى معظمها ـ هى اول ما تأثر برياح التغير، وقد جاء التغير بدرجات متفاوتة ما بين المدن والقرى، حسب درجة الاتصال الخارجى لكل منها، وكان الزى التقليدى للمرأة فى الواحات هو أول ضحايا هذا التغير، ذلك الزى الذى طالما تربع على عرش الأزياء الشعبية المتميزة فى مصر، وقد كانت المرأة فى الواحات تقضى عدة أشهر فى صناعة ثوبها، أو ثياب ابنتها العروس، تمهيدا لزفافها، وبما كانت تحمله هذه الأثواب من وحدات زخرفية تشكيلية مشغولة يدويا، وقد وصلت درجة الابداع التشكيلى المتميز إلى حد تميز واختلاف ثوب المرأة فى قرية بلاط عن مثيله فى قرية الراشدة، والقريتان هما ضمن قرى الواحات الداخلة، فضلا عن الفروق بين ثوب المرأة، وثوب الفتاة من حيث الوحدات الزخرفية وألوان خيوطها. ناهيك عن تعدد ألوان وأشكال ثياب العروس.

وقد تمثل التغير فى عنصر زى المرأة فى الواحات فى الجانب الوظيفى، حيث تحول من الوظيفة العملية، إلى الوظيفة الاقتصادية، فى إطارالتسويق السياحى لسلعة فولكلورية متميزة، وهو ما يدخل هذا العنصر الثقافى فى إطار ما يسمى بالفولكلور التطبيقى.

٢. اختيار العروس

هناك مفارقات عديدة ـ وطريفة أيضا ـ ترتبط بموضوع الزواج، واختيار العروس فى الواحات الداخلة، مثلا، شهرة قرية القصر بجمال فتياتها، فهنا مثل شعبى محلى يقول (إن فاتك بنات مصر،

خد من بنات القصر)، ومن قرية المعصرة تجد العروس التى تتسم بالقدرة على تحمل الحياة المنزلية وأعباء البيت الكبير الذى يعيش فيه العريس مع والديه، والتكيف الهادئ مع المناخ العائلى الجديد، كما تتسم قرى القصر والقلمون بالمغالاة فى المهور لبناتهم، والمبالغة فى مطالب التجهيزات الخاصة بمنزل الزوجية،ويعود ذلك للعلاقات الثقافية مع مجتمعات العواصم فضلا عن ارتفاع نسبة التعليم الجامعى للمرأة، وتشتهر قرية الراشدة بالطموح البالغ لدى الفتيات، رغم فقدانها للمهارات المنزلية المعتادة فى المنطقة، فى حين نجد أن المرأة فى موط والهنداو وبلاط تتميز بمهارات منزلية خاصة فى مجال الحرف التقليدية مثل صناعة منتجات الخوص، فضلاً عن القدرة على التكيف مع منسوب المستوى الاقتصادى للزوج.

مفردات احتفالية الزواج

كان جنى البلح هو الموسم الذى يشهد رواجا فى احتفالات الزواج فى الواحات، لسببين، الأول هو الوفرة الاقتصادية الناتجة عن بيع المحصول، والثانى هو تزامن الموسم مع أشهر الصيف التى يكثر فيها السهر، بعيدا عن برودة الشتاء القاسية فى مناخ الواحات القارى.

والزفاف فى الواحات الداخلة يمر بمجموعة من الاحتفاليات المتميزة، وهى عادة ما تبدأ قبل (الدخلة) بأكثر من ثلاثة أشهر تقريبا،وهى على التوالى:

أولا: الفاتحة

تبدأ أولى خطوات الزواج بما يطلق عليه (الفاتحة) وهى زيارة أهل العريس لأهل العروسة لطلب (يدالعروسة)، وبعد المراسم

الشكلية من الحديث يقوم الحاضرون بقراءة الفاتحة، ثم يتناول الجميع العشاء (وليمة يتحملها أهل العروسة) وهذه الزيارة لا يحضرها العريس.

وعقب وجبة العشاء مباشرة تصل مجموعة من السيدات والفتيات من أهل العريس الذى يصاحبهم، يحملن الهدايا وهى عبارة عن ملابس للعروس وبعض الأطعمة الجافة وهدية ذهبية للعروس، وبعد تناولهم لوجبة العشاء تبدأ مراسم حفل (الفاتحة) بالزغاريد والغناء فى مكان مفتوح مجاور لمنزل العروس، حيث يجلس العريس والعروس فيما يشبه (الكوشة) حيث يقوم العريس بتقديم الهدايا الذهبية للعروسة، ثم تختتم مراسم الفاتحة بزفة عبر شوارع البلد للإعلان عن أولى احتفالية الزواج.

بعد إتمام (الفاتحة) يصبح من حق العريس زيارة عروسه فى المناسبات.

تبدأ العائلتان فى الاتفاق على موعد اتمام الزواج الذى يكون ـ فى العادة ـ فى أحد أشهر الصيف، حيث يندر اتمام الزيجات فى الواحات شتاء، لظروف الطقس شديد البرودة ليلا.

ثانيا: السامر

بعد تحديد موعد الزفاف، وقبله بحوالى عشرة أيام ـ على الأقل ـ تبدأ ليالى السامر، والذى يمتد لأكثر من ذلك كلما كانت عائلة العريس ذات مستوى اجتماعى متميز، وفى قرية القصر يطلق اسم (التسويل) على ليالى السامر، والتسويل تعنى (البدء فى احتفالات الزواج والإعلان عنها).

كذلك فإن القصر كانت تماثل الواحات البحرية فى ظاهرة الزيجات الجماعية لثلاث أو أربع عائلات فى سامر وعزومة واحدة

تقام ليالى السامر أمام منزل العريس (فى الشارع) بعد العشاء، وغالبا ما كانت تستخدم أقرب سقيفة (الجزء المسقوف من الشارع) فى إقامة ليالى السامر حيث تشتمل السقيفة على مجموعة من المصاطب المتقابلة على الجانبين، فيتجمع الشباب وبعض الكبار من أهل الواحة للسهر على أنغام (الزمر) والأغانى المصاحبة، وأغانى السامر عادة ما تبدأ بموال أو أكثر ثم أغنية على إيقاع الدربكة والزمر، (وسوف نتعرض لبعض النصوص من أغانى السامر فى فصل الأدب الشعبى فى الواحات الداخلة) وقد كانت ليالى السامر فيما مضى، تحتوى على فقرة راقصة، يؤديها أحد الشباب مرتديا زى امرأة، حاجبا وجهه عن الجمهور، مما يجعل من معرفة شخصه مجالا للحديث وتساؤلات الحاضرين، خاصة إذا ما أجاد فى فن الرقص.

يستمر السامر حتى ما قبل الفجر، وهى احتفالية للرجال فقط، بينما تكتفى السيدات بالفرجة من أسوار الأسطح فقط، والمشاركة بالزغاريد.

وقديما كان مشروب (عرقى البلح) المسكر مصاحبا لمعظم الشباب المشارك فى هذه الاحتفالية، وقد تلاشت هذه الظاهرة تدريجيا مع انتشار نسبة التعليم، والوعى الدينى المتنامى فى العصر الحاضر. حيث تم القضاء نهائيا على معامل تقطيرالبلح (التى كانت تنتج مشروب العرقى) والتى كان آخرها ما يمتلكه بعض أعيان القرى فى الواحات.

ثالثا: احتفالية يوم التفصيل

قبل الزفاف بأسبوع كامل، وفى ساعات الضحى، تبدأ احتفالية التفصيل، وهى للسيدات فقط، وفيها تتم عملية أخذ مقاسات

العروسة بمعرفة الخياطة التى ستقوم بحياكة ملابس العروسة (وغالبا ما تتم عملية أخذ المقاسات بصورة شكلية، حيث تكون أعمال الحياكة قد بدأت فعليا قبل هذه الاحتفالية بحوالى الشهر)، وخلال هذه الاحتفالية تتم عملية عرض لكافة الأقمشة، وكذلك الفساتين الجاهزة الخاصة بالعروسة، مع الإعلان عما أتى به العريس لعروسه من ملابس، وما أعدته العروس من ملابس وأقمشة بمعرفة أهلها.

تصاحب الاحتفالية أغانى خاصة بهذه المناسبة تؤديها السيدات حيث تدور الأغانى حول التغنى بالقوام والجسد الممشوق للعروس وبالعريس الذى لم يبخل على عروسه بالأقمشة والفساتين، إلى جانب أغانى ورقص الفتيات من الأقارب، وتتم هذه الاحتفالية فى بيت أهل العروسة.

رابعا: احتفالية زفة العفش

وهذه الاحتفالية هى مما شهد تحولا كبيرا عما مضى، فقد كانت زفة العفش قاصرة على مجموعة من الأوانى الخوصية التى تحمل زخارف متميزة وقد اكتظت بملابس العروس، و تدلت من جنبات هذه الأوانى لعرضها فى الزفة، وبعض الحصر المصنوعة محليا من السمار، وهى التى حلت محلها غرفة النوم، ومحمل القلل المصنوع من خشب السنط وقد زخرفه النجار (بالخيط والمغرة الحمراء) وعلى المحمل وضعت أربع قلل ، يحمله أحد الشباب فوق رأسه وهو يؤدى بعض الرقصات المحلية، بينما يقوم خمسة من الشباب بحمل (مدارى القمح الخشبية) وقد علق بعض ملابس العروسة على أصابع المدارى، تشارك فى الاحتفالية مجموعة من

الفتيات والسيدات من أقارب العروسة بالغناء طوال الرحلة من منزل العروسة حتى بيت الزوجية.

أما الصورة الاحتفالية الحالية لزفة العفش فهى لا تختلف كثيرا عما يحدث فى باقى مناطق وادى النيل حتى أن غسالة الأطباق الكهربائية، قد دخلت ـ بقوة ـ ضمن محتويات عفش العروسة. وبالتالى فقد أصبح طبيعيا أن تشارك خمس سيارات لنقل الأثاث الخاص بالعروسة..!!

ولكن الملفت للنظر أن منتجات الخوص المحلية، بكافة أشكالها وأحجامها واستخداماتها، لازالت هى الغالبة والأساسية ضمن محتويات هذا الأثاث، بل أن أفضل السيدات ممن يحترفن هذه الصناعة الشعبية، تستغرق فى إتمام متطلبات عروسة واحدة من الوقت ما يربو على الثلاثة أشهر...!! ويكون توقيت احتفالية زفة العفش سابقا على ليلة الزفاف بحوالى أربعة أيام، حتى تتمكن العروسة بمعاونة صديقاتها من الفتيات من استكمال فرش منزل الزوجية.

خامسا: احتفالية تنقية الغلة

وهى احتفالية نسائية تمتد لنهار كامل وتسبق الزفاف بحوالى ثلاثة أيام تقريبا، حيث تتجمع سيدات الواحة فى بيت أهل العريس، للمعاونة فى (نقاوة حبوب القمح) قبل طحنها لعمل خبز عزومة الفرح، وتتم هذه الاحتفالية فى (القاعة) الخارجية للبيت، والتى تعرضنا لوصفها تفصيلا عند الحديث عن العمارة التقليدية للمسكن فى الواحات الداخلة.

يصاحب هذه الاحتفالية أيضا عملية (دق الأرز) والذى يتم بواسطة حوالى خمس سيدات فى (البور) والبور هى جمع بورة

بمعنى حفرة،وهى الخاصة بدق الأرز والتى تصاحبها أغان وأهازيج جماعية، يستمر هذا العمل إلى قبيل المغرب، وفى اليوم التالى تتم عملية طحن ماتم تنقيته من غلة القمح وتجهيز الدقيق لإعداد الخبز لاحقا.

سادسا: احتفالية الخبيز

وفيها تتجمع كل سيدات الأقارب والجيران فى بيت أهل العريس أو أهل العروسة ممن يقومون بالتجهيز لعزومة الفرح، وذلك فى اليوم السابق للزفاف والعزومة التى تقام ظهر يوم الفرح.

وهناك سيدات فى الواحة ممن يشتهرن بالحرفية فى مراحل إعداد الخبز الشمسى، فتجد واحدة تجيد عملية العجن فى الماجور، وخاصة فى الكميات الكبيرة من الدقيق، وأخرى تجيد عملية (القطع) وهى تقطيع العجين إلى قطع متساوية (أرغفة العجين) ووضعها على الكرسة، (والكرسة تصنع من روث البهائم مضاف إليها كمية من التبن وبعض من رماد الفرن) وسيدة أخرى تحسن التعامل مع الخبز وتسوية العيش وإخراجه من الفرن، وتتبقى ـ إلى جانب ذلك ـ باقى الأعمال المعاونة مثل نقل الكرس إلى مساحة مشمسة، ثم إعادة جمعها ونقلها إلى جوار الفرن، وأعمال نقل الماء الخاص بالعجين والغسيل، وكذلك تحضير وقود الفرن من القش والحطب (فى حالة الفرن البلدى، والذى بدأ تحوله فى المراحل الراهنة إلى أفران الغاز)

بعد إعداد الخبز الشمسى، يبدأ الفريق فى إعداد الكعك (الكحك) والفطائر والقرقوش (الفايش) والمنون، وهو نوع من الفطائر الصغيرة التى لا يتعدى حجمها ٧×٧ سم تؤكل طازجة مع الشاى.

ومجموعة الفطائر هذه تستخدم فى مكونات صوانى العشيان التى تقوم أم العروسة بإرسالها إلى ابنتها يوميا بعد الزواج ولمدة سبعة أيام، كما سيأتى إيضاحه فى حينه.

ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن منتجات الخوص من أوان بكافة أحجامها وأشكالها المختلفة تلعب دورا مهما فى كافة مراحل إعداد الخبز بأنواعه، ففى مرحلة إعداد القمح للطحن (مرحلة تنقية الغلة) نجد أن (البدارة) وهى أكبر أوانى الخوص المستخدم منزليا، تستخدم فى كافة مراحل الإعداد، فضلا عن (برش الغلة) الذى تتم فيه عملية غربلة القمح قبل التنقية، كما تستخدم البدارة فى غسل القمح بالماء - بعد التنقية - بما لها من خاصية مسامية تسمح بإخراج الماء (العكر) والأتربة العالقة بالحبوب من خلال مسام ضفائر خوص البدارة.

وأذكر أننى فى إحدى جولاتى الميدانية بالواحات الداخلة، وعند زيارتى لأحد المطاحن النصف آلية، شاهدت صفا طويلا من البدادير تنتظر دورها فى عملية الطحن، ولا توجد أوان غيرها مثل الأوانى البلاستيكية واسعة الانتشار حاليا، فقد قمت بسؤال صاحب المطحن عن سبب احتفاظ هذا المنتج (التقليدى) بوظيفته حتى الآن، فكان رده أن (الناس جربوا الأوانى البلاستيك من أوان وشكاير وغيرها، فوجدوا أن الدقيق حينما ينزل من المطحن ساخنا، فإنه يتفاعل مع البلاستيك فتخرج من الدقيق رائحة غريبة غير محببة مما يوحى بأن الدقيق قد تغيرت طبيعته المعتادة، وبالتالى عاد السكان - وبإصرار وقناعة - إلى استخدام منتجات الخوص فى التعامل مع القمح والدقيق وكافة مراحل إنتاج الخبز.

وفى قرية تنيدة، يقوم أصحاب الفرح - إلى جانب الخبز - بعمل (القلية) التى يتم إعدادها فى احتفالية متميزة، فضلا عن تميز هذه العادة ذاتها، وتبدأ تفاصيل هذه العملية، قبل الزفاف بحوالى الأسبوع، وذلك لتعدد مراحلها، حيث تكون الخطوة الأولى هى تنقية القمح (ويفضل ذلك النوع المسمى محليا، قمح الريف) ثم يوضع فى الماجور الفخارى العالق به جزء من خميرة الخبز، مع إضافة قليل من الردة والملح، ويملأ بالماء، قبل إضافة القمح، الذى لا يقل - فى الغالب - عن ٢٠ كجم (بالمكيال المحلى = ١٠ ميشة) ويترك هذا الخليط لمدة ١٢ ساعة (نصف يوم) وهى المرحلة التى تسمى تخمير القلية، وخلالها تنتفخ حبوب القمح، ثم تتم تصفية القمح بغربال، وتشيره على بعض الحصر أو أبراش الخوص المنزلية، حتى يجف، ويمكن أن تستغرق عملية التجفيف هذه حوالى ثلاثة أيام. وهذه المرحلة يمكن أن تقوم بها السيدات من أهل المنزل فقط، دون معاونة من أخريات.

وفى المرحلة الثانية توجه الدعوة لمجموعة من نساء البلد للمشاركة، وفيها يتم تجهيز كمية من الرمل الأصفر، الذى يتم فرشه على (عرسة الطابونة) ويشعل حطب الوقود من الفتحة السفلية، حتى يتحول الرمل إلى اللون الأحمر، وعلى مجموعة من القصع الفخارية تتوزع كميات القمح المختمر، وبعد أن تصل الرمال إلى أقصى درجات الاحمرار، يتم توزيعها على مجموعة القصع التى تحتوى القمح المختمر، بحيث تتولى كل سيدة قصعة بمفردها، لتقليب القمح فى هذه الرمال الملتهبة بواسطة نصف جريدة نخل خضراء (حتى لا تحترق بسرعة)، بينما تجلس إلى جوارهن إحدى السيدات ممن يحترفن غربلة القلية، لكى تقوم بعملية فصل القلية

عن الرمال، أيضا إلى جوارها سيدة أخرى مهمتها هى إضافة قليل من الماء والملح إلى ما تم غربلته من القمح، موازيا لتلك المرحلة تتم عملية تحميص حبوب (القرطم) على صاجة يطلق عليها اسم (طابونة ناعمة) توضع فوق كانون، ويسهم القرطم المحمص فى إضافة المزيد من جودة الطعم والرائحة لمنتج (القلية)

توزع القلية فى أكياس على كل المشاركين فى احتفالية الحنة، بجانب أكياس عجينة الحنة، أيضا تأخذ منها العروسة إلى بيت الزوجية للتوزيع على كل ضيوفها فى (الصباحية)

سابعا: احتفالية زفة العجول

فى اليوم السابق على ليلة الزفاف، ومن ساعات العصر حتى ساعة الغروب، وفى أكبر ميادين الواحة، تتم احتفالية زفة العجول.

وفى هذه الاحتفالية يشارك أهل الواحة ـ مجاملة لأهل العريس ـ بما يملكون من ثيران حسنة المظهر، وقوية البنيان، فى هذه الزفة التى تضم ـ إلى جانب هذه الثيران ـ العجول التى سيتم ذبحها فجر الغد (فجر يوم الزفاف).

تنتظم كل الثيران فى دائرة متسعة بالميدان ، تدور خلف بعضها على ايقاع طبل بلدى كبير، اشتهر باسم (طبلة مدبولى) نسبة إلى أشهر عازفيها منذ أكثر من ثمانين عاما أو يزيد.

يقوم أصحاب الثيران المشاركة للمجاملة بتزيين ثيرانهم بوضع شارات ملونة على رقابها، بينما تتميز الثيران التى ستذبح بشارات حمراء.

يشارك أهل الواحة جميعا فى مشاهدة هذا الاحتفال المفتوح الذى يعد مهرجانا يستمر إلى أكثر من ساعتين، خاصة وأن طبل مدبولى هذا يصدر صوتا مرتفعا يصل إلى قرابة عشر كيلومترات، وبمجموعة من الإيقاعات المتميزة والمحببة إلى أهل الواحات عموما.

وزفة العجول هذه احتفالية كانت تتميز بها واحة موط (العاصمة) فقط دون غيرها من قرى الواحات عموما.

ثامنا : احتفالية الحنة

احتفالية الحنة فى الواحات الداخلة ـ كما ذكرنا عند تعرضنا لتيارات التغير الثقافى فى المنطقة ـ قد بدأت بالحناء التقليدية التى كانت قاصرة على احتفالية خاصة بالسيدات والفتيات والأطفال فقط، حيث كانت تتم فى إطار أسرة العروسة فى مساء الليلة السابقة على الزفاف، فقد كانت واحدة من سيدات الأهل من كبار السن تتولى وضع الحناء فى أيدى من ترغب، وكانت العروسة هى آخر من توضع الحناء فى يديها، وقد كان من التقليدى أن تربط الأيدى برباط من القماش لضمان بقاء الحناء إلى صباح اليوم التالى، والحفاظ عليها أثناء النوم.

كانت هذه الممارسة تتم بمصاحبة الأغانى الشعبية المرتبطة بهذه المناسبة من الكبار والصغار (أغانى القاعة وأغانى العرب)

وكما ذكرنا سابقا، فقد كان لتهجير ابناء الواحات من مدينة السويس إلى الواحات الداخلة إبان نكسة ١٩٦٧ أثرا كبيرا فى إحداث التغير السريع لهذه الاحتفالية، حيث أدخل هؤلاء المهاجرون الجدد شكلا جديدا لاحتفالية الحنة بصورة تختلف عما كان سائدا قبل هذه المرحلة الفاصلة، فقد تحولت إلى احتفال يشارك فيه الجنسان من السيدات والفتيات، والرجال والشباب من ناحية أخرى، كما نزلت الاحتفالية من غرفة مغلقة فى بيت أهل العروسة إلى الشارع.

ولفترة قريبة، كان العامة فى الواحات يطلقون اسم (الحنة السويسى) على هذه الاحتفالية الجديدة الوافدة.


حامل صينية الحنة ـ موط ـ الواحات الداخلة

وتبدأ مراسم هذه الاحتفالية من بيت العريس، حيث يتم تجهيز محمل صينية الحنة، وهو عبارة عن هيكل هرمى الشكل من حديد تسليح المبانى، قاعدته دائرية تنتهى فى أعلاه بقاعدة دائرية صغيرة توضع عليها صينية الحنة، تحتوى صينية الحنة على عدد فردى من الشموع (من ١١ـ ٢١) غرست جميعها فى عجينة الحناء فى قاع الصينية.

تبدأ زفة الحنة من أمام بيت العريس حيث يتم الاحتفال بها لمدة لاتقل عن نصف ساعة، يشارك فيها العديد من الشباب من أصحاب وأقارب العريس وجيرانه مع وجود بعض الفتيات من أخوات وأقارب العريس، ثم تبدأ الزفة فى التحرك إلى بيت العروسة مع الترديد الجماعى لبعض الأغانى والأهازيج الشعبية مثل :

صلى صلى صلى

عالنبى صلى صلى

....

ولا يتم استخدام السيارات فى هذه الزفة إلا للسيدات والفتيات فقط (فى حالة بعد المسافة ما بين بيت العريس وبيت العروسة)، بينما يحمل الشباب محمل الحنة، وبعد كل مسافة، وأمام بيوت الأقارب من أهل العريس تتوقف الزفة، ويستمر الشباب فى الغناء والرقص حول محمل الحنة الذى يحط مؤقتا فى وسط الشارع قبل استئناف السير إلى بيت العروسة، حيث الاحتفال المقام أمام البيت فى انتظار زفة الحنة القادمة من أهل العريس، وتبدأ الاحتفالية الجماعية فى الشارع. ويشارك فيها كل من أهل العريس والعروسة معا، وفى هذه الأيام يتم الاحتفال بمصاحبة وحدة تسجيلات إليكترونية لإذاعة الأغانى الحديثة التى يطلق عليها اسم DJ التى يرقص الشباب على إيقاعها، تستمر هذه الاحتفالية إلى ما بعد منتصف الليل.

وفى قرية القلمون، يقوم حلاق القرية (المزين) بتحنية العريس فى احتفالية يحصل فيها على نقوط الأصدقاء، كما أنه هو الذى

يختص بدعوة أهل البلد فى بيوتهم، وإبلاغهم بموعد عزومة الفرح وذلك نيابة عن أهل العريس.

أما فى قريتى بلاط وتنيدة (المتجاورتين) فان يوم الحنة هو اليوم الرئيسى فى احتفالية الفرح من حيث المشاركات الجماعية، حيث تتم عزومة أهل البلد على الغداء يوم الحنة، بعكس قرى الواحات الداخلة التى تقيم العزومة ظهر يوم الزفاف.

كذلك تنفرد قرية تنيدة بإقامة احتفالية متميزة قبل الزفاف بيومين، اسمها (الشوار) وهى احتفالية تضم الرجال فقط من أهل القرية، وتقام بعد صلاة العصر فى أكبر ميادين البلد، ويتم فيها الإعلان عن زواج (فلان) ابن فلان من (فلانة) بنت فلان، فيكون بذلك مايسمى بالإشهار، وفى تفسير آخر، يقال إن هذه الاحتفالية تتم من أجل (مشاورة) البلد فى هذه الزيجة، وبذلك تعد احتفالية (الشوار) بمثابة القراءة الموسعة للفاتحة، تلك التى تتم فى باقى الواحات الأخرى. ولا يقدم للمشاركين فى حفل الشوار سوى الشاى فقط..

وفى قرية القصر، كانت تسمى هذه الليلة باسم (ليلة التسحيمة) وتعنى ليلة الاستحمام، وفيها تقوم الفتيات من أصحاب العروسة وأقاربها باصطحابها إلى عين شهيرة تسمى (عين وضاح) وهى العين التى تنتسب إلى الشيخ وضاح صاحب المسجد المقام فى المدخل الجنوبى لقرية القصر الإسلامية، حيث تقوم بالاستحمام وإتمام كافة إجراءات النظافة، وسط أغانى وأهازيج الفتيات والسيدات المرافقات، ثم العودة إلى المنزل لاستكمال وضع الحنة فى الأيدى والأقدام، والقصر هنا هى المنطقة الوحيدة فى الداخلة التى تتشابه فى هذه الظاهرة (حمام العروسة) مع واحة سيوة.

تاسعا: العزومة

يقوم أصحاب الفرح بعملية الذبح بعد صلاة فجر يوم الزفاف، ويتراوح حجم اللحم المطلوب لإتمام العزومة من ١٥٠-٢٥٠ كجم طبقا للحالة الاقتصادية، وفيما مضى كانت السيدات ممن اشتهرن بحرفية الطبخ الجماعى يقمن بإعداد العزومة بأكملها، ولكن اتجه معظم الناس فى الوقت الحالى إلى الطباخين المحترفين لتولى هذه المهمة، ويقتصر دور السيدات من أهل الفرح على مهام تجهيز مواد الطعام من خضراوات، وتجهيز السلطات، ومهمة الغرف على الصوانى للتقديم.

وتتكون الصينية التى تخصص - عادة - لأربعة أفراد من طبق كبير (أنجر) من الفتة يعلوها الأرز، وتوضع فوقه أربع قطع من اللحم، وهنا يجب الإشارة إلى أن أنجر الأرز والفتة هو من الأطباق الأساسية بصفة يومية على غداء أو عشاء السكان فى الواحات الداخلة بصورة ثابتة، وهو ما لا نجده فى باقى الواحات الأخرى..!!

والفتة هنا تكون - بالضرورة - بالخبز الشمسى، ولايدخل فيها الخل كما هو معتاد فى باقى المجتمعات المصرية الأخرى.

تضم الصينية أيضا طبق (صغير) من الخضر، وطبقين من السلطة والمخلل، بالإضافة إلى رغيفين أو ثلاثة من الخبز الشمسى.

وفى مدينة موط (العاصمة) تتم عزومة أهل العريس من ناحية، وعزومة أهل العروسة من ناحية أخرى فى توقيت واحد، بينما يتم فى بعض قرى الداخلة تخصيص الغداء لأهل العريس، والعشاء لأهل العروسة، حتى يتمكن المعازيم من حضور العزومتين، ويحدث ذلك فى قرى بدخلو وتنيدة وبلاط، تختلف بعض القرى فى طريقة

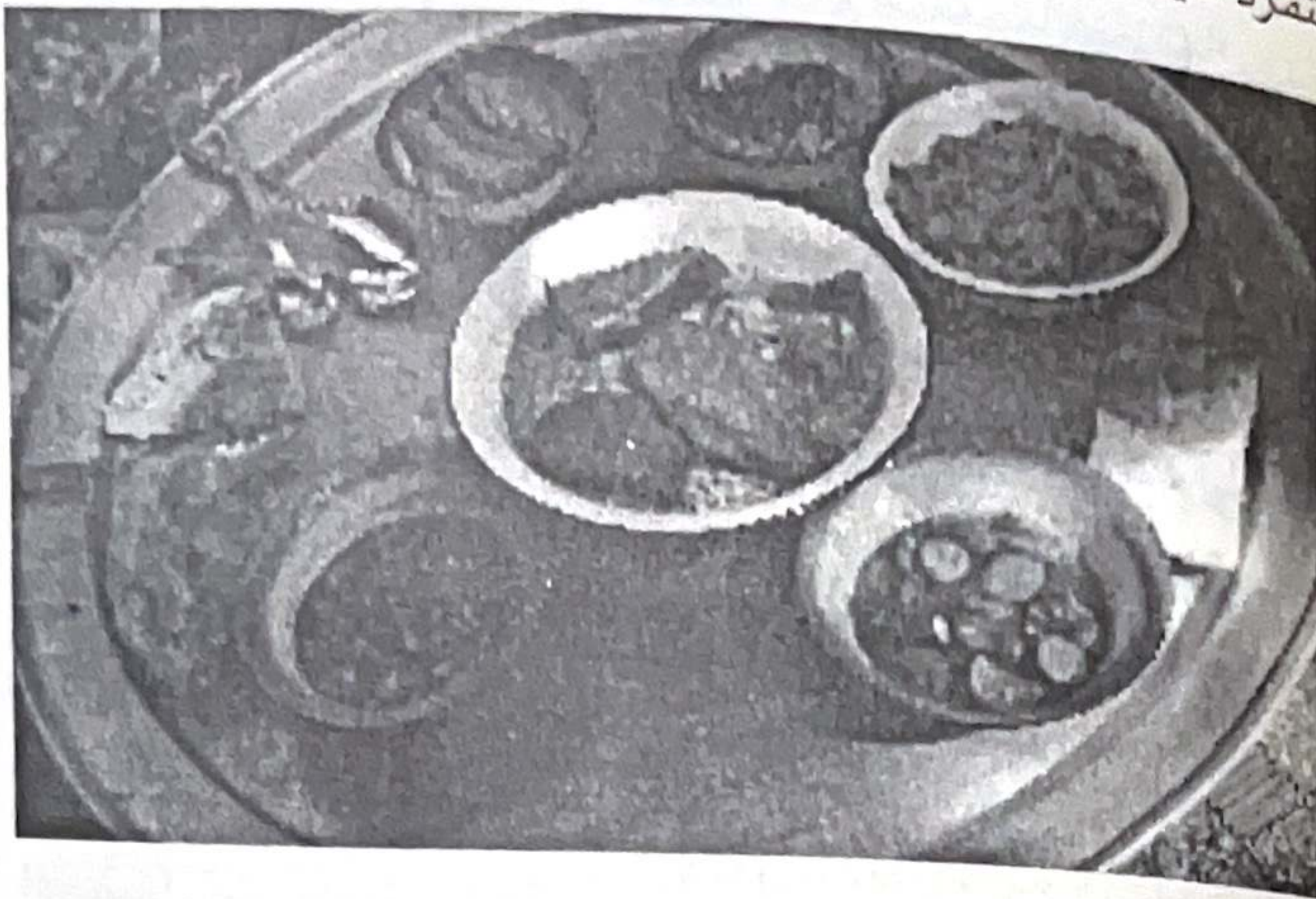
تقديم اللحم، حيث - فى تنيدة - توزع قطع اللحم بمفردها على كل معزوم على حدة، أثناء تناول الطعام، للتأكد من العدد الجالس فعليا، بينما يتم التوزيع فى قرية المعصرة على كل معزوم فى يده..!!

وتبدأ مراسم العزومة فى القصر اعتبارا من العاشرة والنصف صباحا، قبل خروج الفلاحين إلى مزارعهم، بينما تبدأ المراسم فى غالبية الداخلة بعد صلاة الظهر، وتنفرد مدينة موط بكثافة المعازيم منذ الساعة الثانية ظهرا، موعد انصراف الموظفين من أعمالهم الحكومية..

وقد انتشرت ظاهرة (الطباخ المحترف) فى الواحات الداخلة، لوفرة هؤلاء فى قرية بدخلو الذين اشتهروا باحتراف العمل السياحى فى القاهرة، ومنهم من استقر به الحال فى مسقط رأسه، وقد حكى لى أحدهم فى مقابلة ميدانية، بعض طرائف ومفارقات عزومات الأفراح فى قرى الداخلة، منها :

أن الطباخ المحترف هو الذى أدخل نظام اللحم بطريقة (كباب الحلة) وخاصة فى عزومات مدينة موط، وأن عزومات أفراح القصر لا تهتم بطبق الخضار، وأن القرى الشرقية (تنيدة، بلاط، أسمنت، المعصرة) تبدأ لديهم العزومة من أذان الظهر وحتى أذان العصر فقط، وأن أهم ما تتميز به عزومة القصر هو طبق الشوربة واللحم المسلوق، وفى قريتى بلاط وتنيدة يحدد صاحب العزومة كمية اللحم للفرد الواحد مقدما، وأن أمهر السيدات هى التى تتولى مهمة الغرف فى الأطباق، لضمان كفاية الطعام على المعازيم، وأن السيدات المعازيم فى تنيدة يأخذون طعاما لأهلهن فى البيوت مضاف إليه كمية من الكرشة، وأن عزومات كل القرى تتم بنظام (الطبلية) بينما فى موط فقط تتم على موائد ودكك خشبية. وأن

معظم القرى تقيم العزومة ظهر يوم الزفاف بينما فى قرية تنيدة فالعزومة تكون ظهر يوم الحنة، أى قبل الزفاف بيوم واحد وقد اعتادت القرية على أن يقدم لحم الذبيحة للرجال، بينما السيدات من المعازيم تقدم لهن (الكرشة) وهى أحشاء الذبيحة...!! كذلك تنفرد تنيدة بتقديم اللحم فى طبق خاص بكل معزوم .



صينية عزومة الفرح - تكفى لأربعة معازيم - موط - الداخلة

عاشرا: احتفالية حلاقة العريس

بعد الانتهاء من العزومة، يأتى حلاق الواحة لبيت العريس لإجراء حلاقة الشعر وسط احتفالية تقدم فيها النقوط للحلاق من أصدقاء وأقارب العريس، ومن المشاهد المعتادة أن النقوط المعدنية يضعها صاحب النقطة فى طبق به ماء، بينما تعلق النقود الورقية على ثياب العريس، تصاحب ذلك ما يطلق عليها (الخلف على العريس) من الحلاق بصوت مرتفع، كأن يقول مع كل نقوط :

خلف الله عليك ياعريس...

والعريس ينقط بخير

خلف الله عليك

خلف الله عليك ياعريس

و(فلان) ينقط بخير (يذكر الحلاق اسم صاحب النقطة)

خلف الله عليك

وتستمر هذه الأهازيج طوال فترة الحلاقة، تصاحبها زغاريد السيدات، كلما ذكر الحلاق اسم أحد من أصحاب النقوط. ومن المعتاد أن تطول فترة الحلاقة بقدر زيادة عدد المجاملين للعريس من الأهل والأصدقاء، والنقوط هنا يحصل عليها الحلاق كاملة مهما بلغت كميتها دون أن يؤدى دورا غير الحلاقة، بعكس ما يحدث فى قرية القلمون، حيث يقوم الحلاق بدعوة أهل الواحة وإعلانهم بموعد ومكان العزومة والفرح لكل من العريس والعروسة فى مقابل الحصول على نقوط حلاقة العريس.



احتفالية حلاقة العريس ضمن عادات الزواج - موط - الداخلة

حادى عشر: عقد القران

كان عقد القران - فيما مضى - يتم فى (منضرة) بيت أهل العروسة، كتقليد عام فى الواحات الداخلة، تغير الحال فيما بعد، وأصبحت اجراءات العقد تتم - بصفة حصرية - فى المساجد، ويبقى الاختلاف بين قرى الواحات الداخلة فى موعده، إذ نجده فى القرى الشرقية يتم بعد صلاة الظهر، بينما يكون بعد صلاة العصر فى القرى الشمالية، وتنفرد مدينة موط بإتمام عقد القران فى جامع موط الكبير، بعد صلاة المغرب، ونعتقد أن عامل وجود الكهرباء فى هذه المناطق كان له الأثر فى هذه المفارقات، وفى احتفالية عقد القران التى تتم فى المساجد. لا يقدم سوى الحلوى المغلفة (الملبس) فقط. ومن الملحوظ - صيفا - أن المأذون يقوم بتنفيذ أكثر من ثلاثة عقود فى وقت واحد داخل المسجد، وفى جلسة واحدة.

تستغرق اجراءات عقد القران داخل المسجد من ٥-٧ دقائق، وبعد اتمام الاجراء (العلنى) ينهى المأذون بعض اجراءات توقيع الزوج والوكلاء والشهود على وثائق الزواج .

ثانى عشر: الزفاف

فى ليلة الزفاف تقام آخر حلقات السامر أمام بيت أهل العريس، وفيها تصل حرارة السامر إلى ذروتها ، من حيث أعداد الجمهور، وكذلك عدد المبدعين المشاركين فى فقرات السامر، حيث تعتبر هذه الليلة بمثابة (الليلة الكبيرة) لسامر الفرح فى الواحات الداخلة. والتى تختتم باحتفاليتى (المولد والحضرة) لمباركة الزواج.وسوف نورد بعض نصوص الغناء فى السامر، وأدوار المولد والحضرة فى باب الأدب الشعبى.

مع غروب شمس يوم الزفاف، تتوجه (زفة العروسة) من بيت العريس بمشاركة أهله من المقربين مثل اخوته وخالاته وعماته إلى بيت العروسة، لإحضارها إلى بيت العريس فى زفة تطوف كل أرجاء الواحة، بمشاركة من أهل العروسة والعريس، وكل الأصدقاء، حتى تصل الزفة إلى بيت العريس، حيث تدخل العروس مباشرة إلى غرفة (الدخلة) ترافقها أمها وخالاتها، بينما تبقى السيدات والفتيات من الأقارب خارج الغرفة.

وفيما مضى، كان هناك نوعان من (أسلوب الدخلة) أى دخول العريس بعروسته، النوع الأول هو انفراده باتمام عملية فض غشاء البكارة، أما الأسلوب الثانى هو أن تقوم (الداية) بدلا عنه بالقيام بتلك الخطوة، حيث تقوم الداية بفض غشاء بكارة العروسة (باصبعها) وهو الأسلوب الذى كان متبعا فى حالة زواج صغار السن، وقت أن كان عمر الزوجين لا يتعدى العشر سنوات..!! وقد اختفى هذا النوع من الزيجات، بفضل انتشار التعليم، وتأثير وسائل الإعلام الحديثة.

وفى كل الحالات، نجد الأقارب ينتظرون خارج غرفة (الدخلة) يعقدون حلقة فنية للغناء والرقص على ايقاعات مرتفعة للطبل ودق الكف بصورة ملفتة (ومقصودة) بهدف التغطية على الأصوات المحتملة لصرخات العروسة (جراء عملية فض غشاء البكارة) وعند انتهاء العريس من إنجاز هذه المهمة، تخرج أكبر السيدات من أهل العروسة حاملة معها قطعة من القماش الأبيض مخضبة بدماء فض البكارة، وقد كانت (الرومية) وهى قميص النوم الأبيض الخاص بالعروسة والمخصص لهذه المناسبة تحديدا، تخرج به السيدة معلنة عن شرف العروسة وأهلها، وهناك العديد من الأغانى الشعبية

المحلية التى تتغنى بها السيدات فى هذه الاحتفالية الخاصة، منها:

ياولاد عمه هيصوله الليلة

احسن يقولوا ده قليل العيلة

ياولاد عمه هيصوله شوية

احسن يقولوا ده قليل الهى

ياولاد عمه ساعدوه يسعدكم

احسن يقولوا ده غريب مش منكم

ياولاد عمه بيضوا له الاوضة

سبع الرجال خد له عروسة موضة

ياولاد عمه بيضوا له المنضرة

سبع الرجال خد له عروسة صغيرة

اوعوا تقولوا من عيلة هفية

داحنا من عيلة توقف المديرية

اوعوا تقولوا من عيلة كدابة

داحنا من عيلة توقف النيابة

ياحلاوة ياحلاوة

عريس قمر وعروسته نقاوة

ياحلاوة ياتين

يانواعم ياخوخ

عروستنا زى السكر وعريسها يرد الروح

ياحلاوة توفى

ما سبتينيش ياعريس ويا العروسة طوفى

يا حلاوة ملبسة

ناسبتنا ياعريس ناسبت ناس كويسة

بعد هذه المرحلة يتناول العريس وعروسته وجبة العشاء التي تقوم بإعدادها أم العروسة، وهى تحتوى على قلب وكبد ذبيحة العزومة، حيث يتم تسويتهم وارسالهم إلى بيت العريس قبل الدخلة بساعات قليلة.

فى ليلة الزفاف، يستمر السامر وحتى لحظات الدخلة، بعدها تبدأ الفقرة الأخيرة من احتفالية الزفاف، وهى المولد والحضرة، وهى غالبا ما تقام فوق سطح بيت أهل العريس، وهى تعتبر احتفالا دينيا يهدف إلى مباركة الزواج، وبعد التغير الذى حدث فى النمط المعمارى للمسكن فى الواحات ـ نسبيا ـ والذى تقلصت معه ظاهرة أسطح البيوت، أصبح المولد والحضرة يقامان فى إحدى الغرف الواسعة من البيت.

وفى الوقت الراهن، ومع موجات التغير الثقافى المتلاحقة فى الواحات عموما، والتى تبلغ ذروتها فى الواحات الداخلة على وجه الخصوص، نجد أن النمط السائد فى احتفالية الزفاف فى المنطقة يكاد يتطابق تماما مع ذلك النمط السائد فى أرقى أحياء مدينة القاهرة بكل تفاصيلها، بل أن الأمر يزيد، حيث غالبا ما تبدأ مراسم حفل الزفاف ـ فى القاهرة ـ فى أول الليل وتنتهى قبل منتصف الليل، بينما فى الواحات الداخلة فإن العريس والعروسة يصلان إلى قاعة حفل الزفاف ـ قادمين من (الكوافير) قرب منتصف الليل ـ ويستمر الحفل إلى ما قبيل الفجر....!!!

وربما تعود أسباب هذا التغير السريع إلى عدة أسباب، يأتى فى مقدمتها:

ـ تفرد الواحات الداخلة بالارتفاع الملحوظ فى أعداد الملتحقين سنويا بالتعليم الجامعى، خاصة الفتيات، مما أسهم بنسبة كبيرة فى نقل ثقافات مغايرة إلى مجتمع أكثر جاهزية لاستقبال هذا التغير.

ـ كذلك تميز الواحات الداخلة بكثافة عدد المهاجرين منها إلى كبرى العواصم المصرية، ممن يعملون فى حرف معينة اشتهروا بها وتخصصوا فيها مما أسهم فى نقل ثقافات مجتمعات المهجر إلى الواحات.

ـ التأثير الإعلامى ووسائل الاتصال الحديثة، وفى مقدمتها الإعلام المرئى

ثالث عشر: (عشيان العروسة)

حديثا، تقلص الشكل الاحتفالى الذى كانت تتسم به احتفالية (الصباحية) قديما، والتى كانت تضم معظم سيدات وفتيات الواحة، فلم تعد (صباحية) وقد أضحت (مسائية) وتقلص المحتفلون بها، فلا يتعدى أقرب المقربين لأهل العروسة فى زيارة لها لا تستغرق فى الغالب أكثر من ساعة واحدة، وقد حلت عزومة السبوع محل الصباحية من حيث الأهمية، وعزومة السبوع هى الاحتفال الختامى لما يطلق عليه (عشيان العروسة)

وعشيان العروسة، هو المصطلح الذى يطلق على وجبات الطعام (الخاص) الذى تعده أم العروسة وترسله إلى ابنتها يوميا ولمدة سبعة أيام بعد زفافها، وهى العادة التى تحتفظ بها مدينة موط

وبعض القرى دون أخرى، ويطلق على الوجبة اسم (صينية العروسة) وتحتوى صينية العروسة على زوجين من الحمام المحشو بالأرز، بالإضافة إلى طبق كبير من الفتة يعلوها الأرز واللحم، وصنفين من الخضر.

فى اليوم السادس، ليلة سبوع العروسة، يقوم أهل العروسة بإعداد وجبة خاصة تتكون من عدد ٦٠ زوجا ـ كحد أدنى ـ من الحمام (غير المطهى) وكمية من الأرز والخبز الشمسى، وأكثر من أربعة أنواع من المحشى، وكمية من اللحم، والخضر، وكذلك عدة أنواع من صوانى الحلوى الشامية، وفى هذه الليلة تتم عملية إعداد هذه الوجبة الجماعية فى مطبخ عائلة العريس، ويدعى إليها أهل وأصحاب العريس فقط، دون مشاركة من أى من أهل العروسة..!!

ونذكر هنا، أن الناس يتباهون ويتفاخرون بزيادة أعداد الحمام التى تخصص لهذه المناسبة، باعتبار أن ارتفاع العدد إنما يعنى التعبير عن حب الأسرة لابنتهم (العروسة). فتصل الأعداد أحيانا إلى ١٥٠ حمامة..!!



اعداد الحمام فى سبوع العروسة ضمن عادات الزواج . موط الداخلة

جدير بالذكر أن أم العروسة،عادة ما تتلقى كمية كبيرة من الحمام على سبيل الإهداء من الأهل والجيران، وغالبا ما يتم الرد فى مناسبات مشابهة، وهو ما نعده نوعا من (النقوط) واجبة الرد فى حينها.

وتنفرد هنا قرية بدخلو بنظام مختلف،حيث يقوم العريس بتكلفة وجبة الصباحية، بينما أم العروسة تقوم بإرسال صينية طعام لثلاثة أيام فقط، ثم صينية السبوع، دون الالتزام بصنف الحمام.

أما فى قرية تنيدة فلا توجد بها وجبات للسبوع، ويكتفى بإرسال صينية من الحلوى المنزلية.

ثانيا: عادات الطعام

عشيان المواسم

وتأتى (عشيان المواسم) كواحدة من العادات التى تحافظ الجماعة على ممارستها بصورة دورية ثابتة، وهى التزام صارم من ولى الأمر تجاه الإناث من البنات المتزوجات والأخوات والخالات والعمات، فيرسل لهم (العشيان) فى المواسم المحددة بخمس مناسبات فى العام هى على التوالى (جمعة رجب،النصف من شعبان، عيد الفطر، عيد الأضحى، عاشوراء)

والعشيان واجبة على ولى الأمر أيا كان (الأب أو أكبر أولاده، أو الأم) فهى عادة ما يرثها كبير الأسرة، ويتولى تنفيذها.

وعشاء الموسم يتكون من خمس ميشات من القمح (مكيال الميشة = ٢كجم)، ميشة واحدة من البياض (الأرز المضروب) وزوجين من الحمام أو دجاجتين، ٢كجم من اللحم،٢كجم من نوعين من الخضر، ويتكفل ولى الأمر بإرسال العشيان بعد عصر ليلة كل موسم إلى منزل المستحقة.

ويقتصر واجب العشيان ـ فقط ـ على السيدات ممن لم يحصلن على ميراثهن المستحق، بينما يعتبر (عشا الموسم) لمن حصلت على ميراثها بمثابة هدية يطلق عليها اسم (حَنية) وليس واجبا، يؤديه ولى الأمر المقتدر فقط دون التزام بالكميات والأنواع المحددة فى العشاء الواجب.

ومن المشاهد الملفتة والمحببة إلى النفس، ذاك المشهد الذى تتابعه حينما تقف فى أحد ميادين الواحة قبيل غروب أيام المواسم، فتجد مجموعات غفيرة من الصبية يحملون على رءوسهم أوعية الخوص التى يطلق عليها اسم (بدارة) يغطيها مفرش زاهى الألوان، يحملون فى داخل كل واحدة منها محتويات عشاء الموسم إلى كل مستحقة من الأقارب حتى دارها ..!! ولعله من الملفت أن عادة (عشيان المواسم) لاتزال تلقى الاهتمام والاستمرار فى الممارسة مهما كانت الحالة الاقتصادية لأولى الأمر، الملقاة على عاتقهم مهمة التكلفة الواجبة والملزمة.

طعام احتفالية عاشوراء

تحتفل المجتمعات المصرية بصفة عامة بمناسبة عاشوراء فى صور وممارسات متقاربة، حيث تتفق جميعها فى سياق الطعام، فهناك من الجماعات التى تطبخ (أرز بلبن) وأخرى تطبخ (عاشورة) وهى تحتوى على حبوب القمح المطبوخة مع اللبن، كما تنتشر فى مجتمعات الدلتا عادة (التوسيع) وهى أن تقوم الأسرة بذبح المتيسر من الطيور أو الدواجن، وتكون هذه وجبة (فوق العادة) بمناسبة عاشوراء.

أما فى الواحات الداخلة ـ وفى منطقة موط تحديدا ـ فالأمر يختلف، إذ يحتفل الناس بعاشوراء من خلال ممارسة غاية فى

التميز، فالمحتفى بهم فى هذه المناسبة هم الأطفال والشباب حتى سن ماقبل الزواج..!!!

تبدأ المرحلة الأولى من الاحتفال قبل الموعد بقرابة الشهرين، حيث تقوم السيدات بالبدء فى تصنيع (القوادس) ومفردها قادس، وهو عبارة عن وعاء من الخوص المضفر من خوص النخيل الأبيض (الذى يطلق عليه قلوب النخل) وهو أجود ما تنتجه النخيل من خوص، من حيث المتانة واللون.والقادس اسطوانى الشكل، له غطاء مثبت من الخلف، ومن الأمام له قفل من حبل الليف، ومن الحبل ايضا تصنع يد القادس التى تستعمل فى الحمل والتعليق.

والقادس ـ بصفة عامة ـ له العديد من الاستخدامات فى المنطقة، فهو وعاء لطعام الفلاح، يحمله إلى حقله الذى يقضى فيه نهاره كاملا، كما يستخدم منزليا فى المشتريات صغيرة الحجم مثل اللحوم ، والقوادس المستخدمة فى هذه الوظائف تكون دائما من تلك التى استخدمت فى احتفال عاشوراء المنقضى.

وإذا كانت الأسرة تضم فى حدود خمسة من الأبناء، فان الأم تستغرق حوالى ستة أسابيع فى صناعة هذا العدد من القوادس.

بعد ذلك تبدأ مرحلة إعداد وخبز العيش الشمسى والفطائر الخاصة بهذه المناسبة، هى عادة ما تكون قبيل الاحتفالية بيومين، ثم تأتى المرحلة الأخيرة من الإعداد، فى ليلة عاشوراء، وفيها تقوم السيدة (الأم) بتجهيز وطبخ الدجاج المحشو بالأرز بواقع واحدة لكل ابن من أبنائها (الأولاد والبنات) وسلق البيض (ست بيضات للولد وأربع للبنت)

وفى فجر يوم عاشوراء تتم عملية تجهيز القادس لكل واحد منهم، بوضع ما يخصه بالإضافة إلى رغيف من الخبز الشمسى،

يأتى الدجاج فى مقدمة طعام عاشوراء، حيث يخصص (ديك دجاج) للولد، بينما تخصص دجاجة للفتاة، ويتوقف حجم الديك والدجاجة على ترتيب الولد والبنت بين أخوتهما، ولا يستثنى من هذه القاعدة سوى أصغر الأخوة فى حال كونه ذكرا فقط، فإنه يحصل على ديك كبير الحجم مثله فى ذلك مثل أكبر اخوته.

بعد الدجاج، يأتى البيض ويطلق عليه محليا اسم (الدحى ومفرده: دحية) ويكون بواقع ست بيضات للولد، وأربع للأنثى.

أما الفطائر ، فهى تتكون من فطيرتين، الأولى محشوة بعجينة البلح، والثانية ـ وهى الأهم ـ وتسمى (القوز) وهى عبارة عن فطيرة على شكل الولد أو العروسة، وتنقش بنقوش توضح معالم الشكل، وتستخدم فى ذلك حبات الفول السودانى بغرسها فوق عجينة الفطيرة، لتحديد الملامح والملابس.

ويذكر هنا أن (القوز) هو آخر ما يوضع فى القادس لكى يغطى المحتويات،فضلا عن أن القوز هو آخر ما يؤكل من محتويات القادس، ويعد أكله قبل أى صنف آخر من الأفعال التى تثير التشاؤم.

البعد الطبقى

ونود هنا الإشارة إلى البعد الطبقى فى عنصرين من عناصر هذه الممارسة، وهما صناعة القادس، ثم صناعة الفطيرة،

فنجد اختلافا ـ فى صناعة القادس ـ من حيث درجات وأنماط الوحدات الزخرفية، ونوع الخيوط المستخدمة وألوانها، حيث يتجلى البعد الطبقى واضحا من خلالها، فطبقة الأغنياء تكون قوادسها مشغولة بخيوط حريرية، كما نلحظ فيها دقة الصناعة، وهذا النوع المتقن الصنع تقوم عليه صانعة محترفة تصنع القادس مقابل أجر،

وهو ما تلجأ إليه الطبقة الأعلى، وفى مقابل ذلك نجد أن طبقة العامة، تصنع فيها الأم قوادس أولادها وفق خبرتها التى غالبا ما تكون متواضعة من حيث جودة الصناعة، وفنية النقوش، وتوافق الألوان المستخدمة.

أيضا، يتجلى البعد الطبقى فى صناعة الفطائر، وخاصة فطيرة (القوز) فنجد أن الأسر الميسورة تصنعها من نوع دقيق كعك الأعياد والمناسبات، بينما تصنع الطبقة الأدنى فطائرها من دقيق الخبز الشمسى، وهذ الفارق لا تتدخل فيه عوامل التكلفة المادية، ولكن تحكمه القاعدة السائدة فى الواحات، وهى أن الفطائر عموما لا تعرف طرق صناعتها سوى نساء الطبقة الميسورة فقط.



نماذج من قادس احتفالية عاشوراء ـ موط ـ الداخلة

الاحتفالية

قبل شروق شمس يوم عاشوراء،يأخذ الصبية قوادسهم، ويتجهون فى ملابس جديدة إلى أقرب سقيفة مجاورة، (والسقيفة هى أحد أشكال الشوارع الضيقة المسقوفة فى الواحة) وقد تعرضنا لشرحها فى فصل العمارة التقليدية.

يقوم أكبر الأخوة فى كل عائلة بدق الخوابير الخشبية فى حائط السقيفة ، على ارتفاع حوالى المتر ونصف المتر، وفى مستوى واحد يقوم كل الأولاد بتعليق قوادسهم ، فتشاهد حوالى ٤٠ ـ ٥٠ قادوسا معلقًا على جانبى السقيفة الواحدة لأبناء كل منطقة.

بعد تعليق القوادس يجلس الأولاد على مصطبتى السقيفة المتقابلتين، كل تحت قادسه، فى صورة نظامية بديعة..!!

وفى ساعة خروج الرجال والنساء إلى أعمالهم اليومية صباحا يمرون على سقائف الواحة، ويصافحون الأولاد والبنات ، مع ابداء الإعجاب بجمال قوادسهم بزخارفها المختلفة.

وحينما يحل موعد الإفطار تبدأ مايطلق عليها لعبة (التطقيش) وفيها يمسك الواحد منهم ببيضة (ويطقشها) فى بيضة زميله، والطقش هنا بمعنى التصادم ، ومن تتكسر بيضته يخسرها لصالح منافسه..!

وفى هذه اللعبة تظهر المهارات الخاصة لبعض الأولاد، مثل طريقة الإمساك بالبيضة فى استقبال الضربة المنتظرة من بيضة اللاعب المنافس، وكثيرا ما كان يلجأ بعض الصبية إلى الخداع فى هذه اللعبة، بأن يقوم بإعداد شكل البيضة ـ تماما ـ من حجر أبيض اللون (الحجر الجيرى) يسمى (حجر الحكاك) فلا ينكسر، ويظل يفوز على كل من يقابله فى هذه المباريات، إلى أن ينكشف أمره.

بعد ممارسة هذه اللعبة، تبدأ أول مراحل تناول الطعام، حيث يتم أكل البيض مع الخبز وقليلا من الفطائر.

أما عن ألعاب الفتيات فهى عادة ما تكون قاصرة على لعبة (الحجلة) التى تسمى (الأولى) فى مناطق أخرى من مصر، بينما

يقوم الأولاد بممارسة ألعابهم مثل لعبة (المبح) وهى من أشهر ألعاب الواحات الداخلة.

وعند الظهيرة، يفتح كل واحد قادسه ويجلس على المصطبة ليأكل الدجاج، ومن الأطفال من يفضل العودة إلى البيت للأكل، وهو ما يتبعه ـ غالبا ـ أبناء الطبقة الأعلى.

صوانى العزاء

من العادات الاجتماعية المهمة المرتبطة بعادات الوفاة والتى تأتى فى إطار التكافل الاجتماعى، ظاهرة ارسال صوانى الطعام إلى أهل المتوفى، والتى يطلق عليها اسم صوانى الميت، حيث ترسل صوان للرجال، وأخرى للسيدات، فى الظهر والمساء، لكل فى مكانه، وتستمر هذه العادة لثلاثة أيام (هى فترة العزاء) ويختلف شكل الممارسة فى العديد من القرى عنها فى مدينة موط، حيث نجدها فى القصر تأخذ شكل (عزومة) لأهل المتوفى عند واحد من الأقارب أو الجيران فى كل مرة، أما فى قرية تنيدة فنجد الصوانى لابد وأن تعود فارغة، لأن الأكل (الراجع) يثير التشاؤم لدى أصحاب المجاملة.

بعض الأكلات الشعبية فى منطقة الواحات الداخلة

تعرضنا فيما سبق للعديد من الأكلات المرتبطة بسياق معين، مثل احتفاليات الزواج، وعاشوراء، والعشيان الموسمية..الخ

إلا أن هناك العديد من الوجبات الخاصة التى تتميز بها المنطقة منها مايلى:

١- (فتة الحليبة) وهى وجبة إفطار شائعة فى أنحاء الداخلة، وهى عبارة عن تقطيع الخبز الشمسى إلى قطع صغيرة، يضاف إليها الحليب الساخن (من البقر المنتشر فى المنطقة) ومعه القليل من السكر، ثم يترك حتى يتشبع الخبز بالحليب قبل الأكل. ويطلق على هذه الوجبة بنفس مكوناتها مسميات مختلفة، مثل (مغلية) فى قرية الراشدة، وبعض القرى الأخرى.

٢- (الرز والفتة) وهو الوجبة العامة والمسيطرة على عادات الطعام فى كافة الواحات الداخلة فى وجبة الغداء، وكثيرا ما يتناولها الفلاحون ليلا بعد عودتهم من الحقول، ويتم إعداد الفتة أولا فى الأنجر(طبق كبير من الصاج)، وتضاف عليها تقلية الثوم ثم يضاف الأرز فوقها، ويتوج الأنجر بقطع اللحم.

٣- (الجبنة المعطونة) وهى من أنواع الجبن الذى تتميز به الواحات الداخلة دون غيرها، تخصصت فى صناعته قريتى أسمنت والمعصرة (المتجاورتين جغرافيا) وتبدأ خطوات صناعته مثل الجبن القريش المعروف، إلا أنه بعد خطوة (حصير الجبن) يتم تعبئته فى أوان فخارية، تسمى الواحدة منها (طرشية) وهى أشبه بالزلعة المعروفة فى صعيد مصر، وبعد التعبئة يوضع الملح (بكثافة) بين طبقات الجبن وفوقه، ثم يتم غلق الطرشية بسدة من ليف النخيل، وفوقها طبقة من الطين، للمزيد من إحكام الغلق ومنع دخول الهواء إلى داخلها، وتترك الطرشية لمدة تتراوح من ٤-٧ أشهر، لكى تكون صالحة للأكل، وأشد ما تتسم به هذه النوعية من الجبن، هو أنها فائقة الكراهة فى الرائحة التى تنتج عن درجة التعطن الشديدة طبقا لمدة غلق الطرشية ، وبرغم

ذلك فإنها تتسم بطعم غاية فى الإغراء، ومن المعتاد أن تلحظ الإقبال على شرائها فى سوق مدينة موط، حيث تجلبه السيدات المنتجات له من أسمنت والمعصره.

٤- (لبسان) وهو نوع من الخضر (الشيطانية) ما يعنى بأنها لا تقاوى لها، فتنبت مع محصول القمح بدون بذور، وهو نبات شتوى، وتناوله مطبوخا فى كافة مناطق الواحات الداخلة، يؤكل كوجبة خضر مطبوخة منفردة، أو طبخه مع الأرز فى وجبة متكاملة تسمى (رز اللبسان) وهو نبات يشبه الخبيزة أو السبانخ، ويتم تخريطه بنفس طريقتها، وهو يشتهر شتاء حيث يطلق عليه السكان هنا (المضاد الحيوى) لأمراض البرد، خاصة ماتتسم به الواحات من برودة قارسة فى ليالى الشتاء، أما عن طريقة إعداد اللبسان للطعام، فهو يتسم بمرارة شديدة، مما يفرض غليه وتصفية مائه لأكثر من مرة للتخلص من هذه المرارة، غالبا ما يؤكل كوجبة إفطار للفلاحين ممن تضطرهم مواعيد استحقاقهم لمياه الرى ليلا، وتعرضهم لطقس الشتاء الصحراوى، ورز اللبسان يعشقه الكثيرون من السكان على اختلاف وتفاوت طبقاتهم، بسبب قناعتهم الكاملة بفائدته الغذائية والطبية.

٥- (طليعة) وهى من الوجبات المهمة التى تستمد شيوعها من انتشار تربية الأبقار، مما تتوافر معه الألبان بكميات كبيرة، ما يجعل الحليب متاحا للعامة بيسر وسهولة، والطليعة هى اللبن المختمر، فى مرحلة ماقبل (الخض) أى كامل الدسم، ويكون قوامه أشبه (بالجيلى)، ويؤكل بالملعقة، وغالبا ما يكون لوجبة العشاء، لما تشتهر به الطليعة من فوائد هضمية.

٦ـ (المريسة) وهى مشروب يرتبط بالصيام فى شهر رمضان كمشروب (مثل الخشاف) قبل تناول طعام الإفطار وهو من العادات الآخذة فى الاندثار، ولم تكن تنتشر سوى فى مدينة موط عاصمة الداخلة، وهى عبارة عن بلح مخلى من النوى، ويضاف إليه حبات المشمش الجاف بعد نقعها فى الماء ليوم سابق، وبعد خلط السائلين معا، يشرب باردا.

٧ـ (العصيدة) وهى تختلف تماما عن العصيدة الخاصة بالبدو فى سيناء ومطروح، فهى هنا عبارة عن مطبوخ بلح العجوة مضاف إليها بعض الدقيق وتترك على النار حتى يغلظ قوامها قليلا، ثم تؤكل خاصة فى وجبة العشاء الشتوية، فهى وجبة غذائية تبعث الدفء، لما تضمه من سعرات حرارية عالية، فضلا عن وفرة عناصرها من الإنتاج المحلى..

٨ـ رز العرب،(وجبة تنفرد بها قرية المعصرة) وهو نوع من الأرز المطبوخ على طريقة البدو، وهو ما يطلق عليه عند بدو مطروح اسم (رز حمر)

٩ـ المفروكة، من أكلات عاشورة وشم النسيم فى قرية تنيدة، وهى عبارة عن خليط الرقاق المعجون فى البلح والزبد.

ثالثا: العادات المرتبطة بآبار المياه

الآبار هى مصدر المياه الوحيد فى الواحات، حيث تعتمد عليها الحياة كلية، وبالتالى فهى تعتبر بمثابة نقطة المركز لدائرة شديدة الاتساع من العناصر الثقافية المختلفة والمتميزة بما لها من أهمية فى قيام واستمرار الحياة فى هذه الواحات.

بداية، يجب علينا التنويه إلى الفارق بين الآبار من ناحية، والعيون من ناحية أخرى، فالأولى هى من صنع الإنسان بما تتطلبه من أعمال الحفر وما تتطلبه من خبرة تراكمية، إضافة إلى الجهد البشرى الشاق، بينما العيون هى تلك التى تتفجر ذاتيا نتيجة وجود قشرة أرضية رخوة فى منطقة منخفضة السطح، وبالتالى فإن عامل الطبيعة الطبوغرافية للأرض هو المتحكم فى موقعها، وكمية المياه المتصرفة عنها والواحات الداخلة تعتمد اعتمادا كليا على الآبار وليس العيون، بينما تعتمد واحة سيوة على العيون فقط دون الآبار..

ويعود اعتماد الداخلة على الآبار لنشاطها الزراعى الذى يكاد يضاهى مناطق أخرى فى وادى النيل من حيث التنوع المحصولى ومساحاته، والإنتاج الحيوانى، وهو ما يتطلب كثرة الآبار التى تقوم على رى هذه المساحات الزراعية ، وهى بذلك تختلف عن باقى الواحات التى تعتمد فى اقتصادها فقط على النخيل.وفى هذا السياق يورد جمال حمدان إحدى الإحصائيات التى توضح موقف الآبار والعيون فى مصر (فى عام ١٩٦٠) أى قبل دخول أجهزة تعمير الصحارى إلى الواحات، والتى تشير إلى أن عدد الآبار والعيون فى مصر هو ١٣٥٦ منها ٩٦٪ فى الصحراء الغربية، توزيعها كما يلى :

المنطقة	عدد الآبار والعيون	النسبة المئوية
الواحات الداخلة	٥٦٤	٪٢١٥
الواحات البحرية	٣١٥	٪ ٢٣
الواحات الخارجة	١٨٨	٪١٣
واحة سيوة	١٠٦	٪٨

هذا البيان مايدل على أن الواحات الداخلة هى صاحبة النصيب الأكبر فى حجم مياه الآبار وبالتالى حجم النشاط الزراعى.

وننوه هنا إلى ذلك التقرير الصادر عن هيئة تعمير الصحارى قبل بدء أعمالها فى الواحات وما ورد به من احصائيات للعيون القديمة بالواحات الداخلة والتى قدرها التقرير بقرابة ٩٥٠ عينا قديمة.

والآبار تعتمد على العمل البشرى الذى يستند إلى الخبرة المحلية والثقافة النوعية، والجهود الجماعية التى كانت - فيما مضى - تستمر أحيانا لسنوات من العمل اليومى، وبالتالى فإن عملية حفر البئر فى الواحات الداخلة تعد بمثابة (شجرة ثقافية) متعددة الأفرع، لاشتمالها على مجموعة كبيرة من العناصر الثقافية المختلفة من عادات وتقاليد ومعتقدات ومعارف وفنون..الخ، كما سنرى.

وحينما نتعرض للحديث عن العادات المرتبطة بالآبار فى الواحات الداخلة، فاننا نتحدث عن (قانون عرفى) محكم للعناصر المنظمة للعمل الزراعى، من خطوته الأولى المتمثلة فى التفكير فى حفر أحد الآبار، ومرورا بتقسيم الجهد فى أعمال الحفر، وحتى توزيع حصة المياه (وبالتالى الأرض الزراعية) وهى عادات ضابطة وصارمة، وهى - فى رأينا - تعد من أهم المفردات الثقافية المتميزة فى المنطقة، بل هى الأهم، فهى نموذج على قدرة الإنسان على التكيف مع البيئة بظروفها ومعطياتها، والإبداع فى خلق آلية تضمن له الحياة، حتى أن النظم المحلية التى تحكم موضوع الآبار فى

الواحات قد أعجزت - على مدى تاريخها الطويل - الحكومة المصرية عن أن تعمم نظام الملكية المتبع فى أنحاء مصر على سكان الواحات، فما كان من الحكومة الا أن تعترف بهذه العادات، والتعامل معها باعتبارها قانونا عرفيا محليا، من خلق وإبداع الجماعة عبر تاريخها الطويل، خاصة فيما يخص موضوع تحديد الضرائب..!!

ولأن مياه الآبار هى محور العمل الزراعى فى الواحات وليست الأرض، فقد تميز نظام الملكية تبعا لذلك، حتى صارت الواحات لا تعرف ملكية للأرض الزراعية، واقتصرت فيها الملكية على المياه فقط..!! وبالتالى فإن الدولة تفرض الضريبة على المياه وليس على الأرض. وكما يقول الدكتور جمال حمدان فى كتابه (شخصية مصر - ج١) عن الزراعة فى الواحات (أن الماء هنا، وليس الأرض، هو سيد الموقف، عكس الوادى، لأنه العامل المسيطر والسيد والمحدد معا، فالاقتصاد الواحى هو اقتصاد ماء قبل أن يكون اقتصاد أرض، فالماء فى الواحات سلعة تباع وتقرض وترهن مستقلة عن الأرض، بل وأحيانا أداة نقد (سائل، جدا. !) للمعاملات والمبادلات والمقايضات، بينماعقود الملكية والبيوع والمزارعة هى عقود رى، وهناك تشريع بأكمله صارم ودقيق ينظم حقوق الماء وتوزيعه،... فالملكية والثروة والميراث تقدر بالآبار وكيل الماء وقيراط المياه، لا بالطين والفدان وقيراط الأرض، فلا أحد يعرف أو يعترف بملكية الأرض بل لا أحد يعرف حدود أرضه أين بالدقة تبدأ، وأين تنتهى..!!)

نظام تقسيم العمل/ الملكية، فى حفر الآبار :

بعد اتفاق المشاركين فى حفر البئر، يتم تقسيم البئر على ١٢رجلاً، والرجل هنا هو وحدة القسمة فى العمل والملكية، بمعنى أن العمل فى حفر البئر يتطلب هذا العدد يوميا، وحتى الانتهاء من أعمال الحفر، أى حتى تدفق المياه. بمعنى أنك سوف تملك فى مياه البئر (المتوقعة) بمقدار ما تبذله من جهد فى أعمال الحفر.

وطبقا لذلك، يتم تقسيم كمية المياه الناتجة عن البئر على هذا العدد من (الرجال) المشاركين فى العمل.

أما عن العلاقة الحسابية بين عدد رجال العمل، وبين تقسيم الملكية فى البئر فإنها تحتسب على أساس أن جملة المياه المتدفقة من البئر تقسم على ٢٤ أميلة، بواقع أميلتين للرجل الواحد، والأميلة هى وحدة زمنية لقياس حجم الوقت لاستحقاق المالك فى استغلال مياه البئر فى أعمال الرى. ووحدة الأميلة تساوى ١٢ ساعة، وتطبق - واقعيا - على أساس أن النهار منذ طلوع الشمس إلى غيابها يحتسب أميلة واحدة، ومن الغروب حتى شروق اليوم التالى هو الأميلة الثانية

والأميلة الواحدة تنقسم إلى ٣٠ قدمًا، والقدم هو وحدة زمنية أيضا تعتمد فى قياسها على ظل الشمس نهارا، بينما تعتمد على حركة النجوم ليلا، وفى وجود (الساعة) تحتسب الساعة الواحدة مساوية لثلاثة أقدام ، أما عملية قياس القدم نهارا فتتم كما يلى :

أولا: أقدام الغرب (النصف الأول من النهار) يكون قياسها بأن يقوم رجل (متوسط القامة) بالوقوف معطيا ظهره لجهة الشرق / الشمس،

فيكون ظله إلى اتجاه الغرب،ثم يقوم بتحديد آخر ظل رأسه بعلامة على الأرض، ثم يبدأ عملية القياس من مكان وقوفه وحتى موضع علامة الأرض، فيقوم بوضع قدم أمام أخرى، وهكذا حتى يصل إلى العلامة وهو يعد الأقدام التى قطعها، فإذا كانت - مثلا - عشرة أقدام، فيقال عن هذا التوقيت أنه (عشرة الغرب) وهكذا...

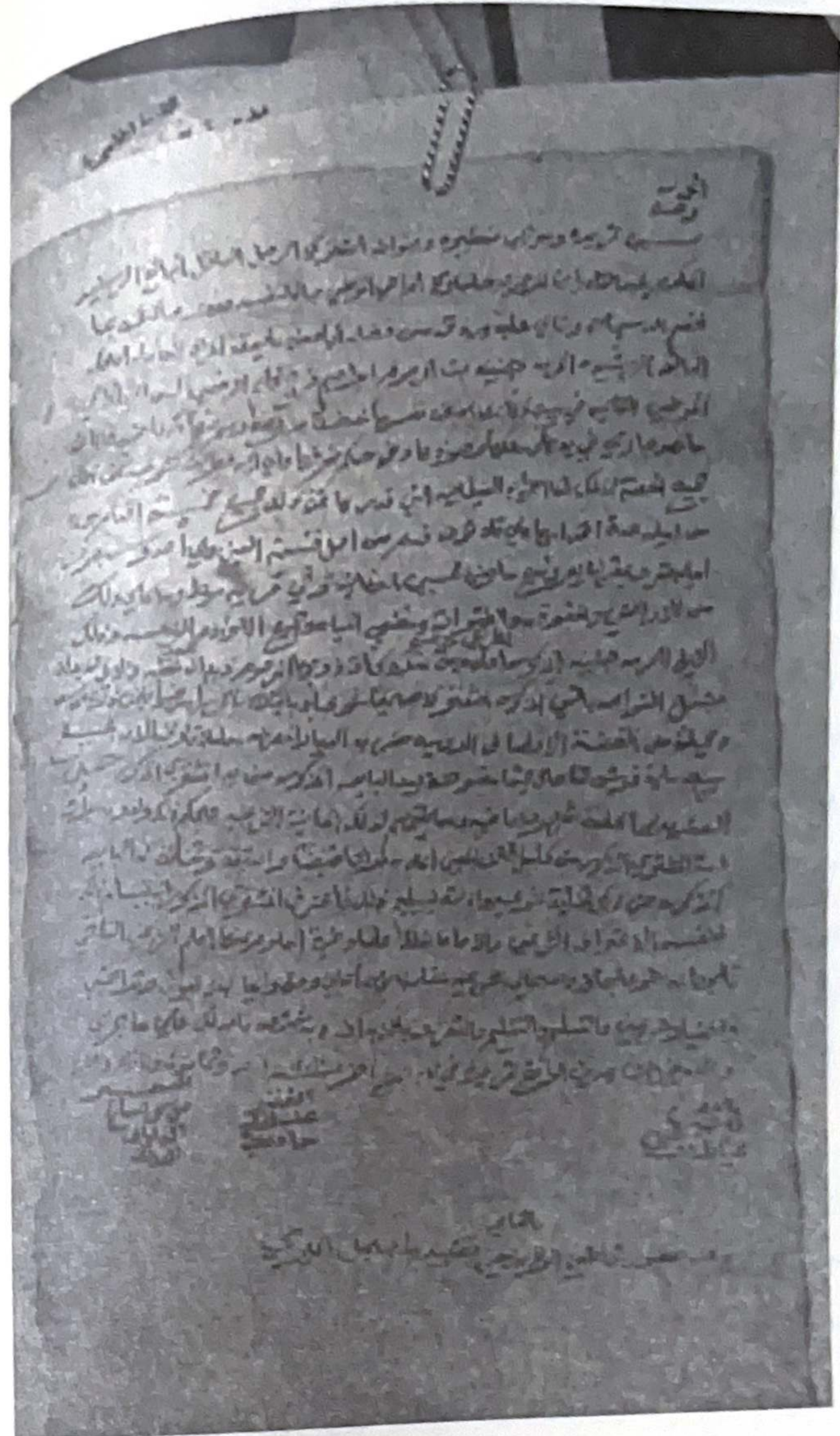
ثانيا: أقدام الشرق (النصف الثانى من النهار) وهى تبدأ أولا بتوقيت الزوال، حين يقف الرجل بين الاتجاهين الشرقى والغربى فلا يجد له ظلا (وقت زوال الظل) حينئذ يكون التوقيت هو منتصف النهار (نصف أميلة) أى نهاية نصف الأميلة الأول من النهار.

ثم يولى الرجل وجهه إلى جهة الشرق ليكون ظله أمامه، ويبدأ القياس بنفس الطريقة السابقة.

وجدير بالذكر هنا أن أقدام الغرب (الصباحية) تبدأ منذ لحظة شروق الشمس، فيكون الظل فى اتجاه الغرب طويلا، ويظل فى التناقص حتى توقيت الزوال، بينما تبدأ أقدام الشرق (المسائية) قليلة، ثم تتزايد حتى الغروب.

وبناء على ذلك فإن الملكية فى البئر تتحدد بهذه الوحدات القياسية، فيمكن للعضو أن يمتلك نصف رجل للحصول على أميلة واحدة من المياه، أو ربع رجل فيمتلك ١٥ قدما.

وتظل الأميلة هى وحدة الملكية فى المياه (والأرض التى تزرعها) إلى ما شاء الله، ويتصرف مالكها فيها بالبيع والشراء والتوريث بموجب (حجة) موثقة بالشهود (انظر صورة الوثيقة مع محتواها)



حجة بيع وشراء كمية من مياه بئر بنظام وحدة الأميلة موثقة منذ حوالى ١٦٠عامًا - الداخلة

(نص محتوى وثيقة بيع مياه آبار، موثقة من قاضى الشرع الشريف بقرية القلمون - مقر القاضى - منذ ١٦٠ عامًا)

الحمدلله وحده

سبب تحريره وموجب تسطيره هو انه بقرية موط بالواحات الداخلة بيدى سيدنا ومولانا الحاكم الشرعى الذى سيضع خطه ومهره الكريمين أعلاه أدام عقله وأعلاه بمحمد وآله آمين، اشترى العبد الفقير إلى الله تعالى الموطن بماله دون مال غيره بما أمن الله عليه ورزقه من فضله اياه من مبايعينه وهما المكرمين حمام وزكية من أولاد حسن منسى الرقع السعدانى وأباعوا ما هو جارى فى يدهم وملكهم و تعريفهم وهم جميع التى قدرها ثلثاى أميلة من أصل أميلة عدد أقدامها تلاتين قدم من غيط بير عين القاضى فى قرية موط بعد قسمتها بين ملاكها وما على ذلك من الأراضى والحقوق والقنوات ومعه المياه اللوازم الشرعية اشترى شرعيا وبيعا لها وما يحرر قدره وجملته من الفضة معاملة تاريخه جميع ستة آلاف نصف فضة قمنا حالا جميعه مقبوضة بيد البالغين المذكورين من يد المشترى المذكور حين العقد بينهما تحضره شهوده فيه وما يتضمن لذلك المعاينة الشرعية فبحكم ذلك برية ذمة المشترى المذكور من كامل الثمن المبين أعلاه البراية الشرعية براية قبض واستيفا وتخلوا له البايعين المذكورين عن ذلك الخلية الشرعية واذنوا له بتسليم ذلك فاعترف المشترى المذكور بتسلم ذلك لنفسه الاعتراف الشرعى وذلك بعد الفطرة والمعرفة وتحت الملة والإحاطة بذلك علما وخبرة نافين للجهالة بمعاقدة صحيحة شرعية صدرت بينهما على وفق وإيجاب وقبول ورضى واختيار شرعى والتعرف بالأبدان من مجلس العقد بينهما وهما عن طيب قلب وشرح صدر

وسبت مضمون ذلك لدى مولانا الحاكم الشرعى المشار إليه أعلاه مسبوقا مجحبا شرعيا تاما معتبرا مرضيا وقد جرى ذلك ولا فى ذلك من لا شرايعه المرعية وواجباته المحررة

وحررت بتاريخ اليوم المبارك سبعة عشر شهر شوال الذى هو من شهور سنة ١٢٨١ أحد وثمانون وميتان والف

(توقيعات البائع والمشترى والشهود)

وعند حضور قاضى الولاية بالناحية تقييدها بسجل الميرى

(التصديق خلف وثيقة العقد)

عملية التوثيق (عليه خاتم بصمة باسم محمد عبدالله (هجرية)

الحمدلله وحده

تحررت هذه المذكرة باطنه لدى مولانا الحاكم الشرعى المشار إليه باطنه وظاهره وقدره جميع ثلثاى أميلة عدة ذلك عشرون قدما من اميلة عدة أقدامها ثلاثون قدما فى عين القاضى المذكورة باطنه جرا ذلك وصدر بتاريخ اليوم المبارك خامس عشر شهر جمادى اول من شهور سنة ١٢٣٦ ست وثلاثون وميتان والف

شهد بذلك

أبوبكر محمد

أكرى

(لفظة (أكرى) أسفل توقيع الموثق تعنى الإقرار بحصوله على أتعاب التوثيق)

(وقد تم التوثيق لدى قاضى الشرع الشريف فى قرية القلمون بالواحات الداخلة)

وعند تطبيق هذه القواعد العرفية عند حساب القدر المطلوب من العمل لكل مساهم فى أعمال الحفر، نجد أن من يسهم برجل /

عمل / يوم يمتلك أميلتين من المياه، بينما من يمتلك١٥ قدما يساهم برجل عمل كل أربعة أيام، وهذه القواعد تكون الضامنة لالتزام ١٢ رجل بالعمل يوميا فى حفر البئر.

وبعد تحديد أسماء الاثنى عشر مساهما، تعقد الاجتماعات التحضيرية للاتفاق على مايلى :

١ـ تحديد (أوسطى البئر) وهو من الخبراء فى أعمال حفر الآبار، وهى خبرة لا تتوافر عادة فى أكثر من اثنين فى المنطقة.

٢ـ الاتفاق على مصدر الحصول على دولاب الحفر، فاما بالشراء أو الاستئجار

٣ـ الاتفاق على تعيين ناظر البئر، وهو ممن تتوافر لديهم شرط القراءة والكتابة وتكون مهمته تقسيم التكاليف الخاصة بشراء أو إيجار المعدات، ويتولى أيضا التعامل مع الجهات الحكومية للحصول على تصاريح الحفر، كما أنه يتولى السفر إلى القاهرة أو أسيوط لإصلاح الأعطال التى تستعصى على الحرفيين المحليين، كما يتفق معه الملاك على مقابل النظارة التى غالبا ما تكون أميلتان من المياه (تضاف على نصيب الملاك)

٤ـ تنسيق العمل بين المشاركين، وتقسيم الاثنى عشر رجلا المطلوبين يوميا لأعمال الحفر، حيث كثيرا ما توجد عائلات مشاركة، ولكنها لا تضم رجالا يصلحون لأعمال الحفر، وهنا عليهم استئجار من يقوم بهذه المهمة فى الأيام المحددة لهم مسبقا.

٥ـ الاتفاق على نجار وحداد الدواليب، لما لهما من مهام فى حل المشكلات الفنية أثناء أعمال الحفر، خاصة وأن الآلات المستخدمة فى مجملها لا تخرج عن نجارة خشب السنط،

وأعمال الحدادة البلدية، وتحديد أجورهم بنظام (المقاولة الإجمالية) أو الحصول على أجرهم من أول محصول زراعى بعد تدفق المياه، وهو مايطلق عليه (جرن الخينة) وهو جرن النجار أو الحداد الذى يجمع فيه حقه من المحصول من كل ملاك البئر، حيث تتم هذه العملية أثناء عملية حصاد الغلة. ولأن الواحات قد شهدت تطورا فى عملية الحفر، فقد انعدمت الآن مهمة نجار الدواليب، والتى كانت فيما مضى تمتد إلى صناعة مواسير الحفر من خشب السنط، والتى استبدلت حاليا بمواسير البلاستيك ،بعد الخشب والحديد، أما وظيفة الحداد فهى لاتزال باقية نظرا لعدم الاستغناء عن (الطوايل) الحديدية، والتى تتعرض للكسر أثناء أعمال الحفر، مما يستوجب لحامها فى موقع العمل.

٦ـ الاتفاق على أيام العمل الأسبوعية، فى حالة ما يكون الأوسطى مرتبطا بالعمل فى بئر آخر، ولا يتوافر بديلا عنه يقوم بعمله فى الخطوات التى يمكن أن تتم بدونه، وعادة ما يكون الأقل خبرة من الأوسطى، ويعمل بتوجيهاته.

٧ـ الاتفاق على تحديد أول أيام العمل، ومشاركة الملاك فى شراء ذبيحة (خروف مثلا) يقام عليها غذاء جماعى فى موقع الحفر فى يومه الأول مباركة لبدء العمل.

٨ـ الاتفاق على شخص (الحاسوب) وهو من سيتولى - بعد توزيع مياه البئر- التنبيه على الملاك بمواعيد استحقاقهم للمياه، باليوم والساعة، وعادة ما يتم هذا التنبيه بعد مغرب اليوم السابق على الاستحقاق، خاصة وأنها غالبا ما تكون أسبوعية دورية، ويحصل الحاسوب نظير ذلك على حوالى نصف أميلة، أوحسب اتفاق الملاك .

أعمال الحفر :

تبدأ المرحلة الأولى باختيار نقطة حفر البئر والتى تحددها عدة عوامل منها :

١ـ الابتعاد بالآبار عن الكتلة العمرانية للواحة، بهدف عدم تأثر المساكن بمياه الآبار والتى كانت تعتمد فى تشييدها على الطوب اللبن، لذلك فإن الواحات بصورة عامة، تكاد أن تكون خالية من الحقول المجاورة للمساكن، تستثنى من ذلك واحة سيوة فقط، نظرا لاعتمادها على العيون وليس الآبار.

٢ـ اختيار أعلى نقطة وسط مساحة من الأرض المنبسطة الصالحة للاستزراع، دون عناء رفع الماء إلى أرض مرتفعة، وتلك هى النظرية التى استحدثها الرومان فى حفر الآبار و زراعة أراضى الواحات، وهى النظرية التى تمنع عملية السحب الجائر لمخزون المياه الجوفية من باطن الأرض، وبالتالى إطالة عمر تدفق المياه من مجموعة آبار متجاورة، وقد كانت الزراعة فى الواحات خلال العصور الفرعونية، تقوم على العيون المتدفقة فى المنخفضات، والتى تعتمد فى رفع مياهها على السواقى التقليدية.

٣ـ فى حالة حفر بئر فى نفس مكان أخرى قديمة نضبت مياهها، فيكون الأمر أكثر يسرا ولا مجال للاختيار.

دولاب الحفر :

تبدأ أعمال البئر بتركيب (الدولاب) فوق نقطة الحفر، والدولاب هو الجهاز الآلى التقليدى للحفر، وهو يتكون من أربعة قوائم من خشب السنط بطول عشرة أمتار، تثبت على الأرض فى شكل هرمى، بحيث تكون قمة الدولاب متعامدة تماما على نقطة الحفر، ثم يتم البدء فى تركيب الأجزاء الملحقة، وهى كالتالى :

١ - الونش، وهو الآلة الرافعة التى تتحكم فى انزال ورفع (الطوايل) داخل فتحة الحفر.

٢ - الجنزير، وهو السلك الشداد الذى يسخدم فى عمل الونش.

٣ - البكارة، وهى الجزء المثبت فى قمة الدولاب للتحكم فى انزال الحديد وخروجه بطريقة عمودية.

٤ - الباب، وهو عبارة عن (طبلية) من الخشب توضع على فوهة نقطة الحفر للتحكم بمعرفة أوسطى الدولاب الذى يقود العمل.

٥ - الكلاّب، وهو عبارة عن مقبض حديدى لقفل وفتح باب المرور لحديد الحفر.

٦ - البنك، وهو فوق الباب، موقع عمل الأوسطى.

٧ - الطوايل، (مفردها طويلة) وهى عبارة عن قائم حديدى مصمت، تكون بقلاووظ من الطرفين (بطريقة دكر ونيتاية) بما يسمح بربط كل طويلة بأخرى للنزول فى الأعماق ، يبلغ طول الطويلة ستة أمتار وتزن حوالى ٨٠ كجم، ويتحدد عدد الطوايل المطلوبة للبئر بمدى العمق المطلوب فى أعمال الحفر.

٨ - البريمة، وهى عبارة عن أسطوانة طويلة مفرغة لها فتحة سفلية بباب يفتح لأعلى فقط ، وتستخدم البريمة فى إخراج نواتج الحفر من العمق إلى الخارج، والبريمة يتم إنزالها بسلك الونش وليس بالطوايل.

٩ - الدقاق، وهو قائم من خشب السنط بطول حوالى ١٢ مترا مثبت فى جسم الدولاب من أحد أطرافه ، بينما الطرف الخارجى يثبت به ١٢ حبلا من الليف المقوى، بواقع ستة حبال

فى كل ناحية، يمسك بها الرجال المشاركون فى عملية الدق، وذلك بجذبها لأسفل فيرتفع الحديد ثم إفلاتها ليهوى الحديد مندفعا إلى أسفل البئر للحفر.

١٠ - الملوينة، وهى أداة حديدية أشبه بالكماشة الضخمة، ويستخدمها الأوسطى فى لف الحديد النازل أثناء عملية الدق، بهدف توسيع الثقب.

١١ - المواسير، وهى التى تطورت بمرور الزمن، فقد كانت العيون (الفرعونية) تتدفق ذاتيا بدون حفر، وبالتالى ما كان على المنتفعين بمياهها سوى تكسية عنق العين (فوهتها) بالأحجار الجيرية المتوفرة فى المنطقة، ومع تطور أعمال الحفر فى العصر الرومانى، استحدثت نظرية الأنابيب التى كانت تصنع فى البداية من خشب الدوم، ثم تطور الأمر - مع اندثار أشجار الدوم - إلى استخدام خشب السنط بدلا من الدوم، وكانت هذه من أهم ما يقوم به نجار الآبار، فالأنبوب الأول يبلغ طوله قرابة ٢٠ مترا، ويسمى الزمارة، فكان النجار يقوم بشق عمود السنط رأسيا ويقوم بتجويف كل نصف على حدة، وضبط التجويف باستخدام (الكسرة) وهى عبارة عن نصف دائرة، فالكسرة فى ثقافة المنطقة تعنى (نصف الرغيف الشمسى) توضع الكسرة وتمرر عبر مجرى التجويف لضبط الفراغ الداخلى للأنبوب، وبعد ضبط نصفى الزمارة، يتم تجميعهما باستخدام (خوابير) خشب تربطها متلاصقة، وبعد تركيب الزمارة حتى الحجر الأول للبئر، يقوم النجار بصناعة الأنبوب الثانى، وهو أصغر نسبيا من الزمارة بما يتيح إمكان إدخال الثانية عبرالأولى..



هيكل الدولاب البلدى فى حفر الآبار

خطوات الحفر

بعد تركيب الدولاب بأدواته تبدأ أعمال الحفر الأولى، بإنزال الحديد والحفر حتى الوصول إلى الحجر الأول، ومصطلح الحجر هنا يطلق على الطبقات الحجرية الجيولوجية التى تفصل طبقة عن أخرى، والحجر الأول هو عادة ما لا يزيد عمقه عن ١٨ـ٢٠ مترا وهو حفر فى الرمال والتربة الجافة، وبعد النزول فى كل مسافة لا تزيد على المتر الواحد، يتم إنزال (البريمة) لإخلاء نواتج الحفر إلى الخارج ،وعند الوصول إلى الحجر الأول يتم إنزال أول ماسورة بقطر ٢٠ بوصة يطلق عليها اسم (الزمارة) وهى تكون واسعة لإمكان نزول المواسير التالية من خلالها،والتى تكون بأقطار أقل. وتكون فائدة الزمارة هنا هى منع تهايل التربة على خط الحفر.

عند الوصول إلى الحجر الأول ورسو الزمارة عليه تبدأ مرحلة (الدقاق) وهى من أشق مراحل أعمال الحفر التى يشترك فيها ١٢

رجلاً من الأشداء، ـ وكما ذكرنا ـ فالدقاق هو عبارة عن قائم من خشب السنط بقطر مناسب لوزن الحديد، وبطول عشرة أمتار يعلق طرفه الأول فى أعلى الدولاب ممسكا بطرف الحديد من أعلى، ومحمل على محور حركة فى الجزء العلوى من هيكل الدولاب، بينما يكون الطرف الثانى للدقاق حرا، ومثبت فيه ١٢ حبلا بواقع ستة حبال فى كل ناحية، هذه الحبال هى التى يقوم الرجال بجذبها لأسفل فى توقيت موحد فيرتفع الحديد، وعند تركها يهبط حمل الحديد فوق الحجر لثقبه أولا ثم كسره،

جدير بالذكر أن هناك غناءً جماعيًا يقوم به المشاركون على إيقاع عملية الدق، حيث يقود الغناء أحد المشاركين ممن يجيدون الارتجال فى تأليف الكلمات مثل:

صلى عليه، و على محمد

صلى عليه، و على نبينا

صلى عليه ـ شدوا حيلكم

صلى عليه ـ و الله معانا

صلى عليه ـ ده عم الأسطى

صلى عليه ـ و الله راجل

صلى عليه ـ راجل و طيب

ويستمر الغناء طبقا لقدرة القائد على الارتجال

تتكرر هذه العملية لمدد متفاوتة، فأحيانا تتم بواقع ساعة كاملة، وتتكرر من ٢ـ٣ مرات يوميا، طبقا لدرجة صلابة ومدى سمك

الحجر، والمسافة بين الحجر الأول والثانى تكون عادة من الطبقة السائلة نسبيا، وعند رسو المواسير فوق الحجر الثانى، فإن ذلك يعنى الاقتراب من الماء الذى عادة ما يتفجر بعد كسر هذا الحجر.

وتتوقف مدة الحفر على طول المسافة بين الحجر والآخر، طبقا للتكوين الجوفى لجيولوجية الموقع، ومن هنا تبرز الخبرة لدى البعض فى تحديد موقع الحفر، كذلك درجة انتظام العمل اليومى، ونسبة التعرض للأعطال التى تأتى فى مقدمتها عملية (وقوع الحديد) وهى عادة ما تحدث عند الوصول إلى أعماق كبيرة، حيث يزيد عدد الطوايل وبالتالى ثقل وزنها، مما يتسبب فى كسر واحدة منها، وبالتالى سقوط كل الطوايل فى عمق البئر، وقد تستغرق عملية إخراجها أكثر من شهر كامل



إنزال الطوايل لحفر البئر

وهناك عوامل عديدة تتحكم فى حجم المياه المتدفقة من البئر، مثل :

١ـ المستوى الجوفى لعمق البئر، حيث كلما زاد العمق زادت معه المياه

٢ـ مدى ابتعاد البئر الجديدة عن أخرى تستمد مياهها من نفس المستوى.

٣ـ مدى ضبط جسم البئر أثناء أعمال الحفر، وعدم وجود انحناءات فى طريق الأعماق.

تطور أساليب الحفر

لاتزال الطريقة القديمة فى حفر الآبار (بالدولاب البلدى) حتى الآن متبعة فى معظم مناطق الواحات الداخلة، وما تغير فيها ـ فقط ـ هو الاسم، فبدلا من اسم الدولاب البلدى أصبح (دولاب السيبيا) واستخدام المثقاب الآلى بدلا من الدقاق اليدوى.

أما الوسيلة الأحدث (نسبيا) فهى استخدام ماكينة يطلق عليها (الخباطة) وهذا الاسم انما يعنى (الدقاقة)

والخباطة تعمل بوقود السولار الذى يقوم بتشغيل موتور بعزم شديد، للقدرة على رفع الطوايل آليا والدق بها لكسر حجر المنسوب الجوفى، ومن مميزات الخباطة عن الوسيلتين السابقتين :

اولا : أنها لا تحتاج إلا إلى فنى واحد للتشغيل، ومعه مساعد واحد.

ثانيا : اختصار المدة الزمنية لأعمال الحفر، حيث يستغرق العمل مدة تتراوح من ٧ ـ١٠ أيام فقط.

ولكن من عيوبها:

أولا : أن تكلفتها مرتفعة بالمقارنة لتكاليف الحفر بالأساليب التقليدية. ثانيا: أن الخباطة لايمكنها الحفر لأكثر من ١٢٠ مترًا، وذلك نظرا لعدم قدرة الموتور على التعامل فى أعمال الرفع للطوايل فى أكثر من هذا الوزن.

ثالثا : اقتصار مثل هذه الآبار السطحية فى المستوى، على ملكيات صغيرة، فبئر الخباطة ينتج مياه تكفى بالكاد لثلاثة ملاك فقط.

طريقة قياس حجم مياه البئر

استحال على الحكومة المصرية تطبيق نظام الضرائب المعمول به فى عموم مصر على الواحات، اذ عجزت (مصلحة المساحة) عن تحديد نظام الملكية للأراضى الزراعية فيها، حيث الزراعة فى الواحات تعتمد فى قيامها على المياه وليس الأرض، فالأرض فى الواحات بلا قيمة بدون مياه .

ولكن السكان فى الواحات كانوا قد أبدعوا نظاما خاصا بهم، يعود فى تاريخه إلى العصر الرومانى، ذلك العصر الذى عرفت فيه الواحات لأول مرة عملية (صناعة الآبار) ولم يعد اعتمادها ـ فقط ـ على العيون التى تتدفق ذاتيا دون تدخل الإنسان.

هذا النظام الخاص يعتمد على قياس حجم وكمية المياه المتدفقة من البئر، والتى يتوقف عليها حجم الزراعات، ولأن هذه المياه غير ثابتة فى كميتها، فهى بالتالى تتحكم فى حجم إنتاج الأرض. هذا النظام المحلى الخاص اعتمد (القيراط) وحدة قياس لحجم تدفق مياه البئر، فالقيراط هنا ليس بالمعنى المتعارف عليه فى بلدان وادى

النيل من انه (جزء من الفدان المساحى للأرض الزراعية) ولكنه وحدة قياس مياه البئر.



(الفكوك) طريقة قياس و توزيع مياه الآبار على الملاك

وحدة قياس قيراط المياه

بعد الانتهاء من أعمال الحفر وتدفق المياه، تترك المياه حرة على الأرض المحيطة بهدف سد (النوس) ومفردها (نوسة) وهى الشقوق الأرضية التى غالبا ما تحتاج إلى كمية كبيرة من الماء حتى تتشبع، مما يسهل معه البدء فى الزراعة الأولى للأرض، فى هذه الأثناء يقوم الملاك بإقامة المجرى المائى الرئيسى للبئر، وتكون بداية هذا المجرى ما يسمى (الموردة) وهى عبارة عن حوض كبير تبلغ مساحته ٥ـ٣ م تصب فيه المياه المتدفقة عبر (كوع) البئر، ومن أهم وظائف

الموردة هى امتصاص درجة الاندفاع الشديدة للماء، وترويضها قبل توجيهها إلى المجرى المائى (القناية) المتجهة إلى الأرض الزراعية، والفتحة الرئيسية التى تمرر الماء من الموردة إلى المجرى تسمى (الهدار)، وهى فتحة ذات مواصفات خاصة، وهى تتلخص فى الاتساع المتناسب مع حجم الماء ، واستقامة قاعدة الفتحة بأن تكون درجة ميل واحدة (على ميزان ماء).

بعد ذلك تثبت قطعة خشبية يطلق عليها اسم (طابة) تقوم مقام المسطرة وتكون عمودية تماما على القاعدة، وتكون أجناب الفتحة رأسية (زوايا قائمة مع القاعدة) وبذلك تكون القاعدة عبارة عن مستطيل طوله السفلى من ٤٠ـ٦٠سم وارتفاعه من٢٠ـ٤٠سم ، وبدون سقف، وتسمى هذه الفتحة (فك الهدّار)

تقوم الطابة بتحديد ارتفاع الماء العابر من الموردة عبر الفك/ الفتحة، إلى المجرى، ثم توضع علامة على الطابة عند سطح مستوى الماء، ثم يتم قياس مسافة انغماس الطابة فى الماء بالقيراط، وهو وحدة قياس تساوى عرض الأصبع الأوسط من يد رجل متوسط.

وقد ظن البعض أن هذا النظام المتفرد فى حساب حجم مياه الآبار قد ظهر مع مصر الحديثة فى عهد محمد على والى مصر، ولكن هناك من الأدلة ما تفيد بأنه نظام ضارب فى القدم وهو ما يتضمنه الديكريتو التالى الذى نورد المواد الخاصة بالموضوع نصا :

الديكريتوالصادر عن ضريبة المياه

٣٣٩ ـ بمقتضى أمر صادر من المالية لمديرية أسيوط فى ٢٩ من أبريل عام ١٨٩٤ تنفيذا لأمر عال فى ٢٧ من أبريل عام ١٨٩٤

تقررت ضرائب عيون المياه بالواحات بقيمة خمسين قرشا عن كل قيراط من قيراط مياه العيون.

٣٤٠ ـ قراريط المياه هى مكعبات ارتفاع المياه النافرة من العيون والآبار.

٣٤١ ـ مقاس ارتفاع المياه هو من اختصاص مأمور الحكومة بالواحات وذلك عندما يتم حفر البئر وتدفق مياهها على سطح الأرض

٣٤٢ ـ المقياس: طريقة المقاس هى على حسب القواعد العرفية المصطلح عليها هناك من الزمن القديم، هذا وعدد عيون المياه المربوط عليها أموال أميرية فى الواحات الداخلة ٢٤٨ ومقدار كمية المياه التى تجرى فيها الزراعة على حسب تقدير الزراع بمقاسهم العرفى هو ٢٢٨٥ قيراطا و٣٠ـ ٩ من السهم...

المعتقدات الشعبية

(المعتقدات حول المشايخ فى الواحات الداخلة)

تنتشر قباب (المشايخ) فى بعض قرى الواحات الداخلة انتشارا ملفتا، خاصة فى قرى القلمون والقصر، وهما القريتان اللتان كانتا مقرا للحكم على فترتين متتاليتين (منذ العصر الأيوبى وحتى منتصف عصر محمد على) ورغم كثرة هذه القباب، إلا أن هناك غيبة معرفية (شعبيا) عن المعلومات حول أصحاب هذه القبور، ونستثنى منها عددا قليلا فى قريتى أسمنت والمعصرة،حيث لاتزال هناك بعض المعتقدات الشعبية لدى الجماعة المحلية التى تحمل قدرا من المعارف حول تاريخ أصحابها، وكراماتهم، وقدراتهم الخارقة. حيث لاتزال جماعة من الناس يقومون على خدمة هذه الأضرحة، وينظمون (حضرة) أسبوعية تقام بجوار قبة ضريح الشيخ.

قمت بزيارة مسائية لقرية أسمنت بالداخلة التى تبعد ١٢كم عن موط العاصمة بغرض التعرف على الحضرة الاسبوعية التى تقام مساء يوم الجمعة اسبوعيا، وللتعرف على تاريخ الشيخ عبد الكريم (صاحب المقام) وكراماته

يقول الشيخ سيد، شيخ الطريقة البيومية فى اسمنت: (أورد هنا نص الحوار الذى دار بيننا)

ـ قصة الشيخ عبد الكريم ؟

ـ سيدى الشيخ عبد الكريم ده شيخ طريقة بيومى، واذا كان عندك شفافيه تشوفه، واحنا الحمد لله شفناه وسلمنا عليه.(طبعا بعد وفاته..!!) وهو وسيدى الحاج سيد، وفى وليين مدفونين هنا تانى بره، الشيخ احمد والشيخ محمد دول من أحباب من الأولياء، وده شيخ طريقته بيومى لأن سيدى على البيومى سلطان الموحدين، (يدخل خادم المقام الشيخ مصطفى عبدالله عبد السلام) ويشرح :

سلام عليكم بما سبقتم....

ربنا يسترها معانا ومعاكم ويستر أولادكم ويرزقنا حب آل البيت وينصر أولادنا وانصر الاسلام وانصر الدولة....

ويكفينا ويكفيكم شر المحن وأزواجنا وازواجكم ويجعلنا من محبين سيدنا رسول الله وسيدنا الحسين وسيدنا الحسن والسيدة زينب الله يرحم والدينا ووالديكم ويجمعنا سويا فى الجنه، الفاتحة.......

ـ بص الباب ده... ده مخرم سبب تخريمه ده ايه، ضربات رصاص أيام الجيش السنوسى لما نزل هنا، الله اعلم سنه ١٢ او ١٤ (التاريخ الحقيقى هو عام ١٩١٥) بص دى طلقات كلها فى الباب، مخرم ازاى.؟

ـ كان جاى لحركة اسلامية بس كان بيفكر ان فى ناس بتستخبى هنا، هم كانوا معسكرين هنا فى اسمنت، الجيش الانجليزى عندنا

لغاية دلوقتى غيط اسمها غيط الانجليز لغاية دلوقتى، الانجليز جم عسكروا فيها لأنها تربط مابين القصر وبلاط، من ضمن والدى الله يرحمه حكالى قاللى فرضوا على العائلات الكبيرة كل عائلة بدارة عيش يوميا (وعاء كبير من الخوص) وقاللى انا كنت اخد بدارة العيش اليوم اللى علينا اوديها اروح هناك الاقى عسكرى لابس كابه حديد فى راسه وبندقيه فيها سكينه ويعملى كده (يشير بيديه بالتوقف) ويجى الظابط لابس بالطو ابيض يمسك الرغيف يكسره ويشمه ويقول تمام تمام، يخش يديلهم العيش ينزلوه المطبخ يفطروا ويروحوا مدينه كريك شاى فى البداره بتاعت العيش كان الله يرحمه يقول دول ناس طيبين ما يرجعوش البداره فاضيه أبداً كانوا يوقفوا ويمشوا الجيش السنوسى، من ضمن كانوا واخدين فكره عن قائد الجيش كان اسمه احمد الشريف، هم عفاريت من يومهم الانجليز دول، لما جم كان فى مظله لسه موجودة لدلوقتى، كان اسمها الرست اللى موجود قدام الازهر دلوقتى المعهد الدينى مظله كبيرة كبار السن كانوا يقعدوا تحتها لما هم جم الانجليز جم الاول بموتوسيكلين، والدى قال جايين بعربيات صغيرة لابسين طاسه حديد وفيها شبكه فيها بيض كل ما يعطشوا يشربوا بيض ما يشربوش ميه، فخدوا خلفية قالوا صح الشيخ أحمد الشريف يشيل التراب من الارض يدريه كده يموت الأعداء (يدريه = ينثره فى الهواء)، فكان من ضمن عندنا واحد طباخ كان شغال فى فندق اسمه فيكتوريا فى مصر وكان عنده حمايه انجليزية ويجيد اللغة الانجليزى قال لهم ايوة دول الجماعة دول بيقرو قرآن ويشيلوا التراب يدروه فى الهواء، راحوا خدوا المعلومة دى ورجعوا تانى ماجوشى جابوا القوات بتاعتهم عرفوا الاسلحة اللى معاهم ايه،

البندقيه لقيناها فى خرابات مدفونه بتاعت الجيش السنوسى ايطالى، عبارة عن بندقية وخزنه فيها خمس طلقات بس طلقة، فهم راحوا جابوا سلاح غير اللى معاهم دول الانجليز، وراحوا معسكرين عندنا فى غيط، هى لغاية دلوقتى اسمها غيط الانجليز، بحرى اسمنت طريق يربط بين اسمنت وتنهده وبلاط والقصر، منطقة عاليه وفيها اشجار ورمل وهم اخفارها، لقينا سلاح بس واكلاه الارضية، واحنا عما نصلح فى الارض وفى شجرة اسمها المرجب قاعده لغاية دلوقتى زى السنط، قريبة من شجر النبق، احنا هنا بالنسبة لمقام الشيخ اللى بيعترضوا عليه دلوقتى، انا كان عندى سنه٤٥ كان عندى حوالى خمس سنين كان عندنا غيط للجماعة دول قاعدة لغاية دلوقتى زارعينها خضار وباذنجان وانا وابن خالى وبنت خالى موجودين لغاية دلوقتى، عيال صغيرة وكنا شقاى رعينا الغنم وجينا ودخلنا العمارة دى وخدنا من ورا الجماعة دول شوية باذنجان حطيناه فى جلابية وجينا فى الرواق ده اهه ادارينا هنا لانه كان اهالينا تحت السنطه دى يصلوا الضهر كان عندهم سبحان الله كان العلم كله عندهم ما يحبوش نبقى جايين من الغيط وجابين حاجه فى اجيابنا (جيوبنا) من غير حد فاحنا جينا الرواق ده راح مطبق علينا، قاعدين فى الحته دى والرواق راح مطبق، كانت الناس طاهرة كان الباب ده هو اللى بره هو وابن خالى وبت خالى موجودين واحنا بنجرى كده شايفين واحد شايل عود من اللى وقع علينا وحدفه علينا هناك وبت عمنا اللى معانا اتردم عليها السقف، جت البلد قعدوا يبحثوا عليها لما طلعوها اللى هى مرات الحاج حماده بت عمى لما طلعوها من الرديم، والجلابيه اللى فيها ٥ .٦ بتنجانات حاطينها هناك البلد كلها اتفرجت علينا الكلام ده كان

سنه ٤٥ . الجيل اللى موجود دلوقتى والتيار اللى ماشى بيقول ده شركيات ومش عارف ايه دول اهلنا، الراجل ده دريته موجوده لغاية دلوقتى الحاج سيد دريته موجوده وكلهم ناس صالحين.

- قصة الشيخ عبد الكريم ؟

- الشيخ عبد الكريم ده اصل والدته من القلمون، لذلك القلمون فيها اسم عبد القوى على طول، اسمه عبد الكريم عبد القوى فهو كان من تاريخه وبيته احنا حضرناه كان واخد رقم فى الآثار الاسلامية اللى كانت العتبه بتاعته مكتوب عليها آيات قرآنية وتاريخه بس اللصوص سرقوها واتظبطت واللى اخدوها خدو فيها شهر حبس فهو كان من صغره ناشئ فى طاعه ربنا وكان له خلوة يتعبد فيها والبيت بتاعه آثاره موجوده لحد دلوقتى، فى القلمون لو تسأل كبار السن حيقولك ايوه احنا كنا بنيجى هنا ندبح دبيحه والبلد القلمون وأسمنت يحتفلوا بالشيخ عبد الكريم لانه كان راجل صالح، وعلم الناس كلها بالعلوم بتاعته

- ايه اللى جابه من القلمون لهنا؟

- عشان أمه من هناك ووالده من هنا، لان ناس القلمون كانوا زمان متخللين فى القرى كلها، لانهم كانوا يطلعوا الآبار بتوع القلمون عليه غطاس دى اى بلد تلاقى ناس القلمون لهم فيها ملك، وعليه غيطاس اللى موجوده دلوقتى كانوا يربطوا الراجل بالحبل ينزل تحت بالحبل يطلع البير عشان يسلك الحجر أو الميه، القلمون لها هنا بيوت ولها ملك هنا وفى كل بلد فجابوهم عشان الأب من هنا والأم من القلمون كانوا بيجوا يحتفلوا هنا، الأب من هنا والأم من

هناك عيله شوشة موجود اكثر من ٤٠ راجل فى أسمنت موجودين لغاية النهارده، وعند الحاج سيد هنا اهه برضه راجل صالح وطلع حج وهو سنه لسه حدث ايام الجمال، وذريته موجوده من ضمنهم الحاج مهدى مدنى اللى فى المرور، الحفر من ان فى ناس دلوقتى بتقول جايين الآيات التى وردت فى عبده الاصنام، ويحطوها فى دول ويقولوا ايه القرآن ياخد منهم بعموم اللفظ وشوف السبب وحرموا على الناس الزيارة ويقولوا ده شرك، وللأسف انهم ناس متخرجين من كليات، ودى علوم محمد بن عبد الوهاب زعيم الحركة الوهابيه هو اللى عمل كده والسعوديه ربنا يهديها، عندهم حاجه اسمها مزارات أحد وشهداء البقيع، ولما يجوا مصر يقولوا مصر فيها شرك وفيها وثنيه وللأسف إن شبابنا اللى موجودين دلوقتى مش عارف يقولك السعودية دول خلاص ملايكه أنا شفت بعينى دى كسوة الكعبه فى عهد الملك فاروق تطلع وفى عهد جمال عبد الناصر لما ظهر عندهم البترول والغاز والتكيه المصريه بتاعتنا موجوده، التاريخ اللى كتبناه هنا تاريخ الشيخ عبد الكريم ده سببه ايه، كان حصلت مشكلة هنا بين البلد وبين المؤسسة (تعمير الصحارى) وحطت لنا عقبه سوده، تحدونا وبقت قضية وعايزة صلح ربنا كرمنا الراجل ده اى مشكله سبحان الله يظهر فيها لاى واحد فى المنام يقول اعملوا كذا وسوا كذا الراجل ده فى المنام وكلنا فى المنام شفناه، واللى اشوفه انا يشوفه دى بنفس الرؤية واللبس وجدناه بيقول ايه : من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، وتم الصلح فى القضية دى بمحضر فى حضور القسم وكان معانا الاستاذ محمد خليل نصر الله، عملنا محضر، أما أتعرض عالنيابة وتم الصلح بين المؤسسة وبين البلد ببركة الراجل ده، فدول اجدادنا

وناس طيبين وناس صالحين بس للأسف مشايخنا اللى فى المساجد شوهوا الدنيا قال دى السعودية هى ملكه العالم دلوقتى، احنا رحنا الحج وتاهت مننا مره (سيدة) ورحنا نبلغ عنها فى مكه فى بلد الله الحرام، رحنا للشرطة قالوا هى صبيه ولا عجوز ان كانت عجوز حتيجى وان كانت صبيه دى خلاص راحت خدوها فى بلد الله الحرام، يجوا مصر يقولك مصر فيها وثنيه وشرك وفيها وفيها... لا احنا الحمد لله.

قصة الشيخ عبد الكريم بالنص، سيدى الشيخ عبد الكريم فى الأول ما كانش مدفون هنا كان مدفون فى التربه (الجبانة) وكان مأمور هنا راجل طيب اسمه القلاوى أيام حرس الحدود كان فى التربه دى، راح للمأمور ده قاله انقلنى من هنا من التربه دى لهنا، وقاله اعرف المكان ده بأيه قاله حتلقى جريده خضراء، وفعلاً لقى جريده هنا أم قال ياسيدى عبد الكريم انقلك ليه؟ قاله فى واحده ست مدفونه جنبى فى القبر طول الليل تصوت، تقول عمرى ما عصيت الله إلا مره واحده خلطت اللبن بماء فسيدى عبد الكريم قال وانى تعبان فى قبرى بسبب الوليه دى فنقلوه هنا، فشوف الست دى المعصية بتاعتها خلطت اللبن بماء، من غشنا فليس منا، احنى بنعبدهم ؟ واحنا بنزورهم. وربنا فى كتابه العزيز قال " لا أسألكم عليه أجر إلا المودة فى القربى" ربنا قال يا محمد قول لهم أنا مش عايز أجر غير العلم لكن تزورو قرابة رسول الله، كل راجل صالح كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله حى أو ميت فهو صالح... لا إله إلا الله... (اللوحة التعريفية بتاريخ الشيخ عبد الكريم داخل غرفة للضريح، مسجل عليها ما يلى)

الا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون.. صدق الله العظيم،

هذا مقام العارف بالله الشيخ عبد الكريم محمد بن عبد القوى ابن عبد النبى بن فتح الله بن احمد بن عبد ربه النبى بن عبد المختار بن حاتم، ولد بقريه اسمنت عام ١١١٨هـ - ١٦٩٩م عاش من العمر ٦٧ سنه كلها فى طاعة الله توفى بقرية اسمنت ١١٨٥ هـ - ١٧٦٦م، هـذا السـنـد من اجازته المحفوظة لدى رجل صالح بالقصر مما يدل على ان سيدى هذا كان فقيها فى دين الله.

- أول من شهد هذا المقام هو الفاضل بن الفاضل محمد الملقب بقائم مقام من القلمون وكان يقيم بقرية اسمنت سنه ١٨٧٢ هـ ومنذ وفاته وأهالى قرية اسمنت تحتفل بمولده رضى الله عنه - منزله بقرية اسمنت مازال موجودا وخلوته التى يتعبد فيها على يسار الداخل وتعلوه لوحة خشبية مكتوب عليها البسملة وآية قرآنية واسمه وهذه الخشبة موضع الحراسة من الآثار الإسلامية. الاعلام والبازات والرايات مكتوب عليها اسمه وله مياه وقف جميعها محفوظة لدى السادة الأفاضل من عائلة عيده وعائلة شوشة وهما المشرفين على هذا المقام لأن نسبهم إليه وجميعهم من المشهود لهم بالإيمان.

- كراماته لا حصر لها يصدقها المؤمنون وينكرها غير ذلك، وبفضل ربى أقول عن كراماته فى عام ١٩٨٢ م وقعت خلافات حاده بين الشلايله والحصة (عائلتان فى قرية أسمنت) بسبب أرض العرسة وتحررت محاضر وقضايا عن هذه الخلافات، ولم نتمكن من حسم هذا الخلاف المستمر وطلبت من بعض زملائى التدخل

لحسم هذا الخلاف ولكن لم نتوصل إلى اى نتيجة لشراسة الموقف وكل منا لزم نفسه وتذكرت حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم"

وفزعت إلى هذا المكان الطاهر ودعوت الله وقلت " يارب حل هذه المشكلة اكراماً لمن سبقونا بالايمان " وفى هذه الليلة رأيت كأنى فى هذا المكان أدعو الله وسيدى هذا يؤمن على دعائى وسمعته يقرأ الآيات والاحاديث الواردة فى فضل الصلح بين المسلمين، فاستيقظت وأنا فى غاية السرور متيقنا بأن الصلح سيتم بأمر من يقول للشىء كن فيكون، وكتبت مذكرة شملت أطراف النزاع وسببه والحلول اللازمة لحل هذه المشكلة وقدمتها للمسئولين وعلى الفور تشكلت لجنة من الأجهزة السياسية والتنفيذية برئاسة العقيد ابراهيم سالم مأمور قسم الداخلة، وتم الصلح والتوفيق وتحرر عن ذلك المحضر رقم (٥٠١) ادارى الداخلة ١٩٨٢ م وصورتى المذكرة والمحضر عندى للاطلاع عليها.

لا أقول ذلك فخراً ولكن ذكرى وعظة وعبرة لأهل الإيمان لكى يزدادا إيمانا بخالقهم جل جلاله، ويعظموا أحبابه أحياء وامواتا، قال تعالى " ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" وأن نأخذ العبرة من كلب أهل الكهف وقد نال ما ناله بسبب صحبته للصالحين، وفى حديث " من أحب قوما حشر معهم "

الفقير إلى عفو مولاه

مصطفى عبدالله على عبد السلام



ضريح الشيخ عبدالكريم ـ قرية أسمنت ـ الداخلة

وقد قام المؤلف بإجراء مقابلة مع أحد مشايخ أسمنت وأحد أتباع الطريقة البيومية (صاحب رتبة) للتحدث حول خوارق المشايخ فى المعصرة وأسمنت...

ـ الحاج صابر محمود نصر من قرية أسمنت، أنا عرفت انك عندك معلومات كتيرة عن المشايخ هنا بما فيهم الشيخ عبد الكريم والشيخ سفينة بتاع المعصرة ؟

ـ اه الشيخ سفينه بعيد عنى شوية بس طبعا نعرف حاجات كتيرة، واللى موجودين عندنا فى اسمنت

ـ فى حد فى اسمنت غير الشيخ عبد الكريم؟

ـ اه، فى شيخين تانى، فى واحد ما بين ده وده واحد اسمه الشيخ سليمان، ده احنا نوعى نلقى الشيخ سليمان بس ما نعرفش ده من عندنا أو منين، وواحد تانى اسمه الحاج سيد فرج ده من عندنا وله عائلة موجوده

- المشايخ دول انت عارف تواريخهم كلها؟

- لا تواريخهم قديمة، اللى طبعا الشيخ عبد الكريم أنت شفت اللوحة اللى جوة، ده الشيخ مصطفى كاتبها، قصد يجيب معلومات الاسم ده من هنا والاسم ده من هنا يجى أربع سنين انما الحاج سيد ده جالنا. والشيخ عبد الكريم ده ولى من الأولياء الكبار تعرفه عنه له درك، ماسك الدرك عندنا هنا اى حد يجى هنا يتحكم فيه، لأن مرة زمان كنا نعرف الصوفيه بيسهروا مع بعض.

واحد من مصر بعت الخادم لواحد من هنا، بيغيروا على بعض، الحضرة بتاعتنا دى مبنيه على الغيرة، يعنى انا بقيت خليفة وواحد مريد، ازاى انا بقيت خليفة ؟، هم درجات الدرجة الاولى نقيب.

اول ما تدخل تبقى مريد، يعنى تقف فى اى مكان فى الحضرة، بعد فترة يبقى نقيب، النقيب ممكن يقوم باسم، يبقى له طبقة اسمها فى الصوفية، يدخل باسم ده يبقى نقيب، يعنى يقف فى صف قبل المشايخ الكبار فى صفهم، المريد الأولانى ده يوقف عند الباب مالهوش مكان، ممكن يخرج بره، النقيب يبقى له مكان شويه بعد فترة... امتحان المريد

طريقة الورد اليومى

العصر مائة مرة، صدق الله العظيم وهو التواب الرحيم

المغرب لا إله إلا الله عدد من حرك كل ساكن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

العشا سبحان الله والحمد لله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ١٠٠ مرة.

الشيخ حيقول قول الأوراد دى، الشيخ يبقى مواليه، إن كان المريد التزم وعرف الورد وحيبقى له سيم فى وجهه، الشيخ حيعرفه أنه له

حوم فى الحضرة وملتزم ويجى، يبقى كده التزم، بقى مريد، ياخد فترة برضه،

اختبار العقرب

بعد كدة عمه حيعمله اختبار، كان عندنا زمان، دلوقتى ماحدش يقدر يعملها دى، كان ممكن يقولك روح تقتل عقربه، واحد قرصته عقربه تتليها تخليها تيجى مكانها، لو عملت كده يبقى انت وصلت، أى واحد مسكته عقربه يجى يبعت للمريد ده ده فلان ده فى الحضرة، ابعتوله يرقى العقربة يبقى عارف يقول ورد على العقربه حيقول كلام حاقوله برضه..

يقول بسم الله الرحمن الرحيم يقرأ الفاتحة....

أمامنا الكبار بيمتحنوه، ويعرفوا سلوكه، بيروح المريد، داك طبعا بيبقى تعبان ممكن تكون العقربة ماشية فى الجسم، حيقرو عليها بالورد ده بالقسم ده، بعد ما يقرأ الفاتحة وآية الكرسى والطارق يبدأ يقول القسم ده،

أقسمت عليكى ياسموم باسم الحى القيوم، أخرج من العضم إلى اللحم ومن اللحم إلى الجلد ومن الجلد إلى الشعر ومن الشعر إلى الهواء، كنا زمان بنشرط (مكان السم يخرج دم، الرفاعى يقول كده دم فى عين اللى بياكل يارفاعى، هو الرفاعى يقول كده.

أنا بقه بعد ما اخلص الورد اقول مكان السم يخرج دم ويخرج مافى السماوات والارض وهو على كل شئ قدير

تقول فى الاسم ده مرة اتنين خمسة، المصاب يحس ان السم جه مكان اللسعة يوجع مكان اللسعة... يحس بألم، تعبان دلوقتى ؟ يقولك آه جت هنا، فى الصابع فى الايد تو ما جت مكانها يبقى

خلاص بعض الدكاترة كانت تيجى، نبعت للدكتور المصل، يجى يلاقينى بارقيه، يقوللى انت بتعمل ايه نشرط ونحط توم ونحطه مكان الجرح، مرة واحدة حط حبه كيماوى بتاع الزرع (سماد)، جه الدكتور.....

.. جه الدكتور لقانى باشرط واحط توم، قالى بتعمل ايه، انا رقيته وكانت اللدغة جامده، ومطرح السم بنحط توم، ده طب كويس، واحد تانى كان لسع هنا، وقالى روح المستشفى، زى ما تقول جت مكانها وقالى روح معاى احسن ترجع تانى، فركبت معاه فى العربية لغاية ماوصلنا طلعنا فوق جه الدكتور قالى انت بتعمل ايه ؟ قلت له انا ماشى خليك ارقيه نزل الناس اللى كانت معاه وانا قعدت أدوه المصل جه مرة الدكتور وقالى الجرح ممكن تيجى تعمل غرغرينه وتتعب المصاب انت هاتها مكانها بس على طول فى وقتها حتتنها مكانها مشينا على نفس بيعملها المريد اللى هو عمه بيختبره يقوله روح اعمل كذا وجاب السم مكانه يبقى صح نجح فعلا، يعنى اعماله كده كان عندنا زمان المشايخ بتوعنا كان يسرح الغيط تعابين دى يجى عالتعبان يدخل جحر يروح الشيخ يتلى تانى من الجحر، التعبان يجى ومسلم قدام الشيخ يروح وممكن يجيبه معاه البيت.

- انت بتقول المريد ما يعملش كده لازم واحد خليفة ليه؟

- لأن الخليفة عارف الاسم (القسم) وعارف كذا وصل لدرجة انه يعمل كده انما المريد لا، كان عندنا الإمام رفاعى كان له وليد اسمه بدر بن سمراء يعرف... الخليفة مكنا انه من حقة يفتح راتب (حرة دورية) فى بيته، يجيب مجموعه دراويش ويعمل بهم ذكر

ماحدش حيعترض عليه والدراويش هم المريدين، طبعا يمتحنوهم بتصلى ولا لأ، طايع والديك ولا لأ لازم يبقى عنده سلوك مايدخلش الطريقة كده وخلاص.يعنى حتى فى مرة كان واحد من عندنا فاتح راتب ودعانى عشان اقف معاه وأنشد عالحضرة، فانا رحت لقيت ما فيش روح، فاعترضت أنا ازاى مجموعة كبيرة ومافيش روح طالعة، احنا لما بنذكر بنقول الله انا باحس بخشوع كده، مافيش روح طالعة واحد يقول وواحد مايقولش يبقى كسلان طبعا الكسل، الرزق ماينزلش على كسلان، يبقى فى نشاط، حتى لو دعيت ربنا يبقى فى نشاط، روح عالية فهنا وقفة ومافيش واحد عايز يتحرك، بعد منها بفترة انا شكيت فى ايه؟ واحد تانى قال انا شايفك بتشك، ده احنا كنا نتعمد ونيجى مش على طهارة، يعنى مش متوضى، عمد، آدى سبب دول المريدين يعنى دول حته حسستنى ان ما فيش صفاء، فلما قعد معاى واحد منهم قالى احنا كنا بنيجى مش على طهارة ليه، قال عشان الذكر ده ما يطلعش معترضين عليه، فلازم الشيخ ده من حقه يتكلم مع المريد الأول، بتصلى؟ اه، بتطيع ابوك وامك ؟ اه، سلوكك ايه مع جيرانك وكذا.. اه انت تيجى عندنا، واحد ما بيصليش أو واحد ابوه يقابلنى يقوللى ده ابنى مش طايعنى يبقى ما ينفعش معانا هنا لانه الذكر مش حينفع معاه لازم يبقى عنده سلوك، حتى لو قلت له اعمل ورد مش حيعمل لأنه مش صادق ممكن يقولى اه، وما يعملش الورد. فالخليفة من حقة يعمل كده، بعد الخليفة يبقى مجاز فوق الخليفة، عندنا العمده يبقى خليفة خلفا، عندنا عشرة مثلاً يبقى الخليفة خلفا يحكم الخلفا دول اسمه مجاز، بعد مجاز يبقى نائب سجاده، ده يقعد معاهم فى مصر، مع الشيخ يحيى، ويدعوه ويقعدوا معاه العمده بتاعنا يعتبر نائب السجاده، هو يرأس الحضرة على مستوى الداخلة كلها والوادى الجديد.



قبة ضريح أحد المشايخ . القصر . الواحات الداخلة

المعتقدات فى خوارق المشايخ

المجازين فى موط أو غيرهم كام؟

هم كتار، وأنا شايف دلوقتى ان الناس ابتدت تصدق فى الطريقة دى الطريقة الرفاعية عندنا شيخنا الكبير هنا احنا واخدين عنه اسمه الشيخ حامد ده من المعصرة، الشيخ حامد ده له وقفات، عندنا شيخ خليفه كان اسمه الشيخ حسين حامد ده من الناس اللى فى الحضره كان له موقف، كان عندنا واحد اسمه الشيخ حسين حنفى يعتبر من عندنا هنا من اسمنت ده عاش واتوفى وهو على الطريقة، واحد لسع قال هاتوله الشيخ حسين لانه مريد فى الحضرة الشيخ حسين لسه ما يعرفش، كيف يتلى العقربة، فقال لهم انا اروح اجيب عمى من المعصرة اللى هو الشيخ حامد، فراح لعمه قاله ياعمى احنا عندنا واحد لاسع وتعبان وعاوزينك ترقى العقربة، فشوف بقة البراعة، قاله ياشيخ حسين هاتلى صابعك، راح ماسك صابعه وقعد يتلى جاب العقربه فى صابع الشيخ حسين،

قلت لك كلن على اخلاص... الجو كان خالص عباده وسهر، فالشيخ حسين ماشى جنبه يقوله اه ياعمى صباعى راح يطير، صباعى بيحرق، قاله ايه ياشيخ حسين صباعك ماله، مارضيش يقوله وانا عملت كذا شويه راح مطلعها من ايده، خلاص، الحمد لله هو قصده بروح الراجل الجهد على ما وصلوا لقوا الراجل قاعد

الشيخ حسين كان مروح لوحده، قاله ياشيخ حسين انت مش حتقدر تروح لوحدك، خنى (خللينى) اوصلك، قاله ياعم... الراجل عايز يورى الشيخ حسين ان العمليه مش سهله، قاله ياعم ماشى، راح موصله لغاية البيت كان القمر فى اول الشهر، وغايب ما فيش نور، الشيخ حسين حس انه مش حيقدر يروح لوحده، قاله ياشيخ حسين انا قلت مش حتقدر تروح لوحدك خنى اوصلك، قاله ياعم انا اللى وصلتك، كيف اوصلك وانت توصلنى وبعدين يعز على انك توصلنى تانى، الشيخ عايز يوصل الشيخ حسين مايروحش لوحده فراح على طول مجهز الخادم

ـ الخادم ده ايه؟

ـ الخادم ده انا بقولك الكرامه بتاعت الخليفة ده، الناس الكبيره دى، راح الشيخ حسين ماشى ولقى واحد على زى عمه. على شبه عمه،قال له ياعمى انا قلت لك انت حتوصلنى وانا حوصلك تانى روح انت ماحدش بيرد لغايه ما قاله ياعمى انت حتروح ازاى لوحدك وانا جبتك وانت جبتنى واحنا نقعد طول الليل نوصل بعض ماردش عليه، فلما رجع تانى يوم جه الشيخ قاله الشيخ ياعمى انا قلت لك وصلتك لغايه البيت وقلت لك خلاص كده وانا مروح، قال

له ما انا ماروحتش معاك. قاله امال مين اللى ماشى جنبى وانا كنت ماشى جنى لغايه ماوصلتنى البيت ؟ قاله لا انا ماروحتش يعنى علشان يحسسه ان عمه على درايه دى كانت كرامة.

- عايزين نتكلم عن المشايخ اللى فى اسمنت؟

- عندنا الشيخ الحاج سيد. ده كان أول كرامه له اهله بقوا يعترضوا عليه. يلاقوه ماينامش كتير. طول الليل ما ينامش. يقرا قرآن. الهم شوى شوى———

- كان بيعترضوا عليه ليه ؟

- يعنى كانوا بيقولوا ازاى ماينامش. ومايناميش ليه. هو ماينامش لدرجة ان الأوضة اللى كان بينام فيها يلاقو طالع منها بخور. بدأوا يشتكوا عليه لدرجة انه قالوا دى مجنون. وحطوه فى اوضه وقفلوا الباب من بره قال عشان مايخرجش بالليل. ويقعد يخبط فى البيت قاموا الصبح لقوه بره الباب مفتوح وهو بره والقفاح اللى كان عندنا زمان بتاع الضبه الخشب. قالوا يمكن كسر القفاح وخرج من الباب. مره تانى برضه حبسوه وقفلوا عليه لقوا كنا زمان بنعمل خوابير نحط فيها حاجه نعلق فيها حاجه. لقوه قاعد على الخابور ده الخابور اللى مدقوق فى الحيط. قاعد عليه. من الحته دى يبقى مش عادى. ده مش جنان حتى المجنون ما يقعدش كده فهو بقى ربنا ابتدى يكشف له عن حاجات عشان يعرفهم دى بدايه ولايه. كان فى عز الشتا يعنى الواحد بيبقى لابس كذا جلابيه وأفرول وكذا وما يخرجش بره فى البرد. هو يسرح الغيط بجلابيه واحده. كان عندنا زمان زى جريان (بئر تتدفق ذاتيا) كل مايروح غيط يلاقى فيها ناس

ماليتين يعنى يقول سلام عليكم انتم كويسين. وهو لابس جلابيه واحده وحافى. فى عز الشتاء مرة راح عند جماعة فى عز الشتا وراح مطلع لهم بلح اصفر من جيبه. راح مدى لكل راجل بلحه صفرا. يعنى دى كرامه ده بلح. دى من ضمن الكرامات اللى عند الحاج سيد. فلما حسوا منه حاجات خارقة للعاده. قالوا لا دى يبقى مش جنان. أول ما الأمور ابتدت تظهر انتقل (توفى). ده لما الأمور ده تظهر ينتقل على طول. يعنى يموت دى من عاده الولى عشان كده يعنى بان سره.

- الناس تعمل له القبر بتاعه شيخ ؟

- لا دى هو يعنى اجدادنا وابائنا قالوا ان دى ما يعملها مش كده من فراغ يعنى يجى لواحد صالح فى النام ويقوله انا عايز تعملوا لى مقام فى الحته الفلانيه. يجى لواحد.

- يعنى لما يموت يدفن زى الناس. بعد كده يجى لواحد ؟

- اه يجى لواحد فى النام يقوله انا عايز تبنوا عليا القبه دى بعد فترة يلاقى اللى راح الأول ما سألش يعنى يقول ده كلام خرافه. يروح لواحد تانى يقوله انا اعمل كذا. يجى يقول لأهله. الشيخ جالى فى النام وعايز يعمل كذا. الأمور تجتمع على أنه ان فى الدنيا كذا. يعنى من حقه.... لأن دى ما تتعملش من فراغ وقال (يتستر الولى ولايته كما تتستر المرأة من دم الحيض) يعنى الست اللى عليها دم الحيض ما تخرجش الشارع تبقى لابسه اكثر من جلابيه عشان الدم ما يظهرش على الجلابية الاولانيه. لو ظهر الدم ممكن تموت. فذلك الولى برضه يتستر فى الولايه مش عايز حد يعرف عنه حاجه. ما يعرفش انه عامل كذا فأول ما الولاية تظهر ينتقل. لانه خلاص كده. لأن القبه ما تتبنيش من فراغ.

بعض المعتقدات فى العلاج الشعبى

اشتهرت الواحات الداخلة فيما مضى بالعديد من الممارسات الاعتقادية التى كانت كثيرا ما تتخذ كوسائل علاجية، خاصة فى الأمراض مجهولة الأسباب لدى العامة ومنها حالات الاكتئاب، والصداع المزمن، والمشى أثناء النوم، تأخر مشى الطفل، المرأة التى لا تلد، أما الوسائل العلاجية فقد كانت تأتى فى الغالب، بإحدى الوسائل التالية :

١ ـ السراج، وهو عبارة عن إناء صغير أشبه بالطبق له عمق لايقل عن ١٠ سم، توضع به مادة زيتية (زيت طعام، زيت زيتون، زبد،..الخ) لاستخدامها كمادة للوقود، يوضع فيه فتيل من القطن أو القماش ، ويشعل بعد وضعه فى مكان مهجور، وقد كان يوضع فيما مضى فى إحدى الطاقات الموجودة على جانبى سقيفة فى الواحة،أو إحدى الخرائب، وفى الوقت الحالى يوضع السراج داخل فرن بلدى فى المنزل، بعد إعداده تأخذه سيدتان متزوجتان، لايتحدثان مطلقا خلال رحلتهما من البيت وحتى الموقع الذى سيتم وضع السراج فيه، وأثناء وضعه يقمن بتلاوة بعض الأدعية بشفاء المريض، وبعض المطالب من الجان الذى يلبس مريضهم، مثل :

خليكم فى حالكم وهو فى حاله.

لاتضروه ولا يضركم

.... وهكذا

ويظل السراج من بعد صلاة العشاء وحتى ينطفئ (بنفاد الزيت)، ومما يذكر فى هذا السياق، أن انطفاء السراج قبل فجر اليوم التالى، انما يعنى فألا سيئا لصاحب السراج (المريض) وهناك

دعوى سيئة تدعو بها المرأة فى المنطقة على الابن غير المطيع بأن تقول له (ياطفى سراجك..!!) وطفى السراج تعنى الموت المفاجئ..!!!

٢ـ صينية الرضوة، وهى صينية من النحاس فى حجم (الطاسة المتوسطة) فى قاعها نقوش محفورة (آية الكرسى) توضع بها سبع فولات، وسبع حلاوات، وثلاثة أرغفة، وسبع بلحات وباكو شاى وعلبة سكر وعلبة سجائر، وباكو معسل،

وتوضع هذه الصينية (تحت الطل) أى تحت السماء والنجوم ليلا اعتبارا من بعد صلاة العشاء وحتى الصباح.

ويعتقد الممارسون لهذا المعتقد أن تلك الصينية ومحتوياتها هى بمثابة (عزومة) لترضية الجان الملازم للمريض المراد شفاؤه..!! وتدعو السيدة التى تضع هذه الصينية بنفس الدعوات والمطالب المصاحبة لممارسة (السراج) السابق ذكرها .

٣ـ الشق، والشق بالماء هنا يمارس من أجل علاج الطفل الذى تأخر قدرته على السير على قدميه، حيث يقوم أهل الطفل المريض بوضعه أمام باب الجامع فى توقيت صلاة الجمعة، وقد وضعوا فى حجرجلبابه كمية من الحلوى، وقد قيدت أقدامه، حتى يخرج أول مصلى من الجامع فيفك قيده، ويسيرون به فى الشارع وأمامه أحد أقاربه يمسك إبريقا به الماء ويصب الماء بين أقدامه أثناء محاولات الطفل للسير وسط تشجيع من الصبية والكبار.

٤ـ تجريس الحمام، ذكرنا عند تعرضنا لعادات الطعام فى الواحات الداخلة ما لطيور الحمام من أهمية فى أطعمة المناسبات، ودوره فى العلاقات الاجتماعية (المجاملات) لذلك نجد أنه ينال

اهتماما بالغا فى العناية به أثناء تربيته، حتى أن الحمام الذى يتأخر فى مرحلة (الفقس) يمارسون معه عملية (التجريس) بمعنى (الفضيحة)

أحد الصبية يأ خذ الحمام (المصاب) ومعه كل أولاد وبنات العائلة والجيران، أمام الجامع وقت صلاة الجمعة، وبمجرد خروج المصلين إلى الشارع، ينطلق الصبية فى مظاهرة، يغنون :.... جرس..جرس... عالحمام اللى يولد ولايفقس.. ويلفون الواحة على هذه الأغنية، والصبى يرفع يده ممسكا بالحمام (المفضوح)

الممسوس

من يؤتى قوة الأفعال الخارقة، سواء كانت جسدية، أو نفسية (جرأة)، يطلق عليه هنا مصطلح (ممسوس) وعلى غير المعهود فى معتقدات بلدان وادى النيل من أن الممسوس هو من مسه الشيطان، فيفقد عقله أو اتزانه النفسى، ولكن العكس هو الصحيح هنا فى الواحات الداخلة، حيث المس هنا تفسيره الأوحد هو أن هذا الشخص (سعيد الحظ) قد نزل فى قناية (مجرى مائى) ليستحم فى لحظة تصادف فيها أن الماء كان نائما...!!! ويتردد أن البئر المحفورة حديثا ينام الماء (الجارى) منها للحظة خلال الأسبوع الأول من تدفق مياهها، وهو من المعتقدات فى بشائر الخير من تدفق بئر جديدة . لذلك فالمس هنا هو ليس من فعل الشيطان، ولكنه من نفحات خير مياه البئر، ولما لا؟ والماء فى الواحات هو الحياة، ولا شىء غيره ؟؟!!!!

وفى الواحة الكثير من الممسوسين ممن يتمتعون بالقدرة على فعل الأمور الخارقة للعادة، يعرفهم الناس جميعا، ويعتقدون ـ أيضا ـ فيما أوردنا من أسباب..!!

معتقدات حول الأماكن

هناك بعض الأماكن التى اشتهرت لدى العامة بأنها (مسكونة بالجن والعفاريت) منها بعض السقائف القديمة، وبعض الطرق الصحراوية، مثل طريق موط / الهنداو، وطريق الداخلة / الخارجة، وخاصة منطقة أبو طرطور.

ولدينا مثالين شهيرين فى الثقافة الشعبية للواحات الداخلة، لمعتقدات مرتبطة بسحرية المكان، هما واحة زرزورة، والجارة السودة، فهما معتقدان متقابلان يدلان تماما على الاتساق النفسى، بمحاولة خلق حالة من التوازن بين الخير والشر.

١ـ زرزورة (الواحة المجهولة)

واحة زرزورة تمثل الخير المأمول، لما تحمله رواياتها فى الذاكرة الشعبية من مفردات (مادية) تحتوى على كافة عناصر النقص، أو لنقل العجز البيئى للواحات، من وفرة عيون الماء، إلى كثرة محاصيل الفاكهة بأنواعها التى لا تنتجها الواحات (من الأصل) إلى قطعان الخراف والغزلان البرية التى يتوق الإنسان إلى إمكانية صيدها من الصحارى البعيدة، كل تلك التصورات والروايات الخيالية التى يحكيها الواحيون عن زرزورة، انما تمثل ـ فى تفسيرها ـ ذلك المثل الشعبى الذى يقول (الجائع يحلم بسوق العيش) خاصة وأن الطريق إلى زرزورة يدخل فى عالم المجهول، حيث يبرر الذين ينسجون هذا القصص الشعبى حولها، بأن الوصول إليها لايتحقق إلا لتائه ضل الطريق فى الصحراء ، وبالتالى لايصل إليها قاصد..!!

ففى الثقافة الشعبية لسكان الواحات الداخلة، معتقد سائد حتى الآن، ملخصه أنها تقع فى الاتجاه الجنوبى للداخلة، وهى

منطقة مترامية الأطراف تصل مساحتها إلى آلاف الكيلومترات. وقد ظلت مجهولة منذ زمن بعيد وحتى الآن فإن (زرزورة) هذه تمثل - فى الذاكرة الشعبية لأبناء المنطقة، ذلك المجهول والبعيد، بل والسحور أيضا ..!!

حتى أن سكان الواحات الداخلة حاليا يقولون عن التائه الغائب الذى لم يعد بعد أنه من الممكن أن يكون قد وصل إلى زرزورة..!! وبالتالى فهو سعيد، نال الحظ الذى يتمناه كل إنسان ، لما يحكى عن هذه الواحة المجهولة من وفرة خيراتها التى لا تخطر على بال أحد..!!

ومن المعروف أن القدامى من الرحالة العرب والأجانب، كانوا يستمدون معظم معلوماتهم بطريقة شفاهية، أى من حكايات الجماعات فى تلك المجتمعات الصحراوية البعيدة، خاصة إذا كانت هذه الأخبار والحكايات تدور حول مكان جغرافى متميز ومثير للدهشة ، مثل واحة زرزورة..!!

وقد كان لسعى هؤلاء الرحالة نحو المبادرة، والسبق التاريخى والريادة فى محاولة اكتشاف تلك الواحة (الحلم) وتسجيل يوميات رحلاتهم الاستكشافية فى الصحراء بحثا عنها، إنما كان له عظيم الأثر فى تغذية هذا المعتقد المحلى فى الواحات الداخلة، التى كانت على مر العصور محطة الانطلاق للرحلات الكشفية فى الجزء الجنوبى من صحراء مصر الغربية، باعتبارها النقطة الأخيرة فى أقصى جنوب المعمور المصرى.

وفى أوائل القرن التاسع عشر كثرت بعثات البحث عن هذه الواحة المجهولة فى الصحراء الغربية لاستقصاء أخبارها واكتشاف أمرها، وقد كانت كتابات الرحالة العرب بما حملته من خيالات

وغيبيات حول المناطق البعيدة والمجهولة، حافزا مشوقا لكل من يريد الاستكشاف، خاصة فى صحراء مصر الغربية.

ولكن بعد فشل الحملات الاستكشافية لزرزورة، خمدت المحاولات، وتناسى الناس أمر هذه الواحة، وإن ظلت فى الذاكرة الجمعية الشعبية لسكان الواحات الداخلة. إلى أن اكتشف الرحالة احمد حسنين واحتى العوينات واكنو، فانبعثت الخرافات من جديد، وانطلق المكتشفون خلفها، وكان حلم زرزورة هو القبلة الرئيسية لرحلاتهم.

وزرزورة هو اسم محلى لعصفور صحراوى جماله بديع الألوان، يصدر صوتا رائعا فى الصحراء يشبه الجملة الموسيقية ذات الإيقاع الهادئ.

كانت المجلة الجغرافية (الانجليزية) مسرحا للدراسات والأبحاث والجدل حول ظهور واختفاء هذه الواحة اللغز، وإن كانت كتاباتهم ودراساتهم لم تخرج عن كونها نتاجا طبيعيا للحدس والاستنتاج من أقوال المؤرخين العرب القدامى الذين اعتمدوا على استقصاء الأخبار والروايات من أهالى الواحات الداخلة أو من الكتب التاريخية المصرية القديمة من اغريقية ورومانية، وأيضا عربية.

وقد أشيعت عن هذه الواحة قصص خيالية تجعل من الوصول إليها نسجا من الخيال، وفى كتاب (الدليل إلى مصر) الذى طبع سنة ١٨٩٦ م ورد عن مكان واحة زرزورة - استنادا إلى أقوال بعض العرب الرحل - رأيان، الأول يرجح أنها تقع فى بحر الرمال الأعظم، بينما الرأى الثانى يتجه إلى أنها توجد فى جنوب الواحات الداخلة، ولكنها، وحتى الآن لاتمثل إلا خيالا مجهولا فى ذاكرة أبناء

الواحات الداخلة، ذلك الخيال الذى يحلم بالواحة المثالية.. تماما مثل مدينة أفلاطون الفاضلة..!!

٢. الجارة السوداء

فى مقابل واحة (الخير) زرزورة ، تأتى معتقدات مقابلة حول مكان آخر، ولكنه يتسم بالسلبية، أى أنه يمثل الشر.

فأكثر الأماكن شهرة - لدى السكان - فى سكنى الجان، هى (الجارة السودة) وتعنى (الهضبة السوداء) والجارة هذه، تشبه من بعيد الهرم الأسود، تراها من فوق المرتفعات بالعين المجردة، وهى تقع جنوب مدينة موط، حيث لاتقع أية قرى أخرى فى هذا الاتجاه (سوى العوينات) التى لم تعرف إلا فى العصر الحديث.

تقول الحكايات الشعبية عنها، إن الكثير من الناس حاولوا الوصول إليها دون جدوى، ولا يصل إليها الا التائه فقط...!!

ومن المثير للعجب فى ذلك، أن معظم من كانوا يعانون من التخلف العقلى، وضلوا الطريق خارج الواحة،قد عثر عليهم موتى إلى جوار هذه الجارة السوداء..!!!

ويبرر العامة هنا هذا الأمر بأن هذه الجارة يسكنها الجن والعفاريت التى تنادى التائهين، والعديد من القصص يتداولها الناس حول من تعرضوا لهذه (النداهة)

ولعل ذلك مما يزيد اعتقاد العامة فى سحرية هذا المكان.. برغم أنها لاتخرج عن كونها مجرد كومة مرتفعة من الأحجار سوداء اللون، والمسافر على طريق الداخلة / العوينات، يراها إلى يساره، ولكنها ليست قريبة، وقد سألت بنفسى الكثير ممن يترددون بالسيارات على هذا الطريق : هل وصلتم (بأقدامكم) إليها..؟؟

وكان الرد دائما بالنفى، وقد برروا ذلك بقولهم : إنك تستطيع رؤيتها على يسار الطريق فقط ولكنها بعيدة..!! تماما مثلما الناس يرونها من الواحة، كأنها قريبة، وهى غاية فى البعد، وكأنها المجهول..!!

ظلت (الجارة السودة) تمثل جانبا مهما فى الثقافة الشعبية للواحة، ذلك الجانب المتمثل فى فرط العزلة، والخوف من كل ما هو خارج الواحة، فرغم رؤيته بالعين، إلا أنه هو ذلك المجهول الذى لم يصل إليه أحد، مثله فى ذلك مثل (واحة زرزورة) تلك الواحة المجهولة التى تداعب وتحاكى الخيال الشعبى بأنها جنة الله التائهة وسط الصحراء الغربية، والمليئة بالمياه وأشجار الفواكه النادرة والحيوانات البرية والطيور...الخ، وزرزورة هنا تقع على طرفى النقيض مع الجارة السودة، بين الواحة، مبعث الخيرمن ناحية ، والجارة السودة موطن الجن والعفاريت، لايصل إليها إلا من أصابه مس من الجن، فتناديه، ويلبى ندائها ويذهب إلى نهايته،اذن فهى تمثل بؤرة الشر فى الخيال الشعبى، فى مقابل خير زرزورة...!!!

وكأنما الاتزان الوجدانى (الشعبى) يعدل بين كفتى الميزان، الخير والشر، ولكل منها ما يمثله فى الفضاء البعيد المجهول...!!

الفصل الثانى

١ - العمارة الشعبية

تعتبر العمارة التقليدية فى الواحات واحدة من أهم العناصر الثقافية المتميزة، ولعلها تأتى فى مقدمة ما تدرسه الايكولوجيا الثقافية التى تعنى بمدى التوافق - والتوفيق - بين احتياجات الإنسان، ومعطيات بيئته الطبيعية، وهو أشد ما يتمثل فى العمارة التقليدية عامة، وفى الواحات بصورة خاصة، لما تتميز به من سمات وظروف جغرافية غاية فى الخصوصية والتفرد، وربما - أو من المؤكد أن ذلك هو السبب المباشر الذى يعطى الواحات علامة التميز الأولى فى عيون زائريها لأول وهلة.

ظاهرة الكتلة العمرانية المرتفعة

تسهم الكتلة العمرانية فى الواحات - بشكلها وموقعها - فى تحديد عصر نشأتها..!! ذلك لأن دخول العرق العربى إلى الواحات كان نقطة فاصلة فى شكل وموقع العمران بها، فأشد ما يلفت النظر لزائر الواحات - عمومها - تلك البيوت المتلاصقة، المشيدة

فوق هضبة مرتفعة عن سطح الأرض، والتى تلفها أسوار كالحصون لها بوابات تحكم الدخول والخروج، بداخلها أزقة غاية فى الضيق تلك هى الصورة التقليدية للكتلة العمرانية للواحات (أية واحات) ولعل من أهم الأسباب التى فرضت تلك الصورة، وذلك النمط العمرانى، هى :

اولا: حماية السكان من الهجمات المتتالية لبدو الصحراء، ومن الوقائع الشهيرة التى جرت فى الربع الأول من القرن العشرين، حينما هاجمت الجيوش السنوسية سكان الواحات الداخلة، فإنها لم تجد فى ذلك صعوبة سوى فى مدينة موط وقريتى القصر والقلمون، وهم البلدان المشيدة فوق هضاب مرتفعة، ولم يكن لها ـ آنذاك ـ امتدادات عمرانية أسفل الهضاب، مما ساعد على قوة استحكامات تأمين السكان ضد الغزو، مما جعل الجيش السنوسى يعلن أن سكانها هم ـ فقط ـ الأعداء..!!

ثانيا: الابتعاد بالمساكن عن الوديان التى كثيرا ما تتدفق منها عيون المياه الجوفية، دون تدخل بشرى، ما يهدد البيوت المشيدة بالطوب اللبن.

ولعل السبب الأول كان هو الأكثر تأثيرا، والأشد تحكما فى هذا النمط العمرانى، ومن المعروف أن ما قمنا به من أبحاث أنثروبولوجية (الأصول السكانية) للواحات، قد أوصلتنا إلى مجموعة من المعطيات المهمة، التى تضمنت وجود عنصر بشرى بالغ القدم عاش فى المنطقة، ثم اختلاط العنصر الصحراوى المغربى (الأمازيغى) الأقرب للحضارة الزراعية (من واحات الشمال

الإفريقى)، ثم أخيرا العنصر العربى الذى وفد إلى الواحات مع تعاظم دور طرق المواصلات التى كانت تعبر الواحات من الجزيرة العربية إلى الشمال الإفريقى (درب الطويل) ومن مصر إلى افريقيا (درب الأربعين) بل أن الواحات كانت فى موقع المفصل لهذه الشرايين التاريخية المهمة.

لذلك فإن التكوين السكانى للواحات الداخلة ـ الحالى ـ هو خليط من هذه الأصول المتتالية تاريخيا.

وإذا ما حاولنا الربط بين تاريخ هذه العناصر البشرية من ناحية، وبين النمط العمرانى من الناحية الأخرى، فإننا نستطيع أن نستنبط ـ افتراضا ـ ما يلى :

أولا : أن (مملكة الواحات)، التى كان يحكمها آل عبدون قبل الإسلام وبعده، قد وفدت إلى الواحات من شمال غرب افريقيا (الأمازيغ) وانصهر أهلها فى نسيج سكان الواحات نظرا للتوحد الثقافى بينهما (مثلما حدث تماما فى سيوة) وبالتالى حافظ آل عبدون على نمط العمران الذى يفرض بناء المساكن فوق هضبة مرتفعة، والدفاع عن الواحة ضد هجوم بدو الصحراء.

وقد فضلت بعض الجماعات الوافدة من الغرب الاستقرار أسفل الهضبة وعلى أطرافها، حيث اتساع المسكن، ومجاورة الزراعة فى الوديان، خاصة بعد أن خفت حدة هجمات البدو نسبيا، واقتصرت على اغتصاب المرعى فقط، دون السلب والنهب الجماعى. وهناك فى الأدب الشعبى البدوى مثلا دارجا يقال لمن تتمنى له الوقوع فى

شر أعماله، بأن تقول له (تعاود وربنا يطبعك فى صاحب الزرع..!!) وقد ساعدت هذه الجماعات على إغراء جماعات الأطراف بالاستقرار النسبى، خاصة وأن التجارة كانت هى النشاط المستهدف لدى جماعات الغرب الوافد،وهو ما لاقى هوى واتجاه قبائل الأطراف، مما سهل الوفاق الاجتماعى، وكانت تلك هى بدايات تكون التجمعات البشرية خارج إطار البوابات والأسوار.

وبالتالى، وبعد تضاؤل دور الطرق التجارية فى الواحات، و(المكوس) التى كان يفرضها بدو (الجزيرة العربية) بدأ هؤلاء فى النزوع إلى الاستقرار النسبى، باتخاذ أطراف الواحات كمقرات موسمية لهم ـ ولعل الأطرف من المعلومات التى وصلتنا حول مبررات عدم قدرة جماعات البدو على التعايش مع المجتمع الواحى، هى تلك الحشرة التى تنتشر فى نخيل الواحات،والتى يطلق عليها اسم (الجفرة) قيل إنها تصيب الابل بمرض يؤدى إلى شدة الإعياء ثم الموت، ومهما صادف هذا التبرير من جانب الحقيقة، فإنه وبلاشك، قد أثبتت دراساتنا حول العادات والتقاليد لمجتمعات البدو صعوبة ـ بل استحالة ـ انصهارها وتعايشها وسط نسيج المجتمعات الزراعية المستقرة، ومنها مجتمعات الواحات.

ثالثا: بمرور السنين، تحولت هذه المقرات الموسمية إلى مقرات دائمة، وفى نفس موقعها، أى فى الوديان الأكثر خصوبة (من حيث المرعى)، ولو حاولنا البحث عن أمثلة لهذه المواقع فإننا لن نجد صعوبة، حيث الزراعة تتاخم العمران فى الراشدة، والهنداو القديمة، حتى أننا نتذكر بيت العمدة تتوسطه عين الماء، ومن حولها

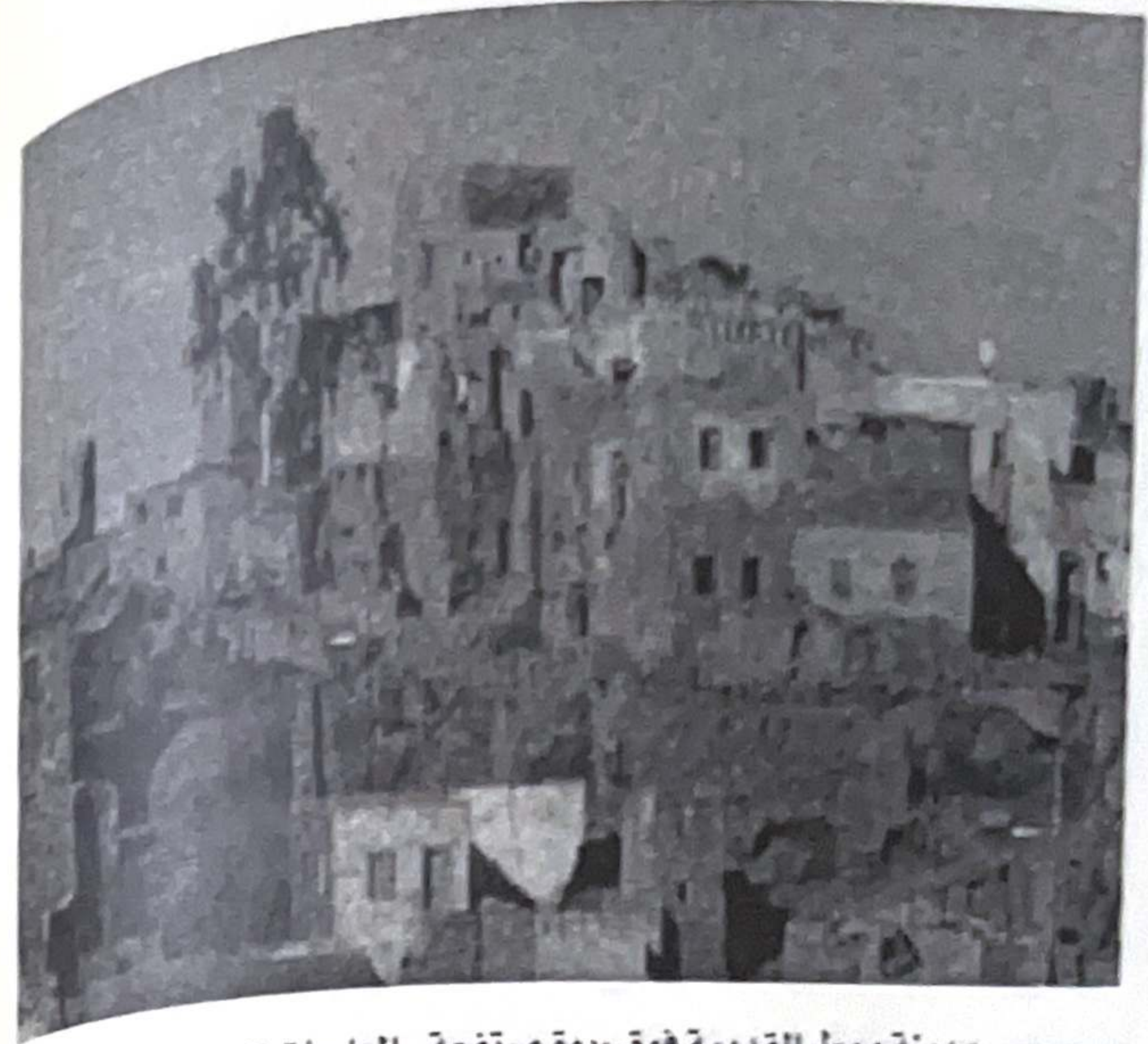
الزراعات تحيطها من كل جانب، فى صورة غير مألوفة لواحات الهضبة والأسوار..!!

ذلك هو التطور التاريخى للكتلة العمرانية للواحات، والتى تشير إلى أن التطور للبشر، قد انعكس بصورة مباشرة على تطور الحجر...!!

وتعنى الكتلة العمرانية ذلك المشهد العام لمعمور الواحة ككل، بما تتضمنه من عمارة مساكن، وشوارع وحارات وميادين ومبان خدمية و(عمارة عمل) مخازن محاصيل وأعلاف، وأماكن إيواء الحيوانات، وأسوار الحدائق (وعمارة اعتقادية) مساجد، قباب أضرحة، مقابر.

وتتفق الكتل العمرانية القديمة فى الواحات بصفة عامة فى أنها مقامة فوق هضاب واسعة ، وتعود هذه الظاهرة كما ذ كرنا إلى أسباب هى الدفاع ضد هجمات البدو المتكررة على سكان الواحات بهدف السلب، بالاضافة إلى إحاطة الكتلة بأسوار تلفها، واحكام الدخول والخروج من خلال بوابات لاتزيد عن ثلاث، ذات مواصفات خاصة لا تسمح إلا بدخول الدابة بما تحمله، دون راكبها، بوابات تغلق ليلا وتفتح فجرا، وهو ما تلخصه القاعدة التاريخية لحياة الصحراء، التى تقول إن الواحة ـ دائما ـ تدافع، بينما سمة البدو هى الهجوم..!!

ومثلما كانت قرى وادى النيل تقوم على ربوة عالية تجنبا للفيضان الطاغى، فإن الواحات كانت تتجنب أيضا خطر المياه الجوفية التى كانت كثيرا ما تتدفق ذاتيا دون تدخل بشرى بأعمال الحفر، ما دفع السكان لتشييد مساكنهم فوق الهضبة، خاصة وان خامة البناء هى الطوب اللبن.



مدينة موط القديمة فوق ربوة مرتفعة - الواحات الداخلة

الشوارع

وتتسم شوارع وممرات الواحة بالضيق بما لايزيد عرضها على المترين، وأحيانا أقل، وهى غالبا ما تكون شبه دائرية تتفرع منها أزقة أشد ضيقا، وتتلاقى الشوارع فى نهاياتها لتؤدى إلى إحدى بوابات الواحة.

وتنتشر فى الواحات الداخلة ظاهرة السقائف، وهى عبارة عن سقف لجزء من الشارع، أحيانا يعلوه جزء من مسكن، وأحيانا أخرى لا يعلوه بناء، ويطلق على هذا الجزء - فى الواحات الداخلة اسم (السقيفة) وعادة ما تكون السقيفة لعائلة تملك المسكنين المتقابلين على جانبى الشارع، وبالتالى فإن السقيفة تسمى باسم هذه العائلة، كتعريف لموقعها الجغرافى من الواحة.

والسقيفة لها أكثر من وظيفة :

١- تساعد السقيفة على تبريد تيارات الهواء الساخنة صيفا عبر شوارع الواحة.

٢ - إقامة احتفالات الزواج وسهرات السامر المصاحبة.

٣ - زيادة مساحة البيوت بإضافة الجزء الذى يعلو السقيفة .

٤- يستخدمها كبار السن فى نوم القيلولة على مصاطبها المقامة على جانبيها.

٥ - تعلق على جانبيها أوان فخارية أسطوانية الشكل (تسمى علاوة) مملوءة بالماء كسبيل للمارة .

٦- فى جدرانها طاقات وهى عبارة عن فتحات غير نافذة تستخدم فى وضع لمبات إنارة تعمل بالكيروسين لإضاءة السقيفة ليلا، كما يوضع بها ما يسمى (سراج) وهو يستخدم فى علاج سحرى كأحد المعتقدات السائدة فى الواحات الداخلة.

٧ - إضافة مساحة الشارع إلى مساحة الطابق الثانى للمسكن الواقع فوق السقيفة.

٨ - من أشهر استخدامات السقيفة - فيما مضى - كانت ظاهرة تعليق (قوادس) الاطفال فى احتفالية عاشوراء (وهى الاحتفالية التى يأتى ذكرها تفصيلا فى فصل العادات والتقاليد .

كما تتسم شوارع وممرات الواحة بالتعرج والانحدارات الحادة التى غالبا ما يتم التغلب عليها بعمل درجات صخرية للصعود والهبوط، ذلك لأن الهضبة المقامة عليها الواحة غير مستوية.

وتتوسط الكتلة العمرانية حوالى ثلاثة ميادين صغيرة نسبيا، تقع عادة عند منطقة تلاقى عدة شوارع ، وغالبا ما تؤدى هذه الميادين إلى واحدة من بوابات الواحة.

وعلى هذه الميادين تقع المتاجر وطواحين الغلال والمسجد وأماكن الخدمات العامة.

ومن الملاحظات الجديرة بالتسجيل هو أن هناك بعدا طبقيا فى توزيع العائلات على مساحة الهضبة، ففى موط والقصر وبلاط نجد أن الطبقة العليا تنفرد بالجانب الشمالى من الواحة مثل عائلات العمدة والمشايخ ، أما أبناء الطبقة الدنيا من الفلاحين فإنهم يتجمعون فى القطاع الجنوبى من الهضبة ، بينما نجد فى القلمون أن الطبقة الحاكمة كانت تحتل وسط الهضبة، بينما بقية السكان من الفلاحين يسكنون فى أطراف الهضبة.



السقيفة / الطريق المسقوف. من سمات عمارة الواحات. موط - الداخلة

ويعلل البعض سكنى الطبقة العليا فى القلمون وسط البلدة إلى أن هذه الطبقة كانت تنتمى إلى الأتراك، والغز، وبعض الوافدين، ممن يخشون السكنى على اطراف الواحة، خشية تعرضهم لهجمات البدو وغاراتهم الدائمة. وبالتالى فإن مهام الدفاع والحماية تقع على عاتق الفلاحين من العامة.

وفى الغالب، تتجمع كل عائلة كبيرة فى منطقة محددة، تحتوى على مجموعة من البيوت المتلاصقة، ويطلق عليها اسم ضرب، وكان للضرب فيما مضى بوابة، تتحكم فى الدخول والخروج تغلق بعد الغروب وتفتح مع صلاة فجر اليوم التالى.

وتخرج عن قاعدة الربوة المرتفعة، بعض القرى التى نظن أنها قد قامت بعد الفتح الاسلامى، من خلال بعض الهجرات لفلول القبائل التى كانت تسعى للمراعى، حيث وجدتها فى هوامش وتخوم القرى والواحات القديمة، ومجاورة لها.

وتمثل هذا الجزء الأخير فى الواحات الداخلة قرى الراشدة، وبدخلو، والجديدة، والهنداو، وتنيدة، وأسمنت، والمعصرة ، وقد تباين شكل الكتلة العمرانية ـ وبالتالى المسكن ـ فى بعض الجوانب التى سنتناولها فى حينها.

المسكن

لم تكن الواحات ـ فيما مضى ـ تعرف ظاهرة استئجار عمال البناء، بل كان السائد هو نظام (العشومة) أى المشاركة بالمجاملة، وقد كانت حرف المعمار التى تتقاضى أجرا قاصرة على البناء، ونجار الأبواب والنوافذ فقط.

والوحدة المعمارية فى البناء هى الطوب اللبن، حيث يقوم المسكن التقليدى فى الواحات على مساحة محددة سلفا لكل عائلة طبقا

لملكيتها المتوارثة، وبالتالى فإن عدد الطوابق يصل فى بعض الأحيان إلى خمسة طوابق.وذلك فى حالة الأسرة الممتدة، ومع التزايد السكانى لكل عائلة يكون الحل دائما هو التوسع الرأسى، لأن مساحة الهضبة لا تسمح بالتوسع الأفقى.

بداية يقوم معظم السكان بإقامة مصطبة بطول حائط واجهة البيت، تستخدم فى جلوس الراحة، ولكبار السن الذين لاتقوى صحتهم على (السروج) للغيط بشكل يومى، كذلك تستخدم فى مناسبات الأفراح حيث تقام ليالى السامر أمام بيت الفرح، وأيضا فى حالات العزاء.

تصنع أبواب البيوت من خشب شجر السنط المنتشر فى الواحات الداخلة، وللباب ضبة خشبية ذات فكرة وصناعة متميزة وتنفرد بها الواحة عن الواحات الأخرى، كما يغلق الباب من الخارج عن طريق (الميهاج) وهو يقوم بمهمة الترباس،ولكنه من خشب السنط .

وهناك بعض الأبواب لبيوت الطبقة العليا تعلوها لوحة مثبتة على عتب الباب، كتب عليها اسم صاحب البيت، وتاريخ البناء، واسم من قام بالبناء، فى نقش محفور على خشب السنط، وينتشر هذا النوع من الأبواب فى قرى بلاط والقصر والقلمون (وهى القرى التى كانت مقارا لحكم الواحات على التوالى فى العصور القديمة) ويختلف اتساع فتحة الباب الخارجى طبقا للمستوى الاقتصادى والاجتماعى للأسرة.

القاعة

غالبا ما يؤدى الباب الخارجى إلى القاعة الأولى والتى يطلق عليها (حرم البيت)، وهى عادة ماتكون مساحة مكشوفة لا تزيد

مساحتها على ٣ـ٥ م وبها توجد (المرانة) وهو الاسم المحلى للرحايا، وكذلك (بور دق الأرز) والبور هى جمع بورة بمعنى حفرة، بعمق حوالى ٢٥ سم وعرض ٣٠ سم ، وتكون البور دائما ملاصقة لحائط القاعة، تجلس إليها المرأة محتوية البورة بكلتا رجليها المفتوحتين فى اتجاه الحائط، وتستخدم المرأة فى دق الأرز حجر الصوان الذى يتم تهذيبه يدويا، ويكون الحجر عادة بطول ٣٠سم وعرض ٢٠ سم وسمك ٧ـ١٠ سم ويزن تقريبا حوالى ١٠إلى ١٥ كجم. وتضم القاعة حوالى ٥ـ٨ بور لهذا الغرض تستخدم جميعها فى حالات موسم حصاد الأرز، أو مناسبات الزواج، ودق الأرز الجماعى تقوم فيه السيدات بالغناء على إيقاع الدق بالحجر، حيث تقوم المرأة التى تقود العملية بالدق ثم تتلوها باقى السيدات وهكذا وهم يرددون (هايبو، هاينى) بصوت مرتفع، وتعد أغانى المرانة من أغانى العمل للمرأة فى الواحات الداخلة.

فى هذه القاعة توضع أيضا معدات الفلاح اليومية مثل مقاطف الغيط ومناجل الحش والمسحة (الفأس والطورية). غالبا ما يكون الباب الخارجى للمنضرة (مدخل الضيوف) ونوافذها، مطلة على هذه القاعة المكشوفة ، والوظيفة الأساسية للمنضرة هى استقبال الضيوف وعقد لقاءات المناسبات والولائم بالإضافة إلى مبيت الضيوف القادمين من خارج الواحة .

وفى قرية الجديدة بالداخلة تكون المنضرة مشتركة خارج البيوت لضيوف الأسرة الكبيرة، وهذا النمط يشبه ـ نسبيا ـ النمط البدوى لدى الأسر المتجاورة بيوتهم وتكون لاستقبال الضيوف العاديين، بينما يكون استقبال الضيوف من ذوى الشأن فى الرواق فى الطابق الثانى.

قاعة المزاير

ومن القاعة المكشوفة نجد الباب الداخلى للبيت وهو يؤدى إلى (قاعة المزاير) وتسمى هكذا لأنها تحتوى على المحمل الخشبى الذى توضع عليه ٢-٤ أزيار فخارية كبيرة توضع أسفلها (السجيان) ومفردها (سجا) ونعتقد ان الاسم يعود أصله إلى (سقاية) وتستقبل السجيان قطرات الماء من ناتج رشح المزاير أعلاها، ومن ماء السجيان (المرشح) يتم ملء القلل الفخارية التى توضع غالبا على (غرازة) بمعنى حمالة خشبية مثبتة خارج أحد نوافذ الدور الثانى فى مصد هواء بهدف التبريد، وفى قرية القصر يطلق اسم سقيفة المزاير على هذه القاعة.

ومن المعروف أن قاعة المزاير تكون هى المكان الأقل فى درجة الحرارة عن باقى غرف البيت وبالتالى فإنها عادة ما تكون مصدرا مهما للتيار البارد (الطراوة) وتمريرها إلى باقى المسكن.

وتعد قاعة المزاير نقطة التوزيع الأولى، حيث منها الباب الداخلى للمنضرة والذى يستخدم فى دخول أهل البيت إليها وإدخال الطعام للضيوف، وعادة ماتكون المنضرة أكبر الغرف مساحة حيث تصل مساحتها إلى ٤-٦ م تقريبا، وتفرش أرضها بالحصر الطويلة والكنب الخشبية المعروفة، وتستخدم الطبلية لتناول الطعام وسط المنضرة.

ومن القاعة تكون أبواب الغرف السفلية ومخازن الغلة (القمح والأرز) وفى قرية القصر يطلق على مخزن الغلة اسم الحاصل، كما يضم الدور الأرضى كذلك غرفة أو غرفتين للنوم فى الشتاء.

ومن القاعة أيضا نجد باب (الشريعة) ومصطلح الشريعة يطلق على المكان الذى يكون سقفه بالخوص أو جزءا منه، وبابها هو المؤدى إلى المنطقة المفتوحة الواسعة خلف البيت، والتى تضم فى جزء منها الفرن البلدى والمطبخ (كانون من الطوب والطين) وفى الجانب المقابل يكون (مسطاح) الفراريج وهو مكان تربية الدواجن والأرانب، (فى قرية تنيدة تسمى هذه المنطقة، الملقة) وهناك بعض الفلاحين ممن يربون الأبقار فى مساطيح الغيط المجاور لمواقع الآبار والتى دائما ما تقع بعيدا عن الكتلة السكنية للواحة، إلا أنه يحتفظ مؤقتا بالبقرة الوالدة حديثا فى المسطاح الخلفى للبيت ضمن مكونات (الشريعة) وذلك حتى يمكن حلب البقرة صباحا ومساء كل يوم، إلى أن يكبر وليدها ويجف لبنها فتعود مع مثيلاتها إلى مسطاح الغيط.

السلم

أما آخر توزيعات قاعة المزاير هو السلم المؤدى إلى الدور الثانى، ولكن قبل وصوله وفى منتصفه تماما توجد (بسطة السلم) وهى مكان تغيير مسار واتجاه السلم إلى اليمين أو اليسار طبقا لموقع الدور الثانى، ومن بسطة السلم نجد باب (الكنيف) بمعنى المرحاض وهوعبارة عن بناء مغلق له فتحة علوية لقضاء الحاجة، أسفلها حوض كبير له فتحة على الشارع تغلق بالطوب والطين ولا تفتح إلا عند ملء الحوض بالمخلفات الآدمية والرماد المتخلف من فرن الخبيز والمطبخ، واخلائها لاستخدامها سمادا عضويا للأرض الزراعية، ثم يعاد غلق الفتحة مرة أخرى.

على بسطة السلم وفى الحائط توجد فتحة غير نافذة بارتفاع حوالى ٤٠ سم وعرض ٣٠سم تستخدم فى وضع (لمبة صاروخية)

تعمل بالفتيل المغموس فى الكيروسين، وظيفتها الإضاءة للسلم صعودا وهبوطا، حيث تقع البسطة فى مفترق السلم، وتسمى هذه الفتحة (الطاقة).

المجلس

مع مواصلة صعود السلم نصل إلى الطابق الثانى الذى يعتبر أكثر خصوصية لسكان البيت، فنجد فوق القاعة مباشرة مايسمى (المجلس) وهو - تقريبا - بمساحة القاعة السفلية، وهو نقطة توزيع الدور الثانى. (وفى قرية القصر يطلق اسم سقيفة على المجلس)

والمجلس هو مكان المعيشة لأفراد الأسرة لتناول الطعام ومكان لتجمع السيدات فى المناسبات ومنه إلى (الرواق) وهو يستخدم كغرفة لنوم رب الأسرة، ويقع الرواق - تماما - فوق المنضرة وهو المكان الوحيد المطل بنوافذه على الشارع، وأحيانا ما تكون هناك نافذة واحدة على المجلس وهى التى تدق فى حائطها الخارجى غرازة القلل، وتطل من المجلس أبواب الغرف الباقية للأبناء وزوجاتهم وأطفالهم (فى حالة الأسرة الممتدة) وعادة ماتكون غرف الأبناء بمساحة لاتزيد عن ٢-٣ م وتكون فتحاتها مطلة على (الشريعة) خلف المنزل وليس لها نوافذ على الشارع.

السطح

ومن المجلس ننفذ إلى سلم السطح (فى حالة المسكن المتوسط الذى يتكون من طابقين فقط) والسطح فى مسكن الواحات الداخلة - عما عداها من باقى الواحات الأخرى - يعد فى أهميته بمثابة نصف المسكن إن لم يزد !!

والسطح عادة مايكون على المساحة الكلية العلوية للمبنى، إلا أن البعض يفضل بناء غرفة واحدة فى السطح تسمى رواق السطوح، وهو من الغرف المفضلة لشدة تهويتها، وفى قرية القلمون يطلق على

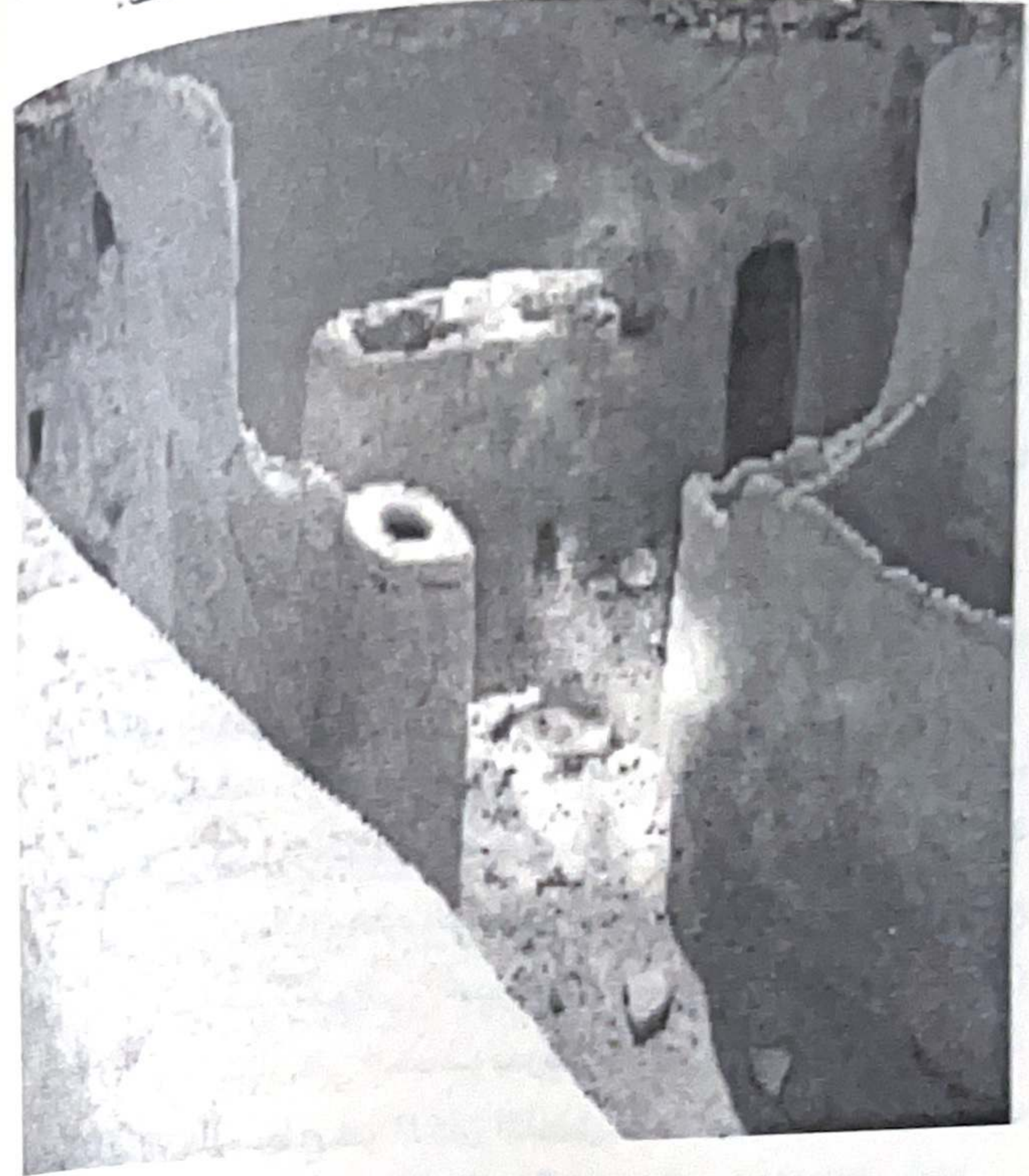
هذه الغرفة اسم (الطيارة) كما تستخدم فى قرية القصر لنوم الضيف المهم.

وتتعدد استخدامات السطح التى يمكن حصر بعضها فيما يلى:

- تجفيف محصول الأرز على أبراش من الخوص وتعريضها للشمس قبل عملية الدق (التبييض)
- تشبير البلح فى الشمس قبل وضعه فى أوان فخارية كبيرة ليكون (عجوة) ويطلق على هذه العملية (كبس البلح).
- نشر الغسيل
- النوم فى ليالى الصيف لكل أفراد الأسرة على حصر وفوقها فراء الخراف التى تذبح كأضحيات موسمية.
- إقامة المولد والحضرة المتلازمتان مع ليلة الزفاف فى احتفاليات الزواج.
- فى جنبات أرضية السطح فتحات نافذة فى سقف الغرف المقامة فى المجلس لتهوية هذه الغرف ودخول القليل من أشعة الشمس إليها، وتكون هذه الفتحات فى شكل مثلثات يبلغ طول ضلع الفتحة الواحدة حوالى ٥٠سم، وتتقاطع فى كل فتحة عصاتان خشبيتان مثبتتان فى السقف بغرض حماية الأطفال من السقوط، حيث يكون السطح هو المكان المفضل دوما لممارسة أطفال البيت للألعاب الجماعية، تسمى الفتحة الواحدة (الروشنة).
- وفى قرى بلاط وتنيدة تنتشر ظاهرة صوامع السطوح لحفظ الحبوب بارتفاع حوالى المتر، لها فتحة علوية للتعبئة، وفتحة سفلية للتفريغ.

يحد السطح من كل جوانبه سور بارتفاع ١٥٠ - ١٧٠ سم له فتحات طولية متلاصقة، تسمح برؤية الشارع دون رؤية ما بداخل السطح، وتعد هذه الفتحات بمثابة زخارف تاج البيت، معطية صورة

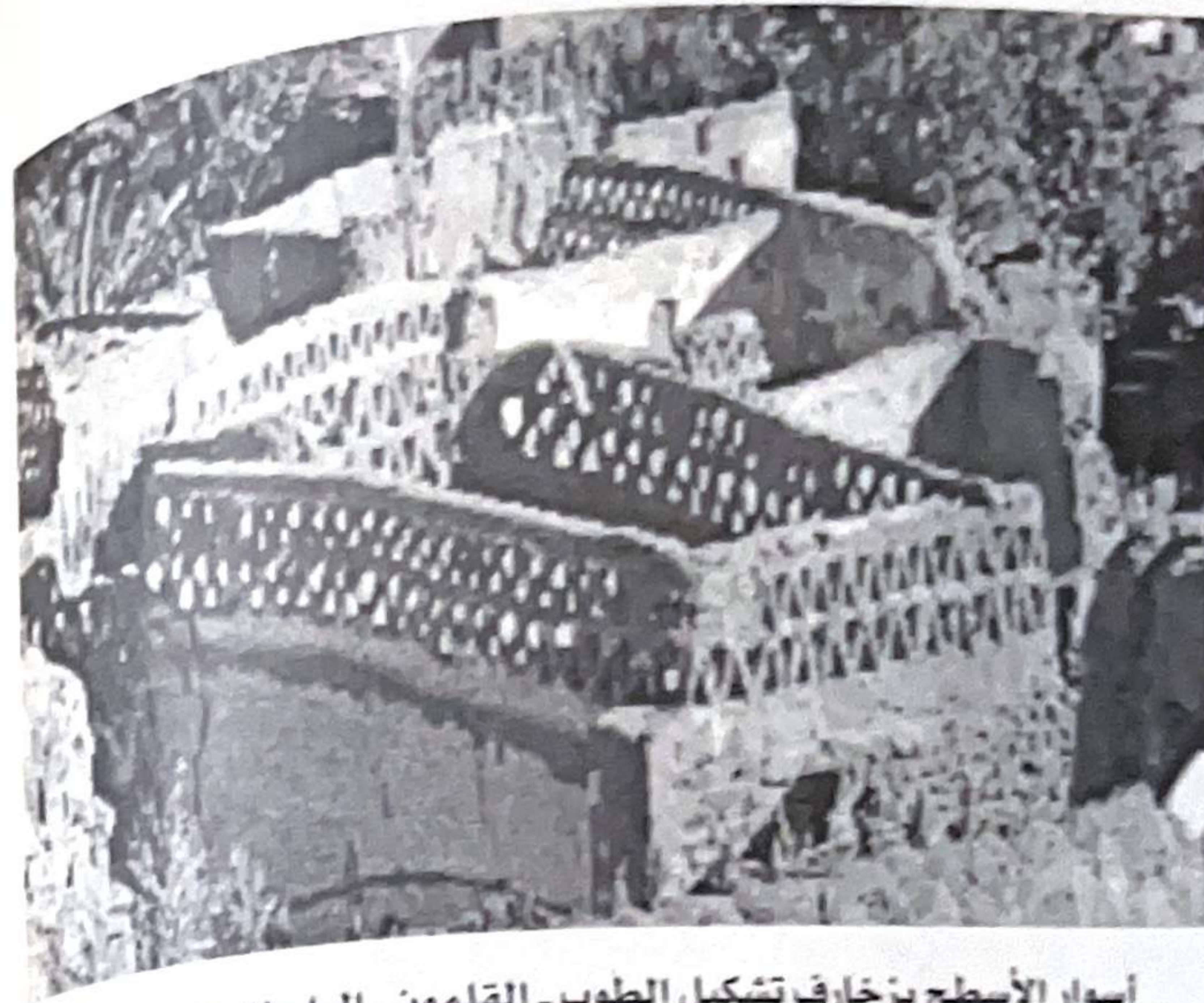
جمالية ملفتة، وقد كانت هذه الأسوار فيما مضى ـ عند أبناء الطبقة الدنيا ـ تقام من جريد النخل ، الذى كان يطلق عليه اسم (الزرب) ولم يعد هذا الزرب قائما حاليا الا للحدائق فقط.



صوامع حفظ الغلال فى أسطح بيوت بلاط وتنيدة - الواحات الداخلة

وفى قرية القصر يضم المسكن الواحد أكثر من سطح، فلديهم (السطحة الغريقة) وهى تكون بين الطابق الثانى والثالث وهى لنوم الأطفال صيفا، بينما يضم السطح العلوى غرفة واسعة تسمى رواق السطح وتستخدم لنوم الضيوف (وهذا الرواق يسمى فى قرية القلمون الطيارة، ويكون لنوم رب الأسرة) كما يختلف مسكن قرية

القصر فى وجود مطبخين الأول فى الطابق الأرضى لفصل الشتاء، بينما يكون مطبخ الصيف فى الطابق الثانى، كما يطلق على مخزن الغلة المجاور للقاعة اسم (الحاصل) بينما فى قرية الراشدة يبنون (صوامع) للمحاصيل فوق الأسطح وهى تكون أسطوانية الشكل وبارتفاع حوالى متر واحد، ولها فتحة من أعلى للتعبئة وأخرى من أسفل للتفريغ، وهى تشبه فى ذلك صوامع الأسطح فى قرى بلاط وتنيدة. أما عمارة المسكن فى قرية الجديدة فإنها تشهد تغيرا ذا دلالة بعينها، هى أن هناك (المقعد) المنفصل لكل أسرة ممتدة، وهو النمط الذى يقترب من الثقافة البدوية، وهو ضمن السمات العديدة التى تتسم بها تلك القرى التى قلنا عنها إنها من التجمعات العمرانية التى نشأت مع وصول القبائل العربية إلى الواحات، وشيدت بيوتها على تخومها، وليس على ربى مرتفعة. ولعل أكثر ما يتبدى ذلك هو ما نجده فى قرية المعصرة التى تقترب كثيرا من الثقافة المادية البدوية، فمعظم البيوت قد شيدت من طابق واحد ، وهى أيضا تتشابه مع قرية تنيدة التى تقع على المدخل الشرقى للواحات الداخلة، وهى فى أغلب الظن قد سكنها - بداية ـ البعض من القادمين من الجزيرة العربية بعد الفتح. وفيها يسمى مكان الضيوف باسم (المقعد) وهو الاصطلاح الوافد مع البدو (عرب شرق) من أولئك الذين عبروا نهر النيل، ثم اتجهوا غربا إلى الواحات للعمل فى مجال طرق السفر الصحراوية (الأربعين، والغبارى، والطويل) وهى الدروب التى كانت تربط بين الشرق والغرب العربى، من ناحية، والشمال المصرى والجنوب الأفريقى من ناحية أخرى.



أسوار الأسطح بزخارف تشكيل الطوب ـ القلمون ـ الواحات الداخلة

أما قرية القلمون، تلك التى ظلت عاصمة للواحات فى العصر التركى وحتى منتصف القرن التاسع عشر، قد كانت تضم تقسيما طبقيا للكتلة العمرانية، حيث تسكن الطبقة الحاكمة (التركية) فى الوسط، بينما يقيم العوام فى أطراف الواحة، وقد كان ذلك ـ كما ذكرنا - بغرض حماية الطبقة الحاكمة من هجمات البدو المتتالية على الواحة.

معالجة الحوائط والأرضيات والأسقف

ظل أسلوب (اللياسة) هو السائد فى المنطقة لآلاف السنين دون تغير يذكر، واللياسة هى ـ باختصار ـ استخدام التربة المحلية فى إعداد عجينة طينية لتسوية فراغات وتشققات الحوائط والأرضيات، ولكن، لم تكن أى تربة صالحة لذلك، بل تلك التربة التى يطلق عليها اسم (الصبخ) وهى عبارة عن خليط من التربة الزراعية المتكلسة (الملحية) مايضفى عليها خاصيتين أساسيتين، الأولى هى الصلابة، والثانية اكتساب اللون الأبيض بعد الجفاف.

ومن أعمال اللياسة النادرة، نجدها فى لياسة جدار من خوص النخيل، يكون عادة فوق الأسطح كجدران فاصلة، وغالبا ما لا يزيد ارتفاعها عن المتر ونصف المتر.

وكانت أعمال اللياسة للحوائط والأرضيات تقوم بها النساء، بعد أن يستكمل الرجال أعمال المبانى والأسقف وتركيب الأبواب والنوافذ.

أما إقامة الأسقف فقد كانت تتم طبقا للخطوات التالية :

١ـ قطع الجريد الأخضر من النخيل

٢ـ تقوم السيدات والفتيات بسلخ الأوراق (السعف) من الجريد.

٣ـ تهذيب أعواد خشب السنط، بمعرفة نجار متخصص، ثم تركيبها على الحوائط بالعرض، ولاتزيد المسافة بين العود والآخر لأكثر من ٦٠ سم

٤ـ يؤتى بالجريد (المسلوخة أوراقه) ويتم رصها متلاصقة بطريقة طولية على الأعواد وبين كل عودين، يتم تركيب جريدة، يطلق عليها(حمار) لربط الجريد المتقاطع معها، وتسمى هذه العملية (الحبك)

٥ـ بعد تركيب سقف الجريد، يفرش السطح بأوراق النخيل (السعف) الذى تم سلخه من الجريد، وفوقه توضع طبقة من الطين، وفوقها يرص كسر الطوب اللبن المتخلف عن أعمال البناء، وهومايسمى (الرك) ثم تتم عملية لياسة أرضية السقف.

عمارة قرية القصر الاسلامية

على بعد ٣٥ كم فى الاتجاه الشمال الغربى من مدينة موط (عاصمة الواحات الداخلة) تقع قرية القصر التى تضم مدينة تاريخية يطلق عليها (القصر الإسلامية) وهى مدينة فريدة فى معمارها، تقع فوق ربوة ، وهى الكتلة العمرانية المتكاملة الوحيدة الباقية بكاملها فى الواحات عموما، وقد شيدت هذه المدينة- طبقا لنمط العمارة فى الواحات التى تحرص على البناء فوق الهضاب المرتفعة عن الوديان التى تحتلها الآبار والزراعات.

وقد شيدت مبانيها من الطوب اللبن، الطرق الداخلية بها دائرية، حتى قيل أن تخطيط حى (جاردن سيتى) بالقاهرة قد تم نقلا عنها، يحيط بها سور يلف المدينة بأكملها، به بوابات من خشب السنط، لكل بوابة ثلاثة مزاليج لإحكام الغلق ، الطرق فيها مسقوفة فى معظمها، وبها قطاعات من الشارع لا تتعدى العشرة أمتار بلاسقف، بغرض الإضاءة والتهوية.

تضم القصر الإسلامية ـ إضافة إلى المساكن ـ مدرسة، ومسجد يعودان إلى نمط العمارة الأيوبية، ومحكمة، وطاحونة للغلال، ومعصرة زيتون، وتدل الأشكال والهندسة المعمارية للمساكن على أنها لم تكن لسكنى العامة، وذلك لاختلافها عن بقية القرى القديمة بعمارتها التقليدية.

والمساكن فى هذه المدينة تتميز بالاتساع المفرط فى مساحة الغرف، وغالبية البيوت فيها من ثلاثة طوابق، ومن الملفت للنظر أن هذه البيوت لا تضم أسطحًا على غير عادة سكان الواحات الداخلة عامة. وهو ما يعد دليلا دامغا على أن أول ساكنى هذه المدينة ـ فى البدء ـ لم يكونوا من سكان الواحات القدامى.

وفى الاتجاه الشمالى الشرقى للمدينة توجد مجموعة كبيرة من قباب (قبور المشايخ) بصورة ملحوظة لا تتكرر فى قرى الواحات سوى فى غرب قرية القلمون، وهى التى صارت عاصمة للواحات بعد القصر.

من الأساليب المعمارية المتميزة فى هذه المدينة نجد أسلوب ملاقف الهواء، حيث يتم بناء الجدار الشمالى (البحرى) للمسكن من حائطين متجاورين لايفصل بينهما سوى حوالى ٢٠ سم وبالحائط الخارجى نوافذ واسعة مزينة بتقاطعات خشبية (أرابيسك) يدخل منها الهواء فيصطدم بالجدار الداخلى الذى يمرر الهواء عن طريق فتحات أسفل كل غرفة بالداخل، وهو أسلوب تتفرد به هذه المنطقة دون غيرها فى الواحات.

تعلو بوابات البيوت أعتاب خشبية حفر عليها اسم صاحب الدار واسم من قام بالبناء وتاريخه .وكانت هذه البوابات بمثابة إشهار ملكية وتوثيق لتاريخ الدار. ولعل أشهر البنايات المعمارية فى القصر حاليا هو جامع نصر الدين ، وجامع الشيخ وضّاح الذى ارتبط فى الذاكرة الشعبية لدى سكان القصر بأنه صاحب (عين الماء) التى تستبشر كل عروسة بالاستحمام فيها ليلة عرسها ، فيما يطلق على هذه العادة اسم ليلة (التسحيمة)، وهى العادة التى لانجدها فى الواحات بصفة عامة سوى فى سيوة.

أما عن تاريخ هذه المدينة فيعود انشاؤها إلى ما بين ٦٣٧ ـ ٦٤٦ هجرية (١٢٤٠ ـ ١٢٤٩ م) فى عهد الصالح ايوب بن الكامل .



جامع نصر الدين من العصر الأيوبي ـ القصر ـ الداخلة

كانت القصر مقرا لحاكم إقليم الواحات وجرجا، وقد تم اختيارها لتكون (مركز القيادة المتقدم) فى اتجاه الغرب، وهو اتجاه الصحراء الغربية والتى كانت دوما تشكل خطرا لقدوم الغزوات من الاتجاه الليبى.

فى البدء أقام بالمدينة كبار المعاونين لحاكم الإقليم وهم فى أغلب الظن كانوا من نسل المماليك، أقاموا مزارع وحدائق شاسعة ومتميزة ـ تشتهر بها القصر إلى الآن ـ وكان يقوم على خدمتها فلاحون من أبناء الواحات يسكنون فى قرية تبعد عن القصر بحوالى ثلاثة كيلو مترات تسمى (عزب القصر) ظلت القصر على أهميتها طوال مرحلة كونها مقرا للحكم، حتى تسلمت قرية القلمون الحكم منها فى عصر الأتراك. إلا أن عمارة القصر لا تزال عفية تصارع الزمن برغم مرور حوالى ثمانية قرون على بنائها (بالطوب اللبن)



واجهة لمدخل أحد بيوتات قرية القصر القديمة ـ الواحات الداخلة

عمارة الواحات ونظرية حسن فتحى

ولعل الحديث عن العمارة التقليدية فى الواحات يجرنا ـ بطبيعة الحال ـ إلى ما تناولته الأوساط العلمية و الإعلامية، فى سبعينيات وثمانينيات القرن الماضى، حول ما اصطلح على تسميته بنظرية (المعمارى العالمى حسن فتحى) والتى تتلخص فى وجوب البناء بالطوب اللبن والسقف بالقباب، كنظرية مثالية للبناء فى الواحات والريف المصرى، فيقول الدكتور حسن فتحى فى كتابه " عمارة الفقراء ": (من حسن الحظ اننا مجبرون على استخدام طوب اللبن للإسكان الريفى على النطاق الواسع، فالفقر يرغمنا على استخدام طوب اللبن وعلى اتخاذ القبو والقبة للتسقيف. ولعل أهم الوحدات العمرانية التى تم تشييدها ـ طبقا لنظرية حسن فتحى ـ هى قرى التهجير فى منطقة غرب الموهوب بالواحات الداخلة، وقرية أخرى فى طريق باريس بالواحات الخارجة، وقرية القرنة بالأقصر.

وقبل أن نتحدث عن مصير كل هذه البنايات، أذكر أننى قمت فى عام ١٩٦٨ بتسجيل حديث إذاعى للدكتور حسن فتحى مع إذاعة الشعب (قبل أن تحل محلها اذاعة الشباب والرياضة) يصرح فيه عن مصدر استلهام نظريته المعمارية بأنه كان من خلال زيارته لمدينة البجوات (القبوات) وهى الجبانة المسيحية الشهيرة بالواحات الخارجة، وهى التى شيدت مبانيها بالطوب اللبن، وأقيمت أسقفها بالقباب.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك، تلك المقابر العديدة للمشاهير ممن عاشوا فى قرى الواحات الداخلة، خاصة فى العصر العثمانى، والتى كان يتم فيها تشييد المقبرة (الضريح) بداخل غرفة، تعلوها قبة من الطوب اللبن، وهى تنتشر بصورة مكثفة فى قرى القصر والقلمون، هنا نستطيع أن نضع أيدينا على أول الأسباب التى جعلت من عمارة حسن فتحى (المقترحة) نموذجا لا يصلح للتطبيق على إطلاقه..!! ذلك لعدة أسباب، نذكر منها :

أولا : أن الثقافة المحلية لسكان الواحات تتضمن أن سقف القبو لايكون إلا للقبر فقط.

ثانيا : أن سقف القبو يفرض على سكان البيت عدم بناء سطح، وهو من أهم الأماكن التى يحرص عليها الواحى من حيث الاستخدامات المتعددة، والتى لايوجد لها البديل المناسب فى النظرية المستحدثة.

ثالثا : أن صناعة الأسقف التقليدية (من الجريد وعيدان السنط) هى من الحرف التقليدية المتوارثة، والتى يتوفر محترفوها فى الواحات، بعكس حرفة تشييد القباب التى يتسم محترفوها بالندرة فى المجتمع المحلى.

رابعا : حرص سكان الواحات الداخلة على وجود الطابق الثانى لما له من وظائف أساسية للمعيشة (خاصة فى حالة تجمع الأسرة الممتدة فى ممسكن واحد) ولما للطابق الثانى من حفاظ على حرمة سكان البيت من الطريق، وهى الخاصية التى لاتتوافر فى الطابق الأرضى، ذلك لأن الكتلة العمرانية غالبا ما تكون متلاصقة بما لا يسمح بالتوسع الأفقى عند الحاجة، مما يفرض ذلك التوسع الرأسى.

رابعا: وفرة خامات الجريد وخشب السنط التى تستخدم فى الأسقف التقليدية يسهل من انتشار هذا النمط المعمارى المتوارث.

لذلك فقد قام المهجرون إلى منطقة غرب الموهوب بإزالة القباب، وتركيب أسقف تقليدية من جريد النخل، وبناء طابق آخر، وعمل أسطح للبيت، أما عن قرية حسن فتحى (طريق باريس) فقد رفضها المهجرون، وكان مصيرها هو نفس ما انتهت إليه قرية القرنة بالأقصر، حيث تم تخصيصها لوزارة الثقافة لتكون مراسم موسمية للفنانين التشكيليين.. !!

ومع ذلك، فإن العمارة التقليدية فى الواحات ـ بصفة عامة ـ هى خير شاهد على صدق نظرية الدكتور حسن فتحى فى مبادئها العامة التى تقول أن على الانسان أن ينظر تحت قدميه، ليحصل على مواد البناء التى يستخدمها فى بناء مسكنه، وذلك بالفعل هو مافعله سكان الواحات فى عمارتهم، ولعل أوضح الأدلة على ذلك أن الطوب اللبن ينتشر فى الواحات كلها، ماعدا واحة سيوة، التى تستخدم الكورشيف (الخرفوش) كوحدة معمارية، وذلك لتوفره لكثرة المستنقعات المنتشرة هناك والمتخلفة عن مياه العيون الطبيعية غير المستغلة زراعيا، مما يزيد من رقعة المساحات الملحية فى

الأرض،ومن المعروف أن الكورشيف هو عبارة عن أحجار ناتجة عن تشبع التربة بالمياه مع تعرضها للشمس لمدة طويلة، وهو ماتنتج عنه طبقة حجرية ملحية متوسطة الصلابة.

شكل المسكن المطور (أسفل الهضبة)

شهدت معظم الواحات المراحل الأولى للخروج من السكنى فوق الهضبة إلى أسفلها على أيدى الوافدين من خارج الواحات، والذين استقروا فى مزاولة أعمال معظمها تجارية وصناعية، وزراعية بدرجة أقل، وكما قلنا، فقد بدأت بوادر الاستقرار أسفل الهضبة ـ فى مرحلتها الأولى ـ حينما تآلفت بعض الجماعات الوافدة من الغرب الأمازيغى مع أخرى من البدو الساعين للاستقرار، بالإضافة إلى أصحاب الصنائع وأرباب التجارة من صعيد مصر خاصة من بنى عدى، والغنايم (أسيوط)، وهؤلاء لا يزالون يلقبون بألقاب الحرف التى وفدوا لمزاولتها مثل، النجار ، الحداد ، المأذون، الخياط .... الخ

وهنا بدأت المظاهرالأولى للتغير فى نمط المسكن أسفل الهضبة، حيث اتساع الرقعة المتاحة للبناء،وزيادة مساحات الغرف، والتخلى عن (المساطيح) المجاورة للمسكن، حيث لم تكن الزراعة وتربية الحيوانات قد دخلت بعد فى النشاط الاقتصادى لهؤلاء السكان الجدد،وارتفاع الأسقف، ولكنها احتفظت بالعديد من المظاهر التقليدبة مثل السقائف، وندرة الفتحات الخارجية فى الطابق الأرضى (النوافذ)، ودائرية الطرق التى تلف أسفل الهضبة وكأنها محيط لدائرة منضبطة..!!

وتأتى المرحلة الثانية فى النزوح بعيدا عن الهضبة، بعد مرور عشرات السنين، فقد كان لعمال الإدارة ممن رافقوا مشروع تعمير

الصحارى مع بداية عقد الستينيات من القرن الماضى أثرا كبيرا فى تغير بعض الأنماط الثقافية خاصة فى نمط الحياة اليومية ، وأيضا نمط العمارة التقليدية.

هذه الفئات الوافدة هى التى أسهمت فى تغيير نمط المسكن التقليدى، حينما تكسرت أسوار الهضبة التقليدية مع ضيق ومحدودية مساحتها، وعدم تناسبها مع التزايد السكانى المطرد، حتى مع المرحلة الأولى من النزوح عن سكنى الهضبة ، فقد كان لزاما على أفرع العائلات المستقرة فوق الهضبة وأسفلها أن تعيش متجاورة مع هذه الفئات والأسر الجديدة الوافدة، وبالتالى تقليدها فى نمط المسكن، باعتباره شكلا جديدا مغريا بالتقليد، وقد تمثلت مظاهر التطوير والتحديث فيما يلى:

١ـ أصبحت مساحة المسكن لاتقل عن ٥٠٠م وهو ما أسهم فى تغيير تخطيطه بما يتوافق مع النمط المعمارى الوافد.

٢ـ أن المسكن يتم تخطيطه على أساس إحاطة واجهته بسور يبلغ ارتفاعه حوالى ٢٥٠سم.

٣ـ إن الغرف تكون على جانبى ممر بطول المسكن (يطلق على هذا الممر اسم القاعة)

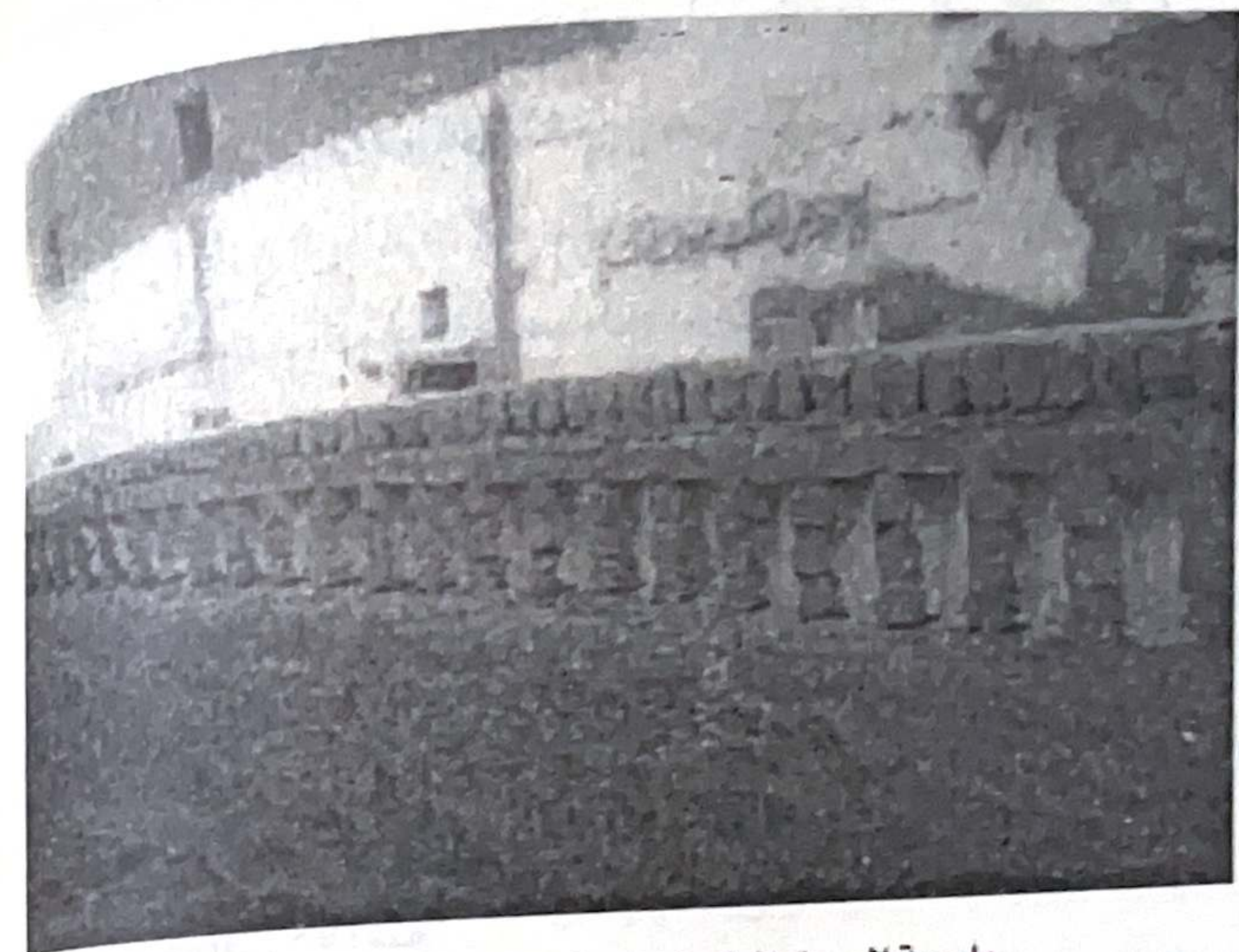
٤ـ أخرج النمط العمرانى الجديد الحظائر من داخل المسكن، واقامتها مجاورة له وبمدخل خاص.

٥. تميزت غرف المسكن الجديد بالاتساع حيث تبلغ مساحة الغرفة حوإلى ٢٠ م.

٦ـ تغير موقع تخزين المياه المنزلية من مدخل المسكن إلى المنطقة الخلفية.

٧ـ اتسم النمط المعمارى الجديد فى تخطيط المسكن وبنائه بألا يبنى حائط فى الطابق الثانى إلا فوق حائط فى الأرضى، وهو ما لم يكن متبعا فى المساكن التقليدية المتلاصقة فوق الهضبة.

٨ ـ اتساع النوافذ والأبواب بصورة واضحة، فأصبحت النافذة ١٠٠- ١٢٠ سم والأبواب من ١٥٠ - ٢٠٠سم



واجهة البيوت المطورة ـ موط ـ الواحات الداخلة

وبرغم عمليات التحديث والتطوير فى تخطيط المسكن إلا أن طرق البناء والخامات ظلت كما هى، فقد ظل الطوب اللبن هو وحدة العمارة فى الحوائط، وظل جريد النخل وسعفه وأعواد خشب السنط هى خامات الأسقف وظلت عملية (اللياسة) للأرضيات والحوائط كما هى .

أصبح تخطيط المسكن الجديد يعتمد على الاتساعات غير المعهودة فيما مضى، فالدور الأرضى له مدخل كبير، وأول وحداته

المنضرة المتسعة ذات نوافذ تطل على الشارع، وباب داخلى وآخر خارجى لدخول الضيف، ثم قاعة (صالة) بطول البيت، بينما تقع الغرف على إحدى الناحيتين، ويقع السلم فى منتصف الصالة، حيث تقع أسفله غرفة مخزن (الغلة) وفى نهاية الصالة توجد بوابة كبيرة للعبور إلى الجزء الخلفى من البيت، وفيه الحمام وفرن الخبيز ومنطقة مكشوفة للشمس (تستخدم فى عملية اختمار العيش الشمسى، وأيضا فيها (مساطيح) الدواجن والحيوانات المنزلية، وموقع تخزين المياه.

بينما يضم الطابق الثانى رواقين مطلان على الشارع، ومجموعة من الغرف التى تستخدم للنوم لأفراد الأسرة على جانبى الصالة العلوية التى يطلق عليها اسم (المجلس).

وعادة ما يكون السطح فى الطابق الثالث، على اتساع رقعة البيت، ولم تختلف استخدامات السطح عن الوظيفة التقليدية له فى السابق، النوم صيفا، وحفظ وتجفيف المحاصيل، ونشر الغسيل...!!

عمارة العمل

تتمثل عمارة العمل فى مخازن المحاصيل والغلال والأعلاف، وأماكن إيواء الحيوانات والدواجن والطيور المنزلية، وهى تنقسم - طبقا لموقعها ـ إلى قسمين :

الأول هو ما يقع منها مجاورا وملاصقا للمسكن، أما الثانى فيكون عادة فى المناطق الزراعية، والتى تقع ـ كما ذكرنا ـ بعيدا عن الكتلة العمرانية للواحة، حيث يرتبط موقعها بأماكن الآبار المتناثرة فى الصحراء.

النوع الأول، المجاور للمسكن، والذي بدأ في الاندثار تدريجياً بسبب منع جهات الإدارة في المنطقة لهذه الظاهرة، بدافع الحفاظ على البيئة المحلية من التلوث، وقد كان هذا النوع من المساطيح (مفردها مسطاح وهو لفظ أمازيغي) ملاصقاً للمسكن، وتبنى جدرانه من (كسر الطوب اللبن) من مخلفات بناء المسكن، ويرتفع الجدار إلى حوالي مترين ونصف المتر، وتعلو الجدران (تروس) من أطراف جريد النخل، المغروسة في طبقة طينية لتثبيت أعلى الحوائط بغرض منع التسلق، وللمسطاح بوابة كبيرة من الجريد باتساع يسمح بدخول الأبقار، وأحمال الأعلاف اللازمة لها.

وغالباً ما ينقسم المكان إلى جزء كبير مكشوف في المقدمة وأماكن أخرى مغطاة بأسقف من الخوص بأسلوب بدائي بسيط تستخدم المساحة المكشوفة في تخزين (الدريس) وهو البرسيم الحجازي الجاف (القيض)، بالإضافة إلى التبن، وقش الأرز، وهي المواد التي يكون خليطها علفاً للأبقار والدواب.

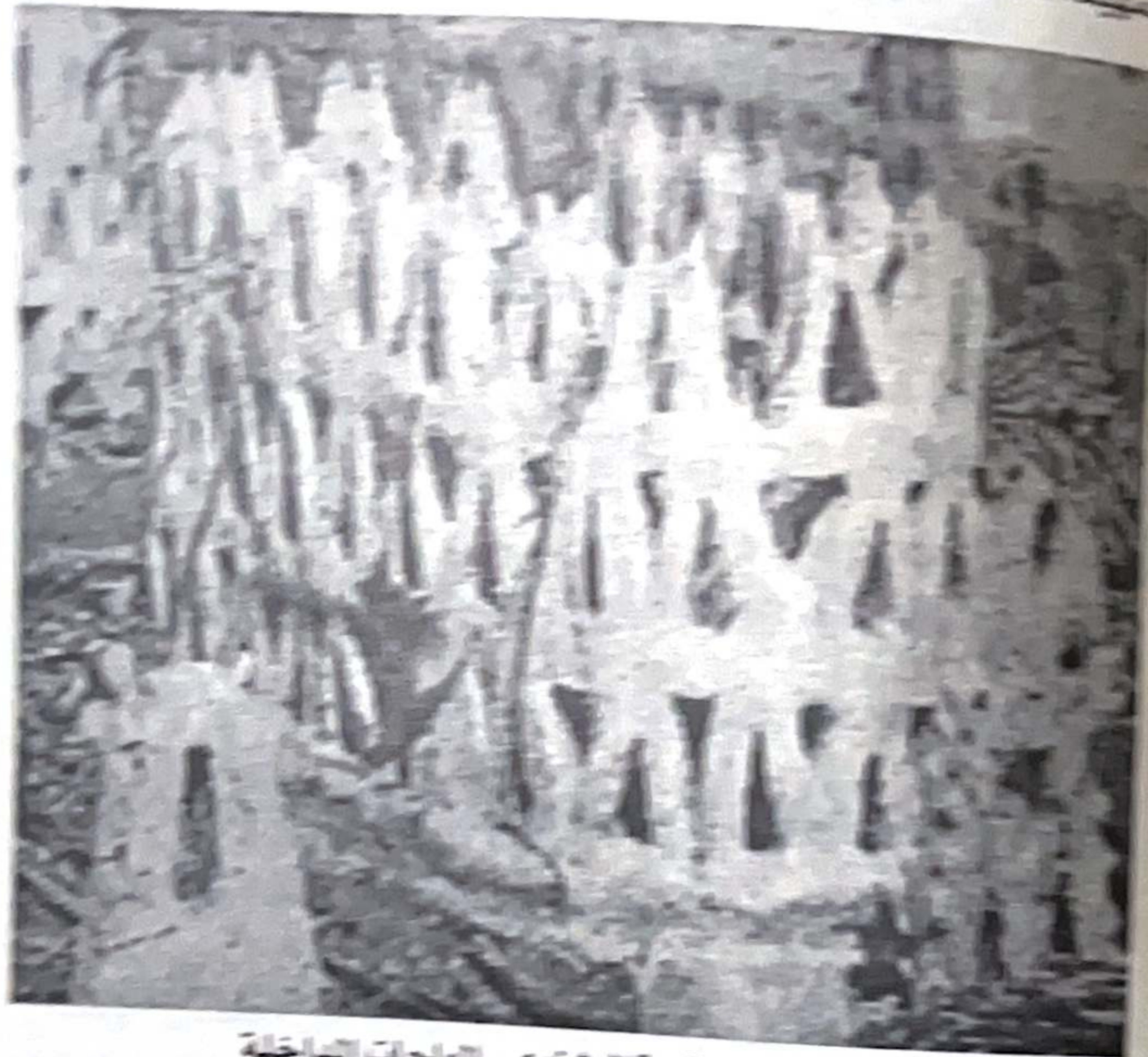
أما الأجزاء المغطاة فتستخدم في مبيت الحيوانات لحمايته من برد الشتاء، وحرارة الشمس الشديدة.

وغالباً ما تختص المساطيح المجاورة للمساكن بإيواء الحيوانات التي كان يخشى عليها من السرقة التي كان يقوم بها البدو (العربان) المقيمون على أطراف كل واحة، وأيضاً كانت تأوي الأبقار في مرحلة الحلب، حيث تتم هذه العملية (حلب الأبقار) قبيل الغروب يومياً وهي - في الغالب - مهمة تقوم بها النساء.

أما النوع الثاني، فهو مسطاح الغيط (المجاور لموقع الآبار الزراعية)، وهو عادة ما يشيد على مساحة واسعة، تتناسب غالباً مع حجم الملكية في البئر، ولأن مساطيح الغيط تقام على مساحات

كبيرة فإنها تتسع لكافة الأنشطة مثل تربية أكبر عدد من الحيوانات ومخازن الأعلاف وأدوات الزراعة، وتشيد جدرانها من الأحجار (الكرفوش) التي يطلق عليها في واحة سيوة اسم (الكرشيف) ويحصل عليها الفلاحون من الأرض التي تعرضت لمياه الصرف الزراعي (المالحة) بعد جفافها بفعل حرارة الشمس.

هناك أيضاً ما يطلق عليها (الجرسة) وهي المساحة التي تستخدم في درس وتذرية المحصول، لفصل الحبوب عن العيدان، وهي تجاور مسطاح الغيط، بمساحة لا تقل عن ١٠٠ م مربعة الشكل، في أحد أركانها حوض مربع بعمق حوالي ٤٠ سم للحبوب، بينما تبقى المساحة الكلية الباقية لفرش جرن المحصول ليجف تمهيداً لعملية الدراس والتذرية.



عمارة المقابر ـ قرية البشندي ـ الواحات الداخلة

٢- الحرف التقليدية

حرفة منتجات الخوص

ثروة النخيل

فى مصر ثلاثة عشر مليونا من أشجار النخيل (إحصاء ٢٠٠٧ وزارة الزراعة) منزرعة فى مساحة ٧٣٦٥٣ فدانا تمثل ٦,٣٢) من إجمالى المساحة المنزرعة بالفاكهة فى مصر، تضم الواحات المصرية الخمس ما يوازى خمسة ملايين نخلة موزعة على التوالى بين الواحات البحرية، الواحات الداخلة، الواحات الخارجة، ثم سيوة وتأتى واحة الفرافرة فى ذيل القائمة.

بينما تتوزع الملايين الثمانية الباقية على التوالى فى مناطق جنوب الجيزة (البدرشين والعياط)، قنا، غرب أسوان، النوبة، وفى منطقة رشيد ثم منطقة الفيوم. وبرغم الانتشار الواسع لأشجار النخيل عبر الخريطة المصرية، فإننا لا نجد ازدهارا للصناعات القائمة على منتجات النخيل سوى فى الواحات الداخلة، الفيوم، النوبة، سيوة.

وفى الواحات الداخلة (مليون وربع المليون نخلة) لاتزال المنتجات من هذه الحرف تحافظ نسبيا على وظيفتها المحلية بالإضافة إلى جانب التسويق السياحى (النادر نسبيا) بينما نجد أن نفس المنتجات فى الفيوم والنوبة وسيوة قد اقتصرت على التسويق السياحى فقط مع ضعفه الشديد.

والصناعات التقليدية القائمة على منتجات النخيل يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيين هما منتجات الخوص (السعف) ومنتجات الجريد، ويأتى ليف النخيل كخامة مساعدة فى هاتين الصناعتين.

وتأتى أهمية الحرف اليدوية القائمة على الخوص فى منطقة الواحات الداخلة لأسباب منها:

١ - أن صناعة السلال من خوص النخيل هى من أقدم الحرف اليدوية فى مصر منذ عصر ما قبل الأسرات.

٢ - أن منطقة الواحات الداخلة هى أكثر المناطق ممارسة لهذه الحرفة القائمة على النساء فقط، وهى تنتج تنويعات مختلفة فى الشكل والحجم والوظيفة من منتجات الخوص، فضلا عن حفاظ الجماعة المحلية على استهلاك هذه المنتجات.

٣ - إن ممارسات هذه الحرفة لا يستخدمن أية خامات من خارج المنطقة.

٤ - تقدم المرأة الممارسة لهذه الحرفة فى مجال الإبداع التشكيلى فى زخارف المنتجات.

٥ ـ تنوع أشجار النخيل فى منطقة الداخلة يتيح لهذه الصناعة نوعيات مختلفة من السعف طبقا لما تتطلبه خامة المنتج، بالإضافة إلى منتجات سعف النخيل بالمنطق نظرا للثقافة الزراعية فى مجال النخيل التى يتميز بها أبناء هذه المنطقة تحديدا.

منتجات الخوص

الخوص / السعف هو أوراق النخل التى تنمو على جانبى جزع الجريد الذى يتراوح طول الواحدة منه من ٥ ـ ٨ أمتار، بينما يتراوح طول الخوصة من ٢٠ ـ ٤٠ سم.

والحصول على الخوص يتم عند إجراء عمليات التلقيح والتقليم (التهذيب) السنوية للنخلة والتى تتم بين شهرى مارس وأبريل وفيها يتم قطع عدد من الجريد الخارجى (الأخضر) بواقع من ٥ ـ ٧ جريدة بينما يتم قطع عدد من الجريد الداخلى (الأبيض) بواقع من ٤ ـ ٥ جريدة والجريد الأبيض يسمى (قلب) وذلك لاقترابه من قلب رأس النخلة ولونه أبيض ناصع.

ومع تقليم الجريد الأخضر الخارجى يستخرج خام الليف المحيط بجزع النخلة.

وما يتم تقليمه سنويا يعد الخامات الأساسية فى صناعة الخوص على مدار العام، أو هكذا يجب.. ذلك لأن مايتم تصنيعه من هذه الخامات لا يزيد على ٢٠٠ فى المليون مما يتم تقليمه، ولإيضاح ذلك نذكر :

ان منطقة الواحات الداخلة (موضع الدراسة) بها حوالى ٩٣٥ الف نخلة ومعنى ذلك أنه يتم الحصول على حوالى ١١ مليونا من الجريد الأخضر، وحوالى تسعة ملايين من الجريد الأبيض، ما يتم توظيفه فى صناعات الخوص لا يزيد على ثلاثة آلاف جريدة بيضاء وحوالى أربعة آلاف جريدة خضراء، أما الكميات الهائة المتبقية من هذه الخامات فيتم التخلص منها بأسلوب الحريق، تماما مثلما يتم التخلص من (قش الأرز) فى مناطق وادى النيل.

وتعود أسباب تدهور توظيف هذه الخامات إلى نمط الحياه الحديثة بداية من العمارة التى لم تعد تعتمد فى أسقفها على جريد النخل، وحتى الأوعية البلاستيكية التى تسهم فى إزاحة أوعية الخوص من أماكن استهلاكها، وانتهاء بعربات الكارو التى استغنى معها الفلاح عن " المقاطف " التى كانت تحملها الدابة محملة بالعلف الأخضر والمحاصيل والخضر فى رحلة الحقل اليومية.

وتعتمد صناعة الخوص بصفة عامة على خامات الخوص الأبيض والأخضر (ولكل منتجاته) وخام الليف لصناعة الحبال التى توظف فى عمل قاعدة المنتج (التقعيرة) والحمالات (الأذن) وصناعة الخوص هى حرفة أنثوية لا يؤديها فى الواحات سوى النساء فقط فى المنازل وليس خارجها.

يخصص الخوص الأبيض لصناعة المنتجات ذات الاستخدام المنزلى، بينما يستخدم الخوص الأخضر لصناعة المنتجات الخاصة بالعمل الزراعى وأعمال البناء.

• **خطوات الصناعة: أولا / المنتج الأولى:**

١ـ قطع الجريد فى مواسم التقليم ثم يتم سلخ أوراق الجريد (الخوص) عقب التقليم مباشرة.

٢ـ عادة ما يستخدم الخوص الأخضر وهو فى حالة الليونة الطبيعية، بينما يمكن تجفيف الخوص الأبيض لاستخدامه وقت الحاجة إلى تشغيله.

٣ـ عند التشغيل يتم وضع الخوص فى المياه لمدة يومين، ثم يوضع داخل لفافات من ليف النخيل حتى لا يتعفن.

٤ـ شق الخوصة طوليا إلى فلقتين أو ثلاثة أو أربعة طبقا لدقة الضفيرة المطلوبة للمنتج.

٥ـ تجرى عملية التضفير لفلقات الخوص، والضفيرة إما ثلاثية أو رباعية أو خماسية طبقا لعرض الضفيرة المطلوب، ويكون طول شريط الضفيرة طبقا لحجم المنتج المطلوب.

٦ـ تجهز فلقات الخوص الدقيقة جدا للاستخدام كخيوط ربط وحياكة الضفيرة ببعضها بإبرة معدنية يختلف سمكها حسب ضيق واتساع عرض الضفيرة، تسمى هذه الإبرة (مسلة).

٧ـ تتم حياكة الضفيرة بداية من قاعدة المنتج ثم إلى أعلى وطبقا للشكل المطلوب للمنتج وحجمه.

٨ـ إذا كان للمنتج غطاء، فإن حياكة ضفيرة الغطاء تتم من أعلى إلى أسفل أى من قمة الغطاء أولا.

٩ـ وضع خام الليف فى الماء لمدة يوم لإكسابه الليونة المطلوبة لسهولة التجهيز.

١٠ ـ تنظيف لفافات الليف وتسمى هذه العملية (المشق) أى إعداد أجزاء الليف بشكل طولى (ممشوق).

١١ـ تقسيم اللفافات إلى أجزاء صغيرة وتسمى (السمسرة).

١٢ ـ فتل الأجزاء الصغيرة لتكون حبالاً بالسمك المطلوب طبقا للمنتج النهائى.

١٣ـ تثبيت الحبال على جدار المنتج لعمل " تقوية " للقاعدة وحمايتها بواسطة خيوط من الليف الدقيق والإبرة (المسلة) ثم تثبت حبال رباط الغطاء بالجسد وتمتد لعمل أجزاء الحمل (الأذن).

١٤ـ عملا لزخارف، وهى التى يجب تناولها تفصيلا.

ثانيا: زخارف منتجات الخوص.

ترتبط الزخارف فى منتجات الخوص بصفة عامة بوظيفة المنتج، فالزخارف من حيث المبدأ لا تتم إلا على منتجات الخوص الأبيض، ذات الاستخدام المنزلى، وتأخذ الزخارف أهمية بالغة فى المنتجات ذات الارتباط بمناسبات احتفالية مثل مناسبات الزفاف واحتفالات عاشوراء.

وفى هذه المنتجات ترى الزخارف أشد كثافة فى وحداتها، مع تعدد ألوانها المبهجة، ودقة تنفيذها.

ومن هذه المنتجات التى تدخل فى احتفالية الزواج " شادوفة اللحم "، بدارة العشا، برش العروسة، النقيصة..

أما فى مناسبة عاشوراء فإن كل أسرة تصنع لأطفالها " قادس " لكل طفل توضع به دجاجة وعدد من البيض المسلوق، وفطائر، يقوم

الأطفال بتعليق قوادسهم فى الشارع منذ الصباح وحتى بعد صلاة الظهر ليأكلوا محتوياتها جماعات.

وعلى قدر ما تكون دقة وجمال زخارف القادس يكون التقييم الفنى للمارة فى شوارع الواحة.

الخامات المستخدمة فى الزخارف :

تستخدم الخيوط القطنية والحريرية فى كافة الزخارف وتنفذ بالإبرة. أما منتجات الخوص فى قرية القصر فالزخارف تنفذ بأشرطة من القماش عرضها فى حدود ٢/١ سم، وهى تضفر مع لحمة الخوص.

وتتميز قرية القصر بالواحات الداخلة بتصنيع منتجات خوصية بشكل وأسلوب مختلف، حيث يعتمد المنتج الخوصى على تقوية قوامه بإدخال هيكل من خام عرجون البلح بعد تطويعه بالماء ثم تضفر عليه فلقات الخوص بصورة رأسية لتكسية الهيكل وربطه، وبذلك تكون منتجات قرية القصر هى الأقوى والأمتن والأطول عمرا.

وبهذه الطريقة تصنع شنط الخوص بأحجامها المختلفة (ما هو موضح بالصور) ويستخدم نفس الأسلوب فى صناعة أطباق الخوص بمقاساتها المختلفة والتى تسمى (طوف) وهى تستخدم كصوان للطعام، أو أغطية لحفظ العيش الشمسى.

المنتجات المحلية

أولا : استخدام منزلى : (من الخوص الأبيض)

١ـ البدارة، وهى وعاء مخروطى الشكل بارتفاع حوالى ٥٠سم، ويبلغ قطر الفوهة حوالى ١٥٠سم، بأذنين من حبال الليف، وله

أيضا قاعدة مقواة بحبال الليف (تقعيرة) تستخدم البدارة فى حمل وحفظ حبوب القمح والأرز قبل وبعد الطحن، وكذلك فى حفظ الخبز الشمسى لمدة تصل إلى أسبوع. ومن المدهش أن الأوعية البلاستيكية لم تصلح للإحلال بدلا من البدارة فى مهمة طحن الحبوب، بسبب تأثر دقيق الطحين الذى ينزل (من المطحن) ساخنا، فيتفاعل مع المادة البلاستيكية، مخلفا رائحة ضارة بالدقيق، مما يجعل البدارة هى الوسيلة الأفضل والأصح لحمل الدقيق.

٢ـ النقيصة، هى الحجم الأصغر من البدارة، وتستخدم فى ذات المهام، ولكن فى الكميات الأقل، بالإضافة إلى استخدام النقيصة فى حمل وتوصيل عشيان المواسم، كما هو وارد فى باب العادات.

٣ـ الشادوفة، وهى أصغر قليلا من النقيصة، وقاعدتها ليست مستديرة، بل منبعجة، وكذلك الفوهة، ولها حمالة مفردة (عبارة عن حبل واحد) من جانبى الفوهة، وتستخدم الشادوفة فى حمل الخضر واللحوم والفاكهة من السوق، وعليها الزخارف التقليدية.

٤ـ القادس، وله وظيفة أساسية فى احتفاليات عاشورة (ما يأتى بيانه فى الحديث عن العادات والتقاليد) حيث يصنع لكل واحد من أهل البيت من الصبية والبنات قادس يعلقونه فى الشارع فى هذه المناسبة، وهو يحمل أجمل الزخارف وأبهى الألوان، والقادس أسطوانى الشكل بارتفاع يصل إلى ٣٥سم،و له غطاء وقفل من حبال الليف يسمى (بوشناق) ومفصلتان من الخلف، وحمالة (علاقة) للحمل والتعليق، يستخدم القادس ـ إضافة إلى الاستخدام المنزلى ـ فى حمل وجبة الفلاح إلى الحقل، وفى واحات أخرى يسمى القادس باسم المرجون أو الملقون.

٥ـ برش الغلة، وهو وعاء خوصي مسطح يصل اتساع قاعدته إلى ١٢٠سم وله جدار يرتفع إلى ٢٠سم، يستخدم في فرش الحبوب لتجفيفها، وتنقيتها من الشوائب، وكذلك أعمال غربلة الحبوب والدقيق، وله أذن صغيرة للتعليق على الحائط.

٦ـ برش الصلاة، وهو يشبه في مساحته (المصلية) وعليه زخارف تناسب وظيفته، وقد كان هذا النوع من الأبراش يستخدم في فرش مصاطب السقيفة لجلوس كبار السن وقت القيلولة.

ثانيا : استخدام أدوات العمل : (من الخوص الأخضر)

١ـ القطف، وهو الوعاء الذي يستخدم في أغراض خدمة الزراعة وأعمال الحقل، وحمل أعلاف الماشية والدواب، والاثنان منه يحملان على ظهر الدابة، يقال لهما (الحمل)، والقطف يشبه البدارة (التزلية) في الحجم ولكنه من ضفائر الخوص الأخضر ذات الخوصة الواسعة، وبلا زخارف.

٢ـ الشمسية، وهي غطاء الرأس الدائم في الواحات الداخلة، صيفا وشتاء، ونهارا وليلا، وهي من العلامات المميزة للرجال في المنطقة، بل أيضا والنساء ممن يترددن على الحقل بصفة يومية، أو على سوق المدينة، وذلك بسبب حرارة الشمس الدائمة.

٣ـ الميهة، وهي عبارة عن القطف في صورة ضخمة، يستخدم الزوج منها في حمل التبن والدريس (مازاد حجمه وقل وزنه)

٤ـ برش الغلة، وهو دائري الشكل، يبلغ نصف قطره حوالي ١٥٠سم، مقوى بقاعدة من حبال الليف، وله أذنان للتحميل على ظهر الدابة (زوجيا) يستخدم في نقل عيدان المحاصيل من موقع الحصاد إلى مكان الجرن.

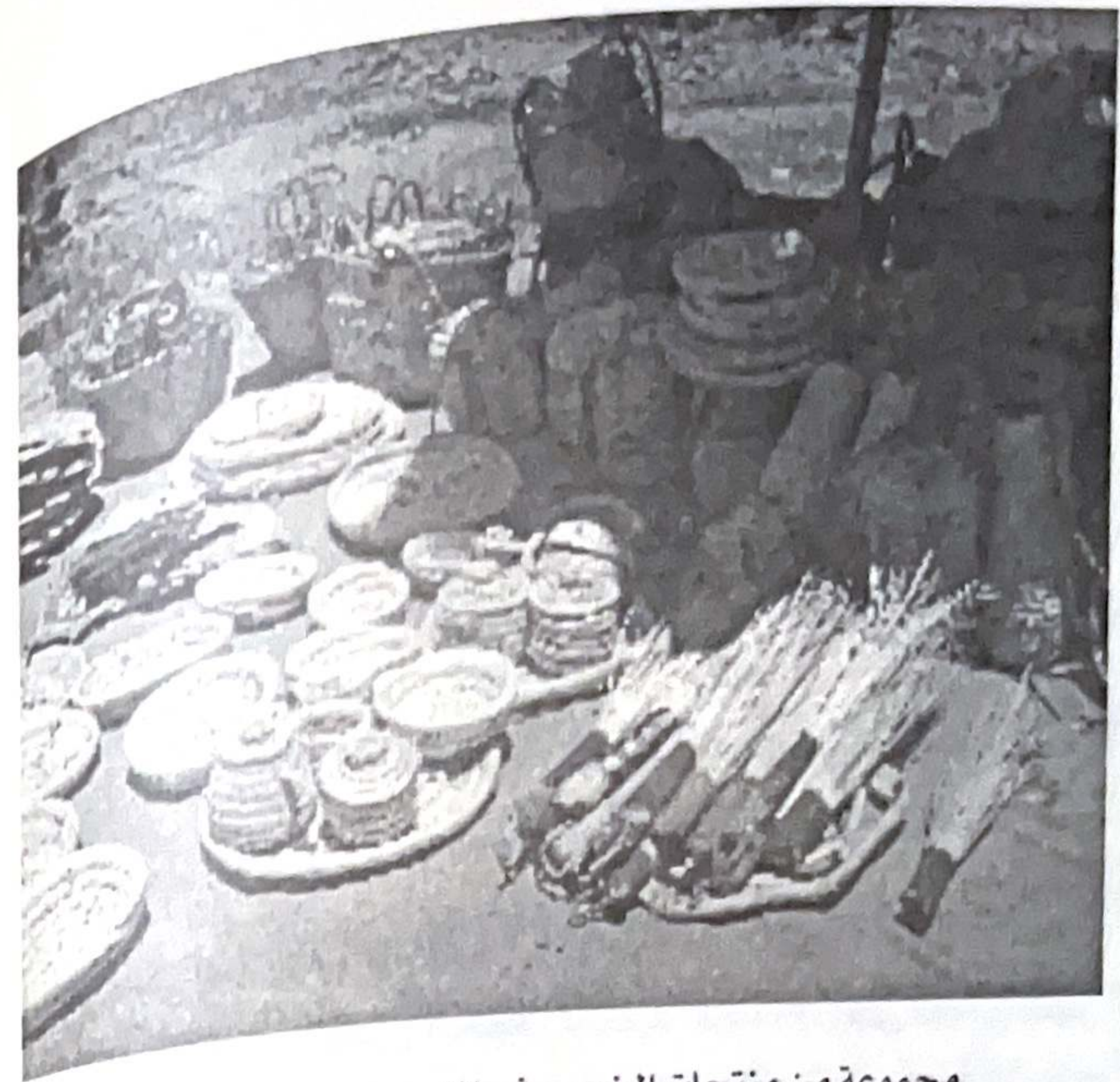
٥ـ برش الطين، وهو يشبه في شكله برش الغلة، مع صغر مساحته التي لاتتعدى أكثر من ٦٠ سم (نصف القطر) ويستخدم في نقل الطينة المختمرة من مكان (المعجنة) إلى موقع ضرب الطوب اللبن- وهو من أدوات العمل في العمارة الشعبية في الواحات.

٦ـ برش اللكاف، واللكاف هو سرج الحمار الذي يستخدم في التحميل والركوب، وهو في الداخلة يأخذ شكلا وتكوينا مغايرا عما عداها من المناطق الأخرى،ويدخل البرش في تكوينه، حيث يكون هو الفرشة العلوية للحمل والراكب، وهو غالبا ما يكون مقوى من السطحين العلوي والسفلي بحبال الليف الرفيعة، لإطالة عمره الافتراضي.

٧ـ البدايد، ومفردها(بدّة) وهي من مكونات اللكاف، وتكون منها اثنتان على جانبي الحمار بمثابة المخدات التي تحمي ظهر الدابة، والبدايد لها وجهان، الخارجي من الخوص، والداخلي من القماش، والاثنان يكونان كيسا يعبأ بالليف، لذلك يضفر الجانب الخارجي بفتحة في وسطه لتعبئة حشو الليف. وتكون البدايد بطول ٥٠سم في ارتفاع ٤٠سم.

٨ـ حزام النخل، وهو مسطح خوصي مستطيل الشكل مثبت في جانبيه حزامين من حبال الليف القوية للربط في وسط جسم طالع النخلة، والمستطيل مكسو بحبال الليف من الوجهين لزيادة التحمل.

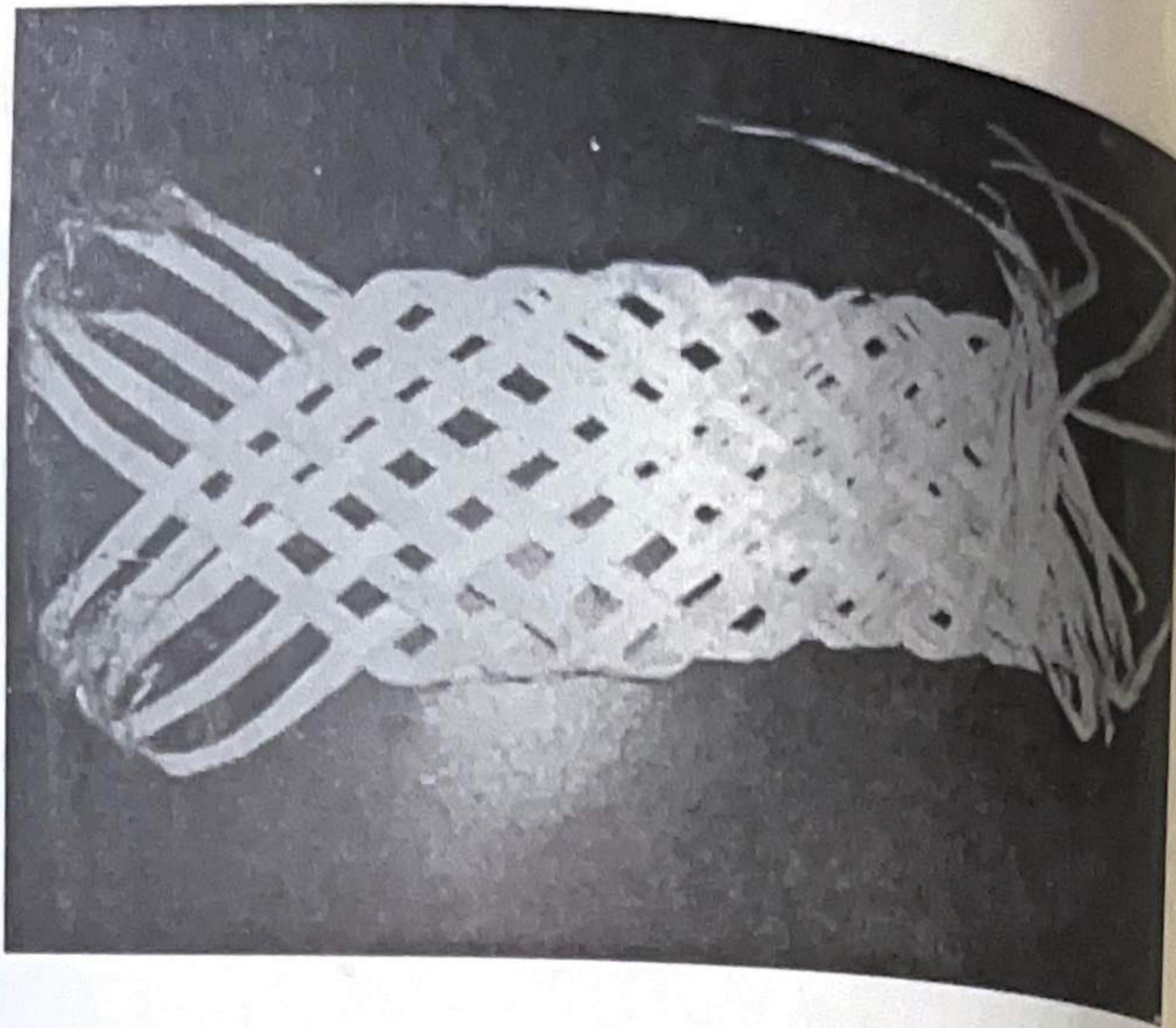
٩ـ الصوصل، وهو عبارة عن وعاء خوصي يتوقف عرضه على عدد الخوصات الزوجية المكونة له،بينما يرتبط ارتفاعه بطول الخوصة، وغالبا ما تستخدم فيه سبع خوصات زوجية، ويستخدم الصوصل في تعبئة البلح، ويتسع لعبوة كيلوجرام واحد، ويغلق بعد التعبئة بربط أطراف الخوص من أعلى الصوصل.



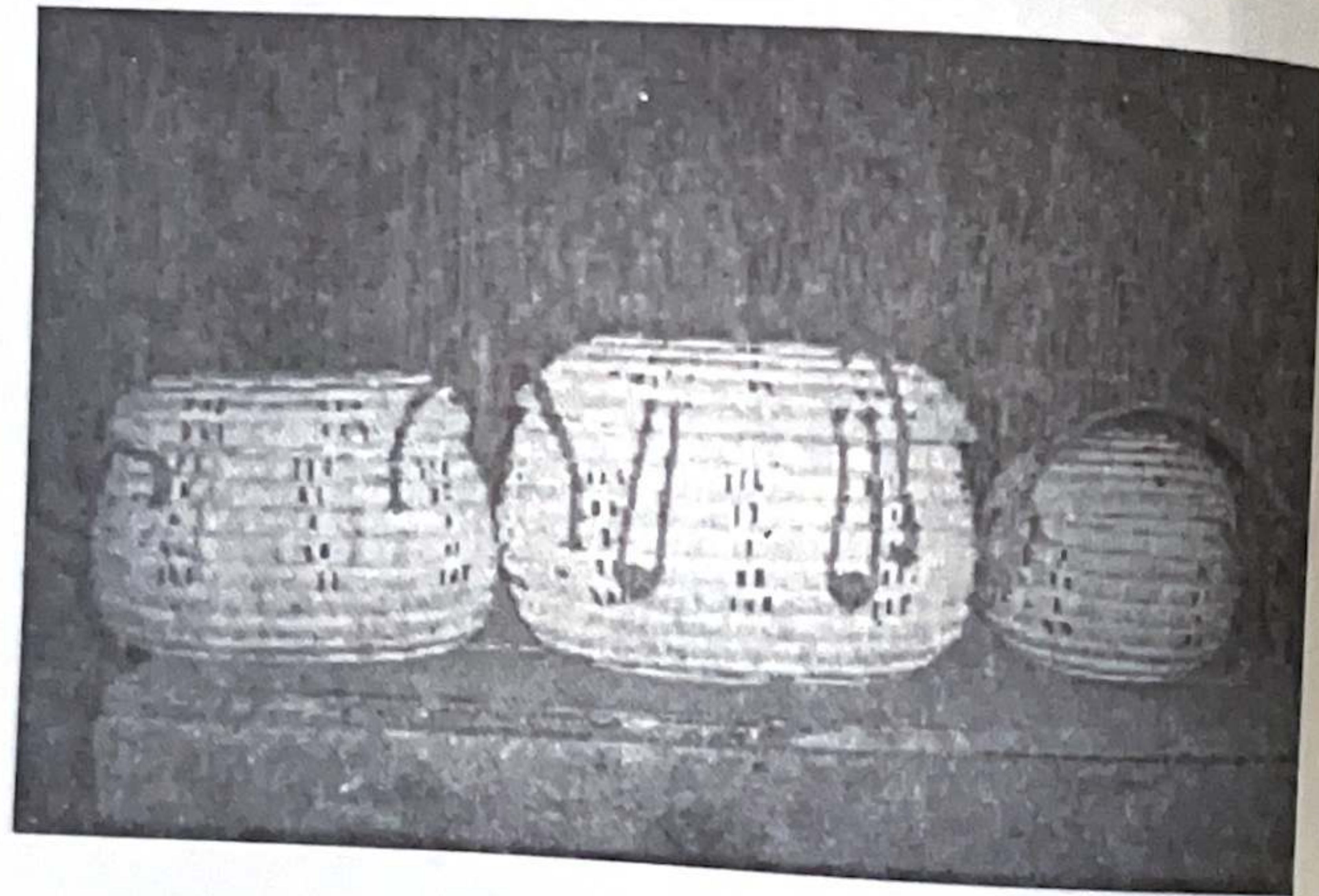
مجموعة من منتجات الخوص فى القصر . الواحات الداخلة



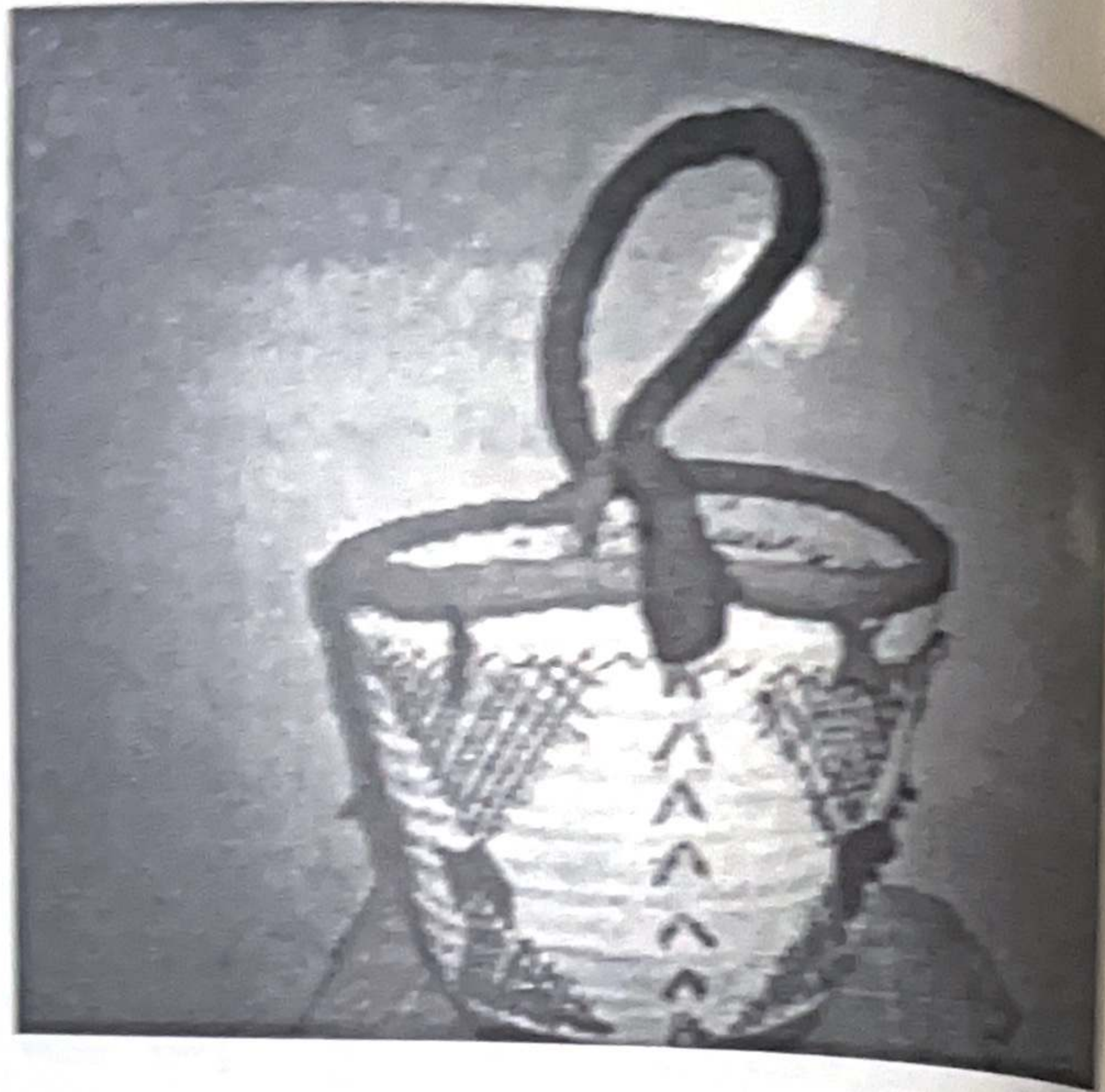
شكلان من النقيصة بالزخارف - موط . الداخلة



الصوصل - وعاء من الخوص يسع لكيلوجرام واحد من البلح



نماذج من شنط الخوص - القصر - الداخلة



شانوقة للحم من الخوص ـ موط ـ الداخلة

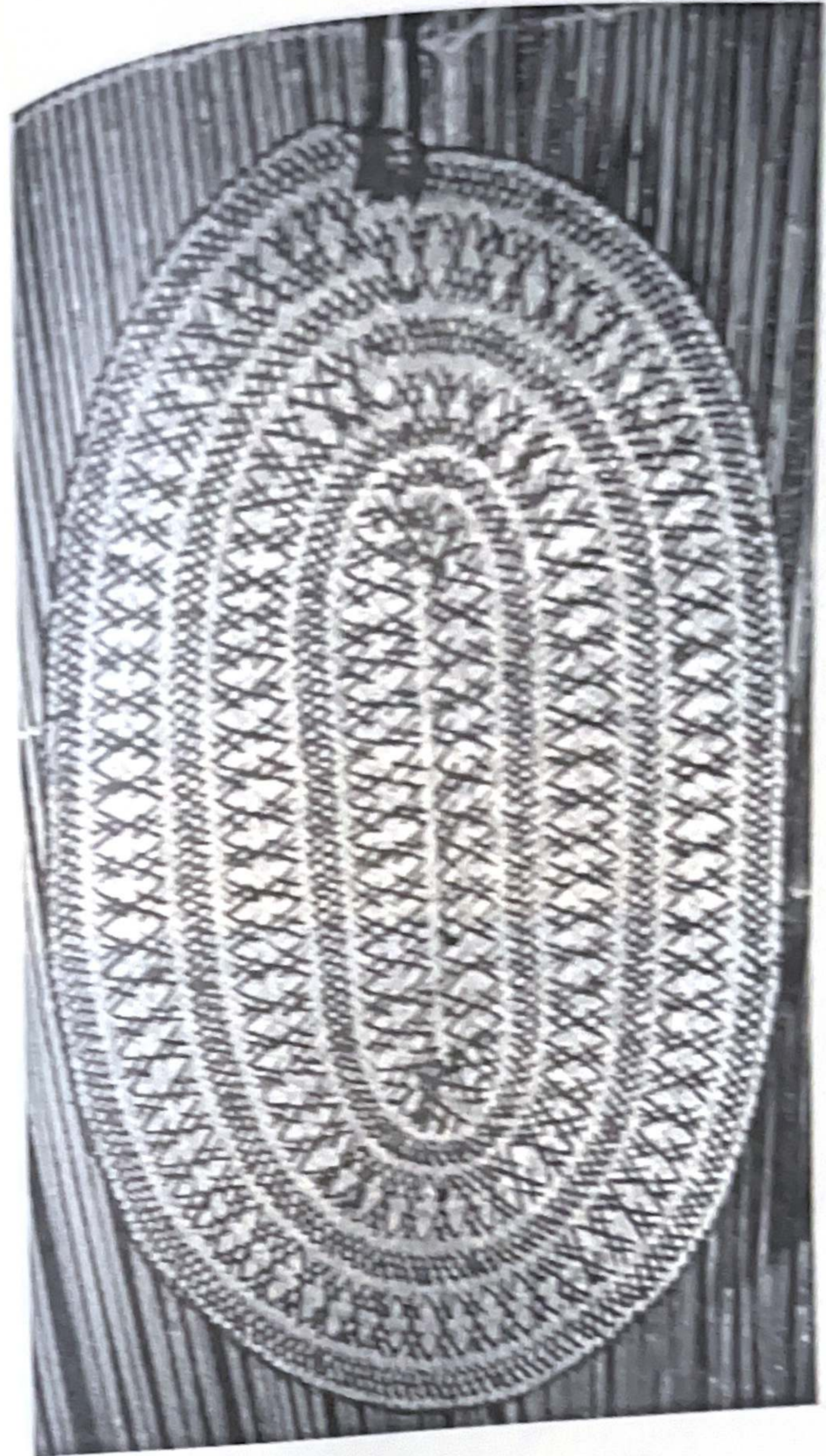
مشكلات حرفة منتجات الخوص

أولا : ضيق القدرة الاستيعابية للسوق المحلية عن الطموح فى خطة التوسع فى حجم انتاج الخوص.

ثانيا : ثبات الأشكال والأحجام للمنتجات طبقا لوظائفها التقليدية مع عدم وجود أية ابتكارات جديدة سواء فى الشكل أو الوظيفة أو استحداث منتجات جديدة.

ثالثا : مزاحمة العديد من المنتجات البلاستيكية البديلة لمنتجات الخوص ومنافستها فى الأسعار.

رابعا : قلة عدد النساء ممن يمارسن هذه الحرفة لغياب عنصر التدريب وتوريث الحرفة للشابات من الفتيات.



مصلية من الخوص ـ موط ـ الداخلة

خامسا : عدم وجود وظيفة لمنتجات الخوص خارج مجتمعات الواحات.

سادسا : ارتباط هذه الحرفة بالأميات من النساء، لا يشجع صغار الفتيات ممن يسعين إلى التعليم، على مزاولة الحرفة.

سابعا : عدم انخراط السيدات الحرفيات فى تنظيم مؤسسى يفقد الحرفة نظاميتها وبالتالى فقدان الآلية الواجبة للعمل والتطوير.

ثامنا : عدم ارتباط المنتجات بالسوق السياحية، برغم وجود حركة سياحية فى المنطقة، وذلك لأن التسويق يتم من المنازل وأيضا لأن الإنتاج يكون دائما مرتبطا بطلب المستهلك.

تاسعا : عدم المشاركة فى معارض سواء محلية أو خارجية لفردية الإنتاج.

عاشرا : عدم ارتباط هذه الحرفة بالمؤسسات التعليمية فى المنطقة (مثل المدارس الزراعية)، مع وجود مواد تدريبية فى هذه المؤسسات لا علاقة لها بالبيئة.

حادى عشر : عدم الرعاية الحكومية لهذه الحرفة سواء بالعون العلمى أو التسويقى.

ثانى عشر: عدم فصل حرفة الصناعة عن حرفة الزخارف (التمشيط) يضعف من الجودة الجمالية.

ثالث عشر: غيبة الدراسات العلمية والفنية لهذه الحرفة وبالتالى غياب المعلومات وركائز وقواعد التطوير، فضلا عن غياب البيانات الرصدية للواقع الحالى.

رابع عشر: عدم التفات المؤسسات الحكومية لأهمية هذه الحرفة، مع غياب المؤسسات الأهلية عن الساحة فى هذا المجال.

مقترحات النهوض بالحرفة

ليس هناك بد من التركيز على أن تطوير الحرف اليدوية لا مناص منها إذ تمثل جانبا كبيرا من الصناعات الصغيرة، تسهم فى معالجة بعض المعضلات الاقتصادية من أجل رفع المستوى المعيشى لأفراد مجتمع الحرفة، وذلك من خلال الحد من مشكلة البطالة، وتوظيف الإمكانات المتاحة من خامات متوفرة، وتوفير فرص عمل لتشغيل نسبة كبيرة من الأيدى العاملة وخاصة المرأة فى المجتمعات الصحراوية النائية، خاصة أن حرفة الصناعات القائمة على منتجات النخيل لا تحتاج إلى رءوس أموال كبيرة، بالإضافة إلى تحريك عجلة السياحة فى مناطق الحرفة.

وكما ذكرنا فإن حرفة صناعة الخوص لم تنل حظا كما نالت حرف أخرى مثل الكليم والسجاد، والخزف... إلخ

وذلك بسبب العزلة الجغرافية لمناطق الممارسة عند بؤرة الضوء فى العواصم الكبرى، وبالتالى فإن هذه الحرفة لم تحظ بالرعاية والاهتمام والتنمية فضلا عن الإعلام والتطوير.

وما نهدف إليه فى هذه الدراسة فى الأساس هو إلقاء الضوء على هذه الحرفة المهمة والتى يمكن أن تشكل رافدا جديدا من الروافد الاقتصادية الجديدة للحرف اليدوية فى مصر، بل إننا نعتبر أنها يمكن أن تكون قيمة مضافة جديدة لحزمة الحرف اليدوية التى نحاول تنميتها وتسويقها فى الداخل والخارج، لذلك فإننا نعتقد أن حداثة الفكرة والموضوع يمكن أن تتضمن سر نجاحها المأمول.

أولا : انشاء قاعدة البيانات، تتضمن الموقف الراهن لهذه الحرفة قبل البدء فى التطوير وتشمل:

١ـ حصر الخامات المستخدمة وحجمها وأماكنها ومدى جودتها وكلفتها المالية بالنقل.

٢ـ حصر الأيدى العاملة فى مجال الحرفة وبياناتهم الشخصية كاملة وبيان منتجاتهم وخريطة توزيعهم فى المنطقة.

٣ ـ ترتيب الأيدى العاملة من حيث جودة الإنتاج والإمكانات الإبداعية الفردية.

٤ـ حساب ساعات العمل لكل منتج على حدة ولكل مزاول للحرفة وحساب تكلفة المنتج الواحد.

٥ـ وضع التسويق الراهن وأساليب الترويج المتبعة محليا.

٦ـ حصر ودراسة المحاولات الفردية والحكومية للنهوض بالحرفة للوقوف على تقييمها.

٧ـ بيانات إحصائية للمنتجات خلال وحدة زمنية للقياس ومناطق التوزيع ومعدلات الاستهلاك.



سيدات يمارسن تضفير الخوص - موط - الواحات الداخلة

حرفة منتجات الجريد

تتوزع أشجار النخيل فى مصر على معظم المناطق المصرية، الا أن الواحات المصرية الخمس (الداخلة والخارجة والبحرية وسيوة والفرافرة) تضم حوالى ٦٠٪ من نخيل مصر، بينما تتوزع النسبة الباقية على مناطق جنوب الجيزة، ورشيد، والفيوم، وجنوب الصعيد (غرب أسوان)

والمتتبع لحركة النمو فى أعداد النخيل فى مصر، يلاحظ أنها ترتفع فى الواحات خاصة الداخلة والخارجة والبحرية، بسبب اقتصاديات ثمار البلح التى تتميز بشدة فى هذه المناطق، بينما ينخفض منحنى النمو فى باقى مناطق النخيل بسبب التخلص التدريجى من الأشجار للامتدادات العمرانية، مع انخفاض الجدوى الاقتصادية لنوعيات ثمار البلح المنتج، وهو ما يتمثل فى مناطق مثل المرج (شرق القاهرة) والعريش بشمال سيناء.وجنوب الصعيد الذى يتخلص من النخيل لتحل الزراعات المحصولية بدلا منها.

على الجانب الآخر،وعلى مستوى حرفة منتجات الجريد، فإننا نلحظ تباينا نسبيا بين مناطق إنتاج الخام (جريد النخل) من ناحية، وأماكن توطن الحرفة من ناحية أخرى، فبينما تنتشر أشجار النخيل بكثافة مرتفعة فى الواحات عموما، فإننا لا نجد الحرفة سوى فى الواحات الداخلة فقط، وتحديدا فى مدينة موط، حيث تقوم الواحات الأخرى بالتخلص من الجريد الناتج عن أعمال التقليم الموسمية إما حرقا، أو ببيعه بأسعار زهيدة للغاية للحرفيين فى الفيوم وهى المنطقة التى تحتل المرتبة الأولى فى مصر من حيث

حجم الإنتاج وتعدد المنتجات، وعدد السكان الممارسين للحرفة، وبالتالى، حجم الناتج المحلى من الإيرادات المالية، ففى قرية العجميين التابعة لمركز ابشواى بمحافظة الفيوم ـ مثلا ـ نجد أن حوالى ٨٠٪ من القوة العاملة تعمل فى حرفة صناعة أقفاص تعبئة الفاكهة والخضراوات، حيث يصل إنتاج الحرفى الواحد إلى معدل ٥٠ ـ ٧٠ وحدة فى اليوم بنظام خط الإنتاج الجماعى، ويتراوح سعر الوحدة من ٣ـ٤ جنيهات.وتضم العجميين حوالى ٥٠٠٠ورشة لتصنيع الجريد ما بين الورش اليدوية، والأخرى الميكانيكية التى تقوم على تشغيل الجريد بطريقة الأرابيسك.

لذلك، نجد أن الفيوم تستورد كميات ضخمة من جريد الواحات البحرية وهى الأقرب جغرافيا، خاصة وأن تكلفة هذا الاستيراد لايزيد على أجورالنقل فقط، وذلك لأن كمية النخيل فى الفيوم لاتكفى لهذا الإنتاج الحرفى الضخم. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مصانع تعبئة البلح بالواحات البحرية تقوم سنويا باستقدام بعض الصناع من الفيوم لصناعة وترميم الأقفاص قبيل كل موسم، ولفترة مؤقتة.

كذلك تنتشر صناعة الأقفاص بكثافة فى المناطق المحيطة بالقاهرة الكبرى، شأن كل المدن (المتروبوليتانية) التى يضم حزامها كافة مناطق إنتاج الخضر والفاكهة التى تبتلعها الأسواق يوميا، فنجد، فى جنوب الجيزة قرى المتانيا وأبو النمرس وبعض قرى العياط، حيث تشكل هذه الحرفة النشاط السكانى السائد. كذا فى أطراف القاهرة الكبرى مثل المرج والخصوص، وبعض قرى طوخ، وكفر شكر.

واذا كانت الحرفة تقتصر- تقريبا- على انتاج الأقفاص التى يطلق عليها أيضا (عديات) فى المناطق التى ذكرناها، فهناك مناطق اخرى تضم نقاطا إنتاجية للأثاث المنزلى، مثل الواحات الداخلة والفيوم، وإن كانت الأخيرة أكثر انتاجا وتنوعا فى منتجات الجريد، نظرا لقربها من مراكز التسويق السياحى، خاصة القاهرة والجيزة، بينما تتميز الحرفة فى الواحات الداخلة بالاستجابة لمتطلبات البيئة، فنرى فيها مثلا صناعة مساكن الجريد المتنقلة التى تستخدم فى الحقول الزراعية، حيث التباعد بينها وبين الكتل العمرانية ، وهو ما تفرضه مواقع الآبار.

تأتى الأنشطة السياحية فى مقدمة الطلب الاستهلاكى لمنتجات أثاثات الجريد كمنتج محلى متميز، حتى أن أحد فنادق واحة سيوة ذات النجوم الخمسة، يستخدم منتجات الجريد فى كافة أثاثاته، داخل غرف الإقامة وخارجها، هذا فضلا عن المقاهى السياحية، ومظلات الحدائق العامة وأماكن الترفيه.

ومن أهم منتجات الجريد فى الواحات هى صناعة الأسقف فى البيوت المشيدة بالطوب اللبن وكذلك أسقف الطوابق الأخيرة فى المبانى الحديثة (المسلحة) اتقاء لارتفاع درجات الحرارة، وتسمى حرفة سقف الجريد (الحبك) ويقوم بها نجار جريد متخصص، كذلك تنتشر فى الواحات ظاهرة جراجات السيارات من الجريد، وأيضا أسوار البيوت والحدائق بالإضافة إلى أبواب الزرائب (المساطيح) ومخازن الأعلاف، التى عادة ما تتواجد خارج الكتلة السكنية. ومن المنتجات ذات الاستخدام المنزلى، عشش الدواجن بأحجامها المختلفة، وسلال المهملات المنزلية، وكثيرا

ماتجد سلال الجريد المعلقة على أعمدة الإنارة فى شوارع الواحات الداخلة .

خطوات الصناعة

أولا : الحصول على الخام

تجرى عملية تقليم النخيل (قطع الجريد الزائد) فى شهرى فبراير ومارس من كل عام قبل اجراء عملية التلقيح، وعادة مايتم تقليم ثلاثة أدوار من النخلة بواقع ثلاث جرايد للدور، فيكون الناتج السنوى هو ٩ جرائد من النخلة الواحدة، هذا بالنسبة للإناث من النخل، أما ذكور النخل فيمكن تقليمها فى أى وقت من العام - وبنفس الكمية - بعد استخدام طلعها فى تلقيح الإناث.

ثانيا : طرق الحماية

تكون الخطوة الأولى بعد قطع الجريد هى سلخ الخوص من الساق بعد قطع الجريد من النخل بيوم واحد فقط، وعادة ما تقوم السيدات والصبية من أسرة الحرفى بهذه المهمة.

والجريد بعد قطعه من النخيل يكون عرضة للتسوس شأن الأخشاب عموما، ولكن، ومن واقع خبرة نجارين الجريد، فإن الجريد الناتج من نخيل الأراضى الملحية يكون أقل عرضة للتسوس، وبصفة عامة فان النخيل فى الحقول الواقعة بعيدا عن المساكن تكون عادة قوية، ومقاومة للتسوس، بعكس تلك الموجودة فى الحدائق الملاصقة للعمران، فهى تكون أكثر قابلية للسوس، ويفسر المتخصصون ذلك بسبب عدم تعرض النخيل للهواء بدرجة كافية.

ولكن فى مقدمة طرق الحماية تأتى عملية تعريض الجريد الأخضر (المقطوع حديثا) للشمس فى شكل حزم، يتم تقليبها بعد

يومين، حتى لا تتجمع المياه فى الجانب السفلى من الجريد، حيث تصيبه بالهشاشة، وسهولة التسوس.

ولعل أكثرمنتجات الجريد التى تتعرض للتسوس هى المنتجات التى تستخدم ثابتة وغيرمتحركة، والبعيدة عن التهوية مثل الأسقف، وحوائط الجريد الداخلية، والقواطع المنزلية.

كذلك فإننا نجد أسلوبا آخر فى حماية الجريد (الخام) من التسوس، يتبع فى التجمعات الكبيرة لحرفة الجريد، مثل الأقفاص، وهى إجراء عملية (تدخين) للجريد الخام المخزن، بايقاد نيران تنتج دخانا كثيفا يتخلل قطع الجريد المخزن مما يساعد على قتل بويضات حشرة السوس .

ثالثا: التشغيل

هناك خطوات لبدء تشغيل الجريد فى شكل منتجات نمطية كانت، أو منتجات غير تقليدية.

بعد يومين من تعريض الجريد للشمس، يصل إلى درجة (الضمور) وهى الدرجة التى تسبق الجفاف، حيث تسهل عملية التثقيب الآمنة. وبصفة عامة، فإن كميات الجريد مهما بلغ حجمها، فإنه يتم ـ خلال فترة الضمور ـ إعداده من (تقطيع وتوضيب وتثقيب) لتكون أجزاء المنتج جاهزة للتركيب الذى عادة ما يتم لاحقا، وهو الأسلوب الذى يتم فى حالة المنتج النمطى الضخم، كأن يكون الحرفى متخصص فى انتاج الأقفاص مثلا، لذلك نجد أنه فى حالة انتاج قطع الأثاث، والمنتجات السياحية غير النمطية، فإن الأمر يستوجب دائما توفير جريد خام أخضر للقيام بتجهيزه بدءا من مراحله الأولى.

يأخذ أسلوب الانتاج فى حرفة الجريد ثلاث طرق:

الطريقة الأولى:

هى طريقة (خط الإنتاج) أى أن انتاج القطعة الواحدة من المنتج، يشارك فى تصنيعها أكثر من حرفى، بواقع حرفى لكل خطوة، وهو الأسلوب المتبع فى الإنتاج الجماعى للأقفاص بصفة خاصة، وهذه الطريقة تضمن السرعة فى الإنجاز وبالتالى غزارة الإنتاج.

الطريقة الثانية:

هى طريقة العمل بالتوازى، وهى الطريقة التى يشارك فيها عدد من الحرفيين بالتوازى، وتتبع هذه الطريقة فى صناعة المسطحات الواسعة مثل الأسقف، وجدران حوائط الجريد .

ففى حالة الأسقف، تكون الأعواد الحاملة (العروق) للسقف مثبتة بطريقة عرضية (عرض الغرفة أو القاعة المراد سقفها) فى حين تتم عملية (حبك) السقف بالجريد بطريقة طولية متعامدة على الأعواد الحاملة، وذلك بربطها بجرائد عرضية موازية للأعواد، وتسمى الجريدة العرضية (حمار) ويتم توزيع العمل فى السقف بواقع تولى حرفى لحمار واحد، على أن يسير الحرفيون المشاركون بالتوازى إلى أن ينتهى السقف.

الطريقة الثالثة:

وهى الطريقة الفردية، حيث يتولى الحرفى القيام بكافة خطوات إنتاج القطعة من بدايتها وحتى تشطيبها النهائى.وهى الطريقة التى تتبع حاليا فى معظم الأماكن التى لا يتوافر بها تجمعات حرفية، وغالبا ما تتبع هذه الطريقة فى صناعة قطع الأثاث، والتى غالبا ما يخضع فيها الحرفى إلى المواصفات التى يطلبها العميل، وبالتالى

فهى منتجات غير نمطية، وكذلك فى حالة انتاج القطع المنزلية، مثل مطرحة صناعة الخبز، والأباجورات، وسلال القمامة ،ومكاتب الطلاب...الخ

وإنتاج مثل هذه القطع يتم بطريقتين فى تثبيت الأجزاء، الأولى بالمسامير، والثانية بالخوابير، ويتم الحصول على الخوابير إما من بقايا (فرمة التخريم) أو من انتاج الماكينات التى تقوم بتشغيل وتجهيز خام الجريد لتشكيلات الأرابيسك.

وهنا يجب التنويه إلى أن الطريقة اليدوية فى هذه الحرفة هى التى تعطى للصانع مجالا أوسع للإبداع الفردى، الذى يخضع للخبرة الفنية والمزاج الشخصى.

ويقول الحاج سفينة عبدالحميد شيخ نجارين الجريد فى الواحات، أن سرير الجريد يمكن تنفيذه بشبابيك وديكورات بديعة، ويضاف إليه مفصلات فى الأجناب لسهولة الفك والتركيب والنقل، ولكن العميل الذى يطلب سريرا من الجريد عادة ما يهدف إلى رخص السعر، فى حين أننا نقوم بتنفيذ سرير الجريد المتميز لغرف القرى السياحية والفنادق بأشكال غير تقليدية متميزة وكذلك نقوم بتنفيذ دواليب داخل الحائط من الجريد.

ويستهلك السريرالتقليدى الواحد من الجريد الخام ٢٥ جريدة فى الطول و١٥ فى العرض، بينما يستهلك الكرسى ٢٥ جريدة. ويستخدم الجريد الأخضر فى الأجزاء التى تحتوى على دورانات، لمرونته وسهولة تشغيله، بينما يستخدم الجريد الجاف تماما فى عمل أسطح التحميل، وقرصة المقاعد. ويستغرق السرير يوم عمل (حوالى خمس ساعات) بينما يستغرق الكرسى الواحد نصف يوم.

أنواع الجريد

وينقسم الجريد إلى عدة أنواع طبقا لنوع النخلة، فمنها المنتور، والصعيدى، والمنتور التمرى، والتمر، والحجازى، ولكل نوع منها خواصه المميزة التى يتم توظيفها فى منتجات الجريد، ويقول الحاج سفينة عبد الحميد شيخ نجارين الجريد فى الواحات الداخلة، أن جريد نخيل التمر هو المقابل لخشب الزان فى الأخشاب الطبيعية، لذلك يقتصر استخدامه على أجزاء التحميل مثل قرصة المقاعد، وقوائم أرجلها، ويجمع الحرفيون فى الواحات على أن جريد النخل (الصعيدى) هو من أفضل الأنواع من حيث القدرة على التشكيل والمرونة، وإن كان أقل قوة وتحمل من جريد التمر والمنتور التمرى، أما جريد نخيل (المنتور) فهى التى تقع على منتصف خط درجات الجودة وهى التى تستخدم عادة فى تصنيع أرابيسك الجريد.

وجدير بالذكر أن درجة جودة الجريد فى تشغيله للإنتاج، تتناسب تماما مع مدى جودة ثمار البلح الذى تنتجه النخلة.

أدوات الحرفة :

تتميز حرفة الجريد ببساطة آلاتها وتقليديتها، وهى فى معظمها صناعة محلية يقوم بها حداد شعبى مجاور وتتكون أدوات حرفى الجريد، طبقا لخطوات العمل كما يلى :

١- منجل، وهو الذى يطلق عليه فى وادى النيل (شرشرة) وتستخدم فى قطع الجريد من النخل، بالإضافة إلى سلخ الخوص لفصلها من السيقان

٢- سكينة، وتستخدم فى شق الجريد طبقا للاستخدام.

٣- فرمة، وهى التى تستخدم فى ثقب (تخريم) الجريد، وهى مجموعة فرمات بفتحات متدرجة، حسب الطلب، وجميعها من صناعة الحداد البلدى.

٤- شاكوش، لإدخال الجريد فى تشكيل الأجزاء عبر الثقوب.

٥- منشار حدادى، لقطع أجزاء الجريد والزوائد فى تشكيل القطاع

٦- مبرد خشابى، لتنعيم أسطح الجريد المتلاصق، مثل قرصة الكرسى، ومطرحة الخبز.

٧- أجنة، وتستخدم فى تسوية أرجل الكراسى التى يستخدم فيها الأجزاء الغليظة من الجريد (رأس الجريدة)

مبرد ديل فار، ويستخدم فى توسيع وتنعيم ثقوب الجريد.

٨- مرزبة، وتستخدم فى تركيبات المسطحات الكبيرة مثل قرصة السرير، وكذلك تركيب جريد الأسقف (الحبك).

٩- زاوية، وتستخدم فى ضبط زوايا قرصة الكرسى والظهر والمخادع.

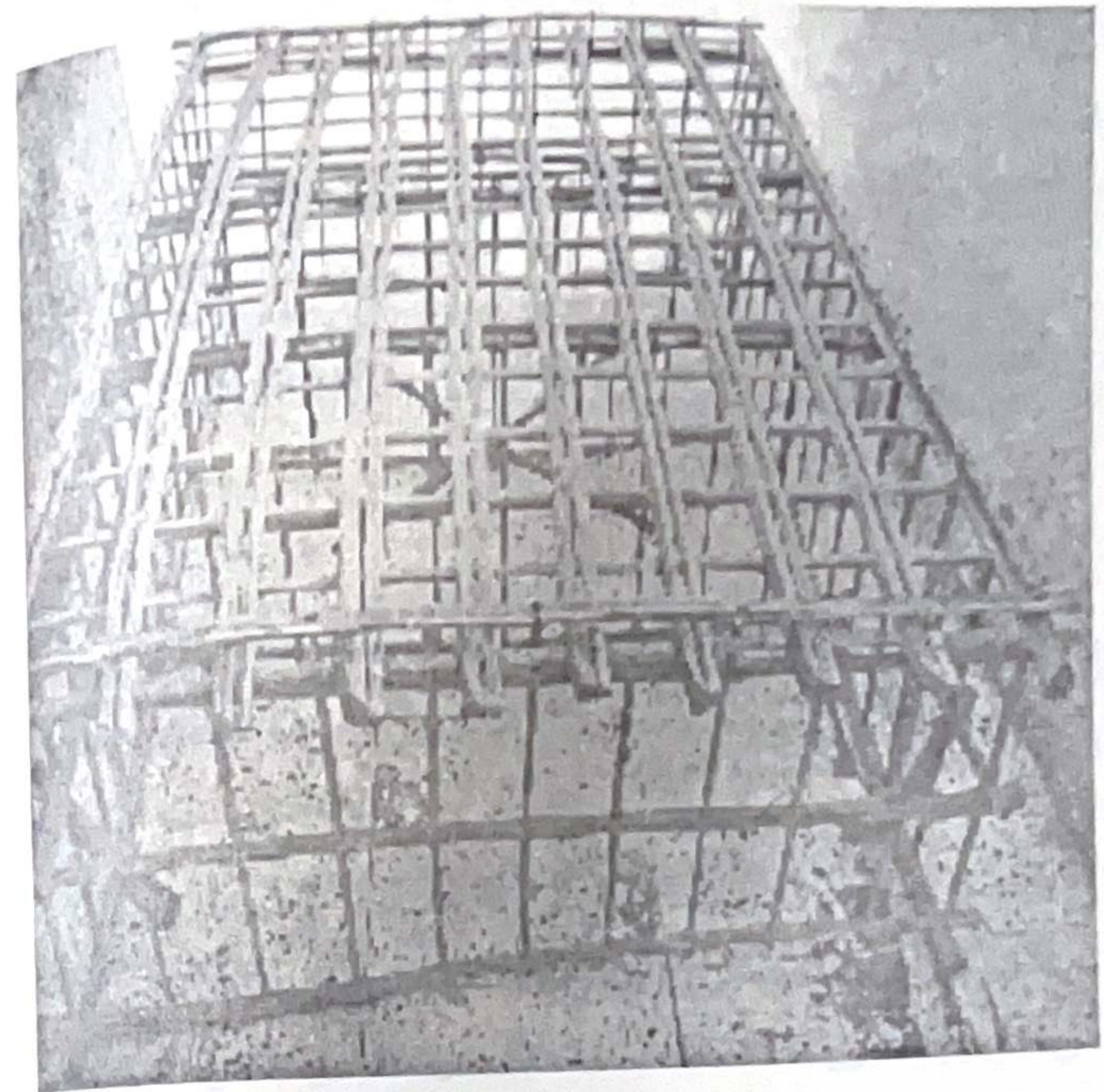
مشكلات الحرفة

وحرفة الجريد، شأن معظم الحرف اليدوية فى مصر، لها ما يهددها، ويعوق نموها، بل ويدفع لتراجعها وهناك مجموعة من الأسباب، من بينها مايلى :

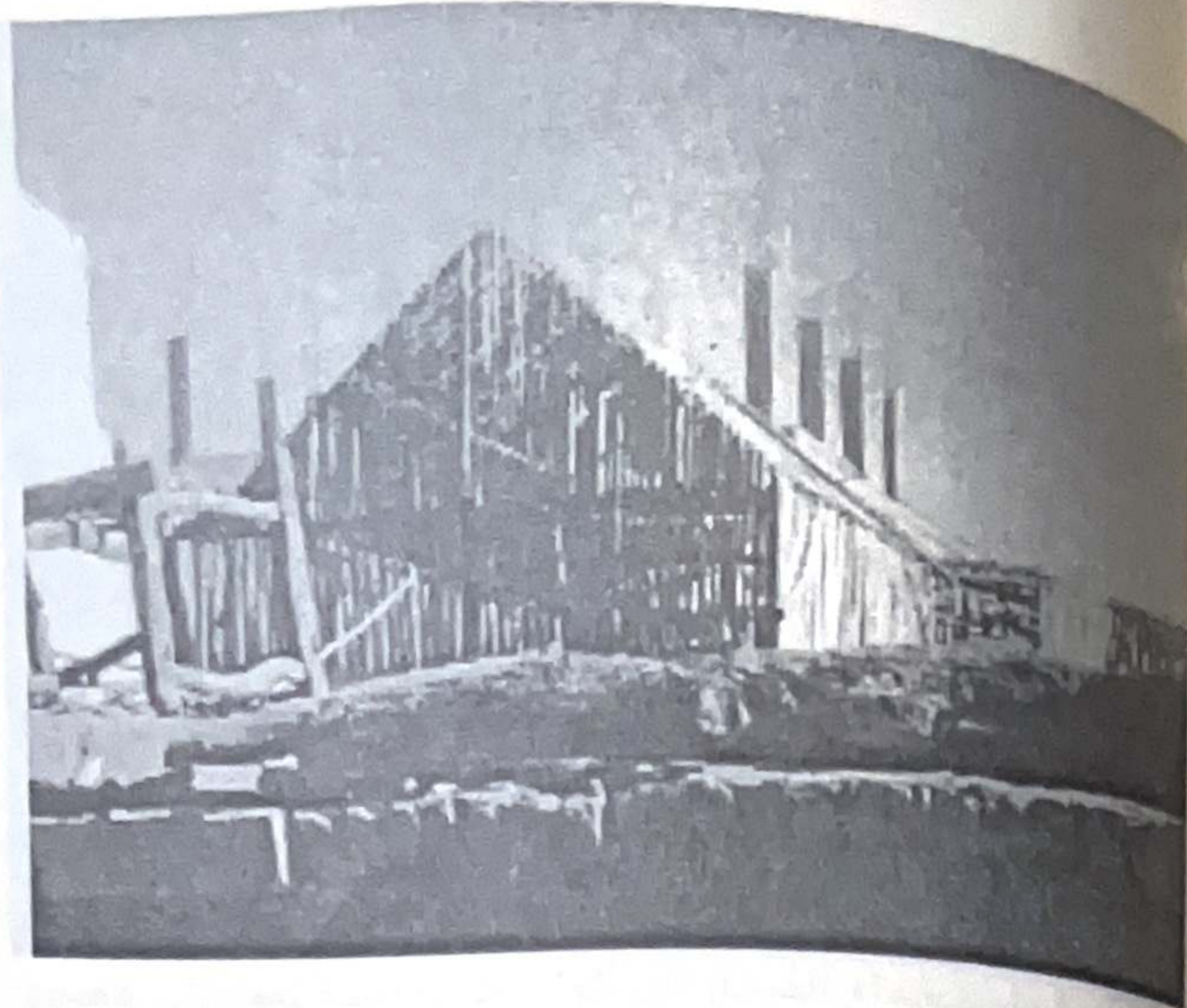
١ - انتشار العمارة الحديثة التى لم تعد تستخدم أسقف الجريد التى كانت تدر دخلا ماديا للحرفيين، وأيضا تستهلك كميات كبيرة من الجريد الذى تنتجه مساحات النخيل الكبيرة فى الواحات.

٢ـ ضعف العائد الاقتصادى للحرفة لم يعد مشجعا للإقبال عليها من الشباب.

٣ـ عدم تضمين المناهج الدراسية فى مؤسسات التعليم الفنى (المحلى) لبرامج التدريب على الحرف الشعبية المحلية، بل وتطويرها أيضا، خاصة حينما نعلم أن الواحات عموما بها مدارس زراعية تقوم بتدريب طلابها على كافة الصناعات المتعلقة بالمنتجات الزراعية ـ والتى لا تربطها علاقة بالمجتمع المحلى ـ فيما عدا صناعات الخوص والجريد، برغم أن النخيل هو الزراعة والمحصول الوحيد فى الواحات..!!!



سرير من الجريد ـ موط الداخلة



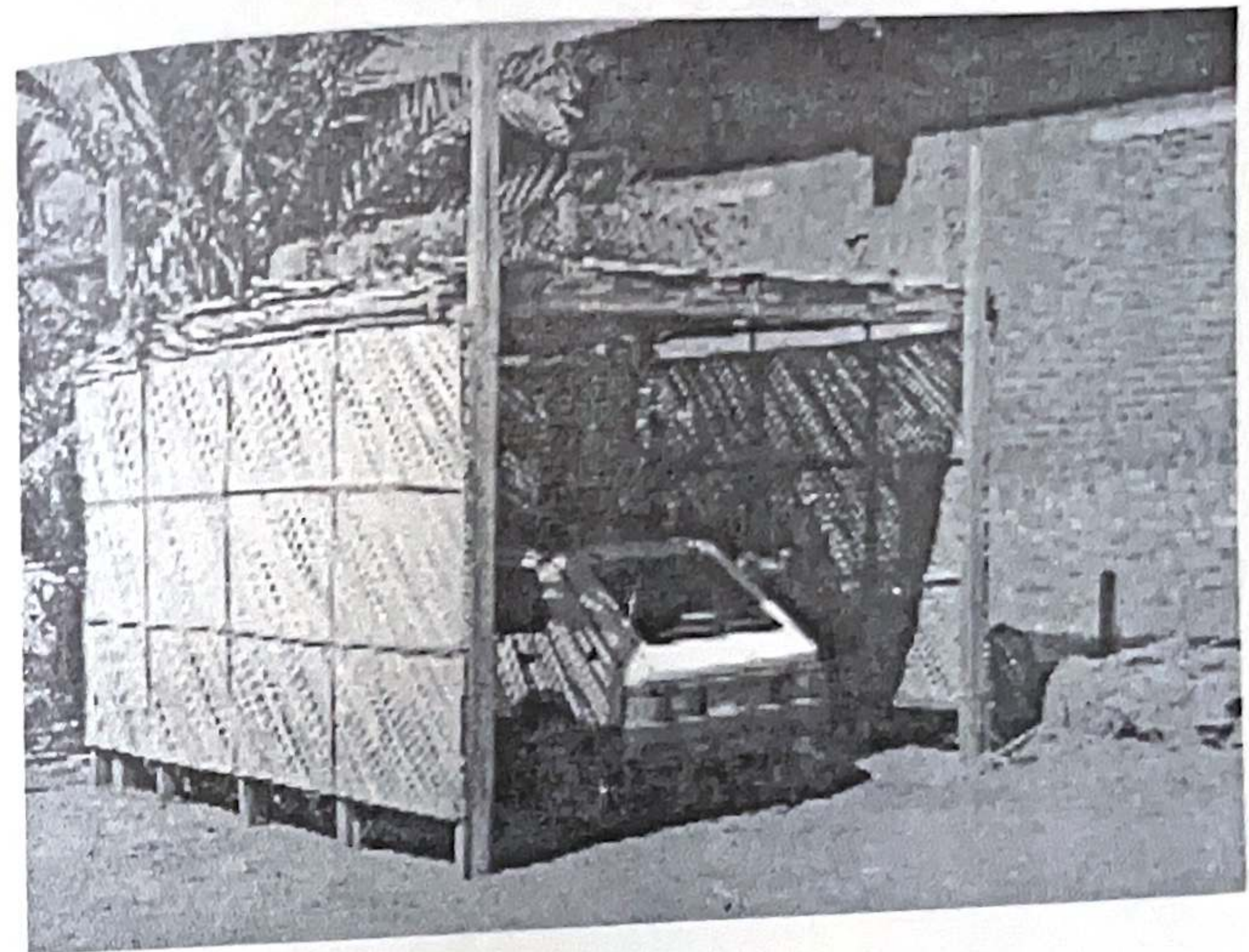
عشة للحيوانات والطيور المنزلية من الجريد ـ موط ـ الداخلة



عشة متنقلة للدواجن من الجريد ـ موط ـ الداخلة



بنية كتاكيت من الجريد ـ موط ـ الداخلة



جراج سيارة من الجريد ـ موط ـ الداخلة

حرفة الفخار

تعود حرفة الفخار فى مصر إلى عصر ما قبل الأسرات، ففى سنة ٤٤٠٠ق.م اكتشف العديد من الأوانى والتماثيل ضمن آثار حضارتى مرمدة والبدارى، وفى الواحات كشفت بعض الأبحاث الأثرية عن العديد من التماثيل الفخارية حول قرية المعصرة، بالإضافة إلى الكشف عن مومياوات كانت توابيتها من الفخار فى قرية البشندى، ومقابر المزوقة، كذلك بقايا القطع الفخارية (الشقافة) التى يمكن مشاهدتها حتى الآن فى أماكن الآبار الرومانية، فضلا عن العيون الفرعونية، وهو ما يشير إلى أن صناعة واستخدام الفخار فى الواحات الداخلة يعود إلى عصور ضاربة فى التاريخ.

ورغم اقتصار حرفة الفخار الآن ـ ومنذ حوالى ستين سنة ـ على قرية القصر، إلا أنها كانت فيما مضى أكثر انتشارا فى مدينة بلاط، وهنا يلاحظ أن المنطقتين كانتا عواصم تاريخية للواحات فى عصور سابقة..!!

وتبقى فى وسط مدينة القصر (الفاخورة) وهى ورشة صناعة الفخاريات، شاهدة على عصر يمتد ـ حتى الآن ـ إلى ما يزيد على القرنين (على الأقل) من الزمان، تنتج الأوانى التى يستهلكها سكان الواحات الداخلة، والتصدير إلى الواحات الأخرى.

يتميز الفخار فى الداخلة بأن المنتج النهائى يميل لونه إلى الأحمر المختلط بالأصفر، مختلفا فى ذلك عن منتجات الفخار فى صعيد مصر من منطقة جراجوس فى قنا، أو من منطقة كوم

أوشبم، والنزلة فى الفيوم، التى تتسم منتجاتها باللون البنى القاتم، وهو مايشير إلى اختلاف الخامة الأولية (الطينة) حيث تعتمد الخامة فى الواحات على التربة المحلية التى تدخل فيها أكاسيد الحديد، بينما الأخرى تعتمد على طمى وادى النيل، وهو ما يكسب الأولى المزيد من التماسك، فضلا عن المسامية التى تزيد من إمكانية الترشيح والتبريد للماء، فقط فى أوانى حفظ المياه وليس فى كل الأوانى، وهو ما يراعيه الصانع عند اختيار الخامة طبقا لنوع المنتج المطلوب وقد علل لى صانع الفخار فى قرية القصر، اصفرار لون المنتج بصورة مغايرة للفخار فى باقى مناطق صناعته فى مصر، بأنه يرجع إلى إضافة رماد الفرن للطينة الخام.

ومنذ سنوات قليلة، كانت كافة الأدوات المنزلية هى عبارة عن منتجات فخارية، فضلا عن أدوات العمل الزراعى، ونذكر منها :

الأوانى المنزلية :

١ـ البربخ، إناء أسطوانى الشكل بارتفاع حوالى ٢٥سم وقاعدة بقطر ٢٠سم، يستخدم فى حلب الأبقار، وحفظ اللبن.

٢ـ الهناب، وهو نموذج مصغر من البربخ، يحفظ فيه الزبد، كما يستخدم فى نقل الأرز المطبوخ ساخنا كوجبة للفلاح.

٣ـ القدرة، وهى أحجام مختلفة، تستخدم فى الطبخ.

٤ـ القصعة، وهى إناء دائرى تستخدم فى غسل الأطباق وحفظ الماء.

٥ـ الأبريق، ويستخدم فى صب الماء على الأيدى للوضوء، أو فى عزومة طعام الأفراح.

٦ـ الطشت، وهو مصب ماء الأبريق.

٧ـ الماجور، أحجام مختلفة، يستخدم فى تحضير عجين الخبز

٨ـ الزير، وهو أسطوانى الشكل، بدون قاعدة، يوضع على حامل خشبى لتقطير الماء من تحته.

٩ـ السجا، وأصلها من السقاية، تستخدم فى جلب الماء من العيون والآبار، وملء الأزيار، ووضعها أسفلها لاستقبال المياه المقطرة للشرب.

١٠ـ العلاوة، وهى أسطوانية، بدون قاعدة، بأذنين تعلق فى السقائف لاستخدامها كسبيل للمياه المبردة.

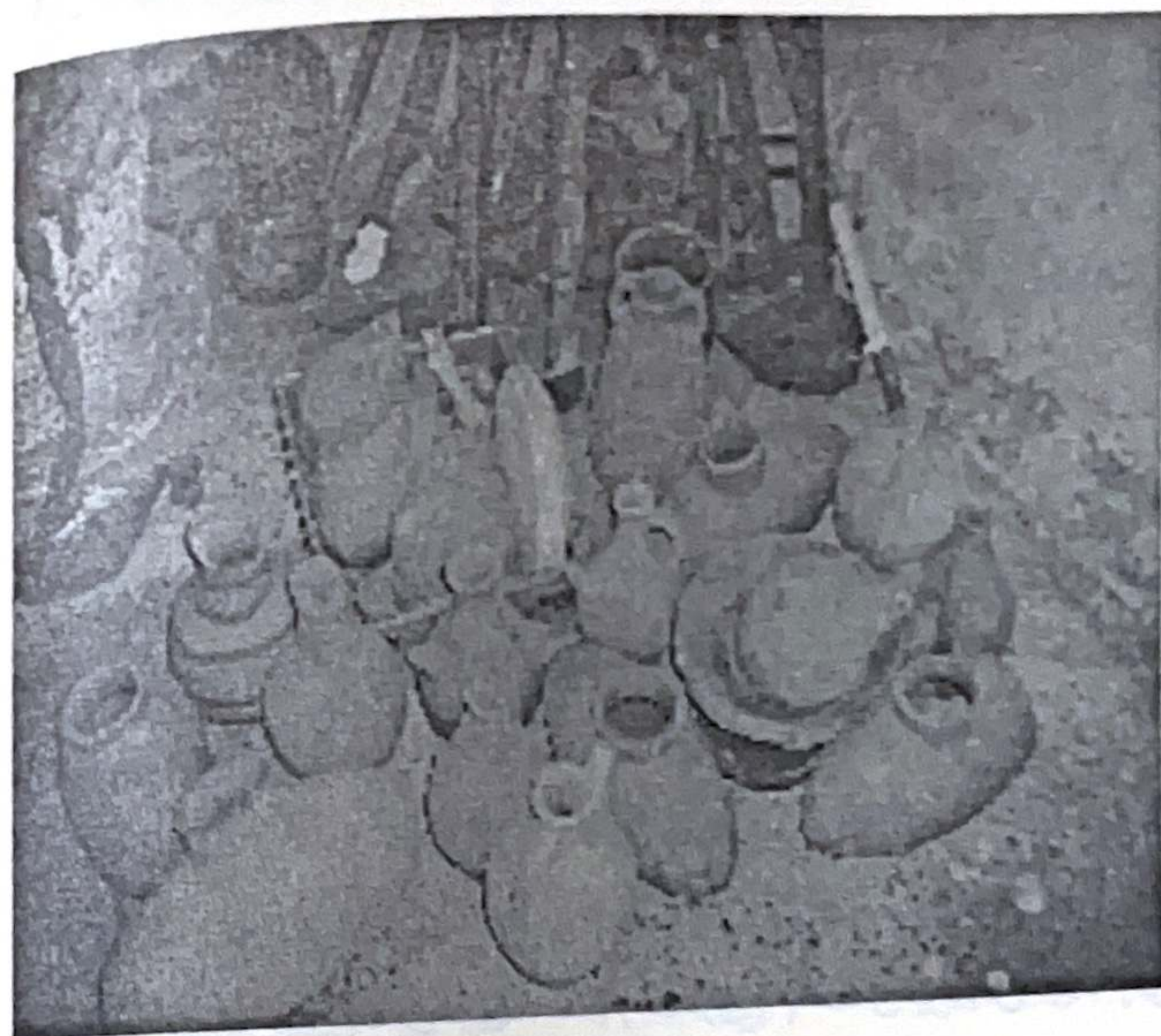
١١ـ القلة، وهى التى تستخدم لتبريد ماء الشرب.

١٢ـ السكرجة، وهى إناء صغير مفتوح من أعلاه، يسمح بشرب الدواجن والأرانب.

١٣ـ المطر، (بكسر الميم وسكون الطاء) وهو أشبه بالزلعة أو البلاص فى صعيد مصر، يستخدم فى حفظ البلح العجوة)

١٤ـ (أهم منتجات عمل الزراعى) القادوس، وهو اناء اسطوانى بارتفاع ٢٥سم وقطر ٣٥سم بفوهة واسعة بقطر ٢٥سم، يستخدم فى الساقية، فتربط القواديس فى حبل التونس الذى يدور مع دوران الترس الكبير للساقية، وحينما يصل التونس إلى حوض الماء داخل عين المياه يمتلئ القادوس، ثم يأخذ رحلته إلى أعلى، ومع دوران الترس إلى أعلى يقوم بتفريغ القادوس فى مجرى خشبى يطلق عليه اسم (ساروج) الذى يوصل الماء إلى مجرى الزراعة.

تستخدم الساقية الواحدة مايقرب من ٨٠ قادوسا فخاريا، حيث يتوقف العدد على عمق العين، وبعدها عن سطح الأرض الزراعية. وقد كانت من أهم أعطال الساقية المعتادة هى وقوع حبل التونس من الترس إلى عمق العين مما ينتج عنه كسر كل القواديس،خاصة وأن جدران حوض العين تبنى بالحجر الرملى الصلب، وبالتالى المزيد من تصنيعها فى الفاخورة حتى لا تتوقف الساقية.



مجموعة من الأوانى الفخارية من إنتاج القصر - الداخلة

حرفة النسيج

ممارسة حرفة النسيج كانت شائعة فى قرى الواحات الداخلة إلى وقت قريب، فقد كان من المعتاد أن ترى السيدات فى بيوتهن، والرجال من كبار السن فى السقائف، يمارسون غزل الصوف بالمغزال الخشبى اليدوى، لإنتاج خيوط الصوف، التى كانت تستخدم فى صناعة (الشرز) وهو من ملابس الأولاد والرجال الشتوية، وقبل ذلك بفترة زمنية، كانت (الجبة) هى الزى الشعبى للرجال، وهى عبارة عن جلباب من الصوف اليدوى يلبسه العامة صيفا وشتاء، حيث كانت تستخدم فى صناعته تلك الكرات الصوفية المغزولة، ثم يتم نسجها على النول الأرضى، بعرض ٦٠سم، ثم تتم خياطته كجلباب، ومن أشهر القرى التى كانت تشتهر بإتقان نسج هذا الصوف هى قرية البشندى، وهى إحدى الواحات التابعة لمركز بلاط، وفى البشندى تطورت هذه الحرفة منذ ما يقرب من خمسة عقود، حتى أصبحت من أهم مناطق انتاج السجاد والكليم اليدوى فى مصر، وتضم البشندى مشغلا متكاملا لخطوات الغزل والنسيج بداية بالتعامل مع صوف الخراف، ثم الغزل ثم الصباغة، ثم النسيج على أنوال رأسية، وهو المشغل الوحيد الذى ينتج خيوط الغزل فى المحافظة، حيث يقوم بإمداد كافة الأنوال اليدوية بالخيوط وهى تنتشر فى معظم قرى الواحات الداخلة.

الفصل الثالث

الأدب الشعبى

أغانى السامر

ذكرنا فيما سبق، عند تعرضنا لعادات الزواج، أن حلقات السامر تقام فى الليالى السابقة على الزفاف بحوالى أسبوعين فى صورة احتفالية جماعية أمام بيت العريس، وتكون الدعوة فيها للمشاركة بالآداء أو المشاهدة لكل أهالى الواحة.

وهناك العديد ممن احترفوا فنون الآداء فى المنطقة كهواة، مثل حفظة الأغانى والمواويل، وعازف الزمر (المقرونة)، وعازف الإيقاع (لدربكة) ومصاحبة إيقاعات الكف الجماعى، ونورد هنا بعض من النصوص الأدبية الغنائية التى اشتهرت فى هذه المناسبة.

طير يا وز العراق

طير من يمة[1] بلدنا

(١) يمّة = ناحية أو فى اتجاه

وحط فى ملقة[1] بلاط

راح[2] يشبتو جنانى

وعلى سرير النوم

راح يشبتو جنانى

وانا بارقص واغنى

وهجوز الغالى

مين اللى ضى اليمين

سلم عليا بشماله

على مشيك يا محبوبى

حلفونى اليمين

كونى لينا

كونى لينا يا بت

كونى لينا وعليكى شهود بينه يا بت

ياللى متكلفين

خلو الفن اصحاباته

طير يا وز العراق

طير من يمه بلدنا (يمة = اتجاه)

وحط فى ملقة بلاط (ملقة = ميدان واسع)

---

(١) ملقة = مكان أو ميدان

(٢) راح = سوف

جملد وسوارة أمال يا عين

وحاغنى على الزمارة امال يا عين

جملد وسوارة وامال يا عين

نبتدى للناس امارة وامال يعين

جملد وسوارة يا عين

وهتبقى شمعه منورة وامال يا عين

نقرشلى طاقية، يا منقرش الطواقى يا بوى نقرشلى طاقية

وانا حبى وقع فى البيض يا بوى والسمر دول غية

خاين يا زمانى... ودبت محبوبى فين يا بوى، خاين يا زمانى

محبوبى راح الشام يا بوى يتعلم طليانى

شبكت عالنبقة، لابسة الحرير يا ولاد، شبكت عالنبقة

قطع الحرير واسيادة يا بوى، تسلم لى الرقبة

والحلوة يا ريا - زرع البنات البيض خضر بلامية

اما البنات السود يا بوى حبوا الملاغية

حبو بوارس[1] مكشوفة سابو بو طاقية

سارح ورا اماته[2]، جوز الغزال يا ولاد سارح ورا اماته

سارح بلا مركوب يا بوى شوك راجالاته[3]

---

(١) بوارس = أبو رأس

(٢) أماته = أمه

(٣) رجلاته = أرجله

يرعى فى الوسية   شفت الغزال يا ولاد يرعى فى الوسية
ويرتع بالنصيب يا بوى يرعى فى الوسية
نقرشلى طاقية، يا منقرش الطواقى يا بوى نقرشلى طاقية
منين يروحو للحكام
طول الليل معاه ما انام
وخياله يطرح رمان
طول الليل معاه ما انام
وشعرها دا ديل حصان
وطول الليل معاه ما انام
وعيونها وعيون غزلان
تجرحنى وطول الليل معاه ما انام
ومنين يروحوا للحكام
فمها خاتم سليمان
وطول الليل معاه ما انام
سحرنى بجوز عيونه
وطول الليل معاه ما انام
ومين يروحو للحكام
وصدرها يطرح رمان
وسحرنى بجوز عيونه
وطول الليل معاه ما انام
منين يروحو للحكام

وبطنها عصير خمران
جرحتنى بسحر عيونه
وطول الليل معاه ما انام
سكر وزبيب لمن ياكل
من عنب الديب لمن ياكل
سكر وزبيب والاسمر يزعل ويطيب
لمين ياكل
سكر وزبيب ويجلع[١] على خطر حبى لمن ياكل
سكر وعسل لمن ياكل وخليتى العاشق سافر
لمين ياكل
سكر وزبيب واللون خمرى
ربنا وحده يعلم امرى
والعشق نصيب لمين ياكل

نزله من الواح يا بنية
نزله من الواح والبيضة على عود تفاح والبيضة
نزلة بشنيفة م البيضة (شنيفة = خزام)
نزله بشنيفة م البيضة تتعايق والرقبة لطيفة والبيضة
تعالى عندى يا بنية

---

(١) يجلع = يتدلل

تعالى عندى وده حبك هارى كبدى يا بنية

وتعالى أضيف قالت لى

وتعالى أضيف قلت لها

من صوتك خايف قالت لى

ده طويل وهايف وبيتعشى وينام بدرى يا عينى

لابس لامونى للابيض

لابس لامونى وعلى رمش عيونى

لباس الصينى الابيض يا

لباس الصينى على مهلك ولا ناسينى يا بيض يا

واقف عا بابك يا ابيض يا

لابس عقالك يا ابيض يا

لابس عقالك من دون اخواتك يا بيض يا

لابس عقالك يا عايق من دون اخواتك يا بيض يا

لابس ع قالك وامك وابوك حلفوا بحياتك يا ابيض يا

يا بت غطى خزامك خلى خلك ينام

انا لا اغطى خزامى ولا اخليه ينام

ادعيلى يا حنه العجوز

دعاكى عند الله يجوز

ادعيلى يا حنه الشباب

دعاكى عند الله يجاب

الحته دى والحته دى

وانا قتيل الحته دى

ولا عدت اروح ولا عدت اجى

عرجون البلح مدلى

ينزل فى الواطى ويعلى

حط الحاجة على الكيال

عروستك حلوة اديها ريال

بو منديل ابيض فى جيبة

حتى العاب ده ما يعيبه

الحلوة ادانى لامونة

خلى ريقى جرى

يا ما خلق يا ما صور

كعب البنت ريال مدور

الليلة دى سهرانه طال

وتخلى الشربات على

يا رايح بلاده سلم لى عليه

دى بلاده بعيدة يا عينى عليه

دى الغربة طويلة يا عينى عليه

بالصلاة عالنبى اول قولى وبداى بالصلاة عالنبى

فتح ورد الجناين كرامة للنبى

وبرك متى الهجين بحرى البوابة وبرك متى الهجين

زغروته يا حبايب غربا ومروحين

تسونى بلدى يا بنات مصر الجديدة تسونى بلدى

تسونى امى وابوية والتالت ولدى

قلت الغايب جانى

ضرب الهوى عالباب

قلت الغايب جانى

وتاريك يا باب كداب تضرب على القاضى

ودعيت عليك يا باب بالسوسة والنار

وتعور التبايا[1] روح يا قليل العشرة

ويخونك اكل العيش وبياتك حداى[2]

ويخونك لمشى روح يا قليل الشعرة

لفت تانى بيه والقصة نايبة[3]

بين القصة والحاجب حاطة ناموسية

والرمان استوى وقالوا الموز ده غايب

والرمان استوى

وتبصى عالبساطة وتطمن فى الهوا

بلى وزغرتى من فوق البرج العالى ميلى واتسندى

---

(١) التبايا = المشاكل.
(٢) حدايا = عندي.
(٣) نايبة = مهدولة.

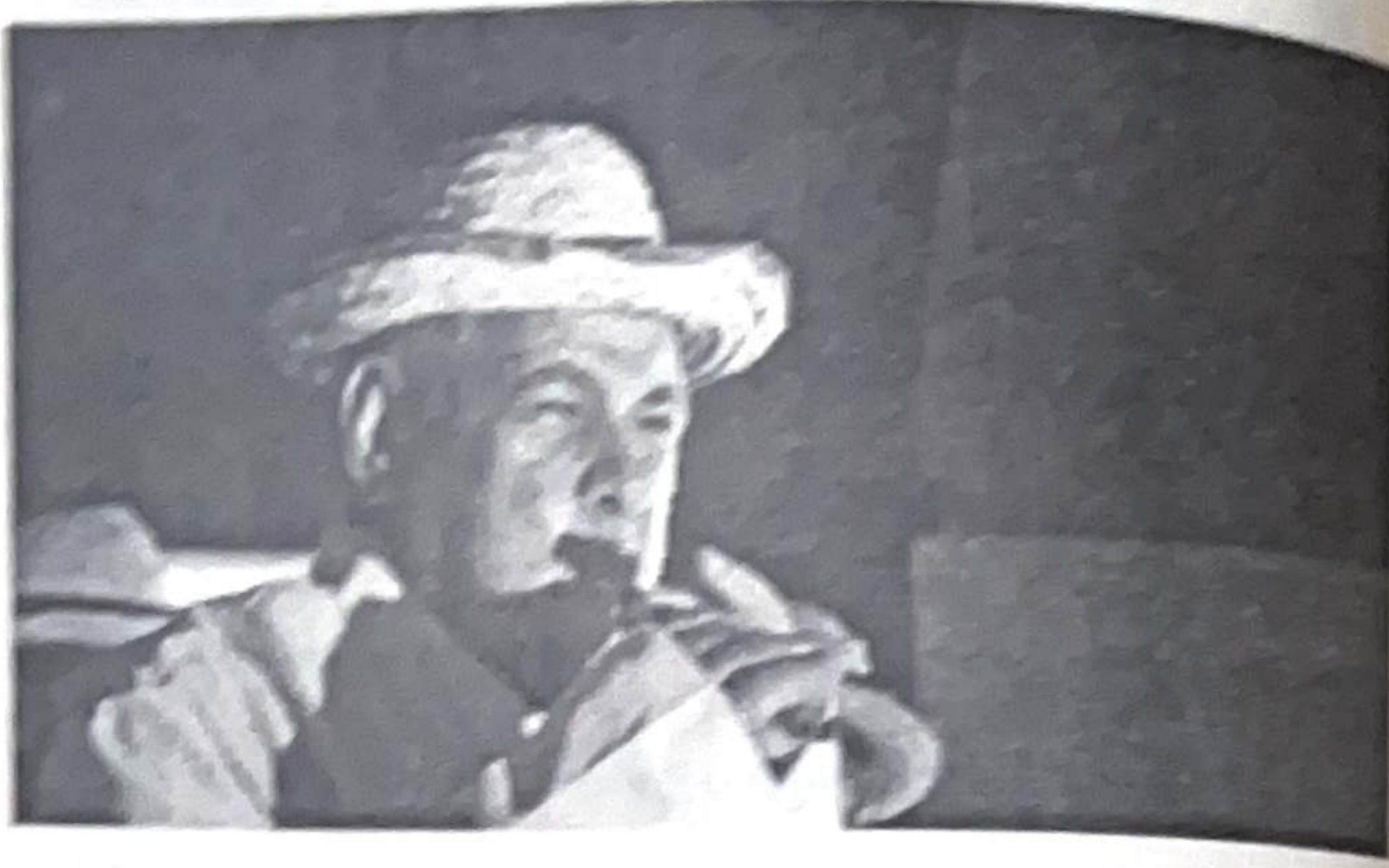
عالى قتل ياسين قتلوه السودانية

من فوق ضهر الهجين

دابح الحمام لمين

بالصلاة عالنبى اول قولى وبداى بالصلاة عالنبى

فتح ورد الحنايين كرامة للنبى



عازف الزمر فى سامر الفرح - الواحات الداخلة



طبلة مديولى فى زفة الزواج الواحات الداخلة

نماذج من مواويل السامر

يا ليل يا ليلى

انا باقول غزاله من الريف حبت جدع حريف ملى عينها
واللى تحب يبان الحب من عينها
اسمع مثل زى العسل ينقال
سيبك من اللى تمشى ومسبله عينها

يا عين يا ليل يا عين يا بو الغلابة يا ليل
يا بت يا للى على الهوار[1] ليكى مين واقفاله
قالت وانا لى حبيت سنين واقفاله
والله لو طلب منى الوصال انا من وسط الجميع لرضاله
واكحل العيون السود واخلى القلب يصفى له
يا ليل ، يا ليل

انا باقول ده انا عجبتنى بت بيضه اسمها فلة
بتاكل من الخوخ وتشرب من القلة
قلتلها دانا جيعان قالت لى جنبك الخوخ والقلة
قلتلها دانا مجروح قالت لى عكر الروح وان طلعت الروح
وصفولى الدوا كله

(١) الهوار = مصب البئر.

يا عين يا ليل
يا قول حدش لقى محفظة فيها تلاتة جنيه
وختم معدن يا عينى يوم القبض بابصم بيه
وباكو دخان ودفتر بفره لسه شاريه
قوليلى دى لو عرفت مراتى حتعمل ايه
حتجيب غفير من الداخلة ينادى عليه

يا ليل يا ليلى
انا خبطت عالباب طلع الحلو من جوه
حالق شعوره البيت بيتهوى
انا قلت القمر فوق ايش نزله جوه
جابوا المكاوى وكوونى انا والبيت
وايش ينفع الكوى اللى بلوته جوه

يا ليل يا بو الغلابة يا عين
يا قول بانصحك يا قلبى تبعد عن الخاينين
احنا ولاد الغرام وللحظوظ ما يلين
وحياتنا فرح وهنا وما نحبش المايلين
باقول كتير يا قلبى انصحك تبعد عن المايلين
اوعى المناظر تغرك حتى الحرير الوان

ده البحر واحد صحيح لكن السمك الوان

اوعى الحرير يغرك حتى الحرير الوان

ادى الحديد لان لكن قلب العدو مايلين

أغنية إيقاعية

تجرحينى انا وتعذبينى انا

يا دى البنية وبعد الحيرة راح اموت انا

يا بنية وصبرى طال افديكى الدنيا بالمال

اوعى تقولى الحب بور ولا بعد مليون سنة

يا بنية والامان قلبى احتاج للحنان

اوصفى لى المكان وانا اجيلك انا

شعر طويل اللى مجننى خلانى اولف واغنى

يا بنية ابعدى عنى ارتحتى وتعبت انا

يا بنية الحان تا قلت الدنيا بالمال

اوصفى لى المكان وانا اجيلك انا

قلت لا تولى وقال من جاى

قلت لا خوكى وقال مش جاى

ارتحتى وتعبت انا

نصوص من الموال للفنان عبدالله ورد موط ـ الواحات الداخلة ـ

وعبدالله ورد هو أهم نجوم حلقات السامر منذ حوالى خمسين سنة مضت فى الواحات الداخلة ممن هم على قيد الحياه حاليا

فقد كان يحترف العزف على الزمارة وغناء وآداء الموال والاغنية الشعبية وبعد التوارى النسبى لاحتفاليات السامر من افراح المنطقة تحول إلى المشاركة فى فعاليات الحضرة الاسبوعية، ويتميز عبدالله ورد بذاكرة حديدية لازالت تحتفظ بكم هائل من المواويل (الادوار) التى كانت تؤدى فى احتفالات الافراح منذ زمن بعيد بالاضافة إلى حفظ ادوار الحضرة والمديح التى يمارسها حاليا

جمال وزايد محاسن بس ناقص عقل

من كتر شرب الخمور حيفضل تايه وسكران لم ينعدل له عقل

ليه جوز عيون سود يشبه لحرب الضنايا تنقل برجلك نقل

اصل الجدع غندرة بيحب وسع العقل

وان لفت لحبيبك ورجعت له تانى

يبقى عدم رأى منك وقلة عقل

والصايغ اسمه حسن صنع جميع ما فيه

يمشى عالقدم كل المحاسن فيه

هات القلم والدوا واكتب على اللى فيه

عالعاشق اللى انكوى واحتار طبيبى واحتارت كل الاطبا فيه

وقالت العين حبيبنا ربنا يشفيه
راح ينزل السوق ويخطر مثل عاداته
جمل المحامل برك شمت الاعادى فيه

يابو عيون سود وخدود حمر اه منك
بقك يقطر عسل ياجميل بل القميص منك
قلبى يحبك يريدك وعينى تستحى منك
لوجيت بالوصل ياجميل يبقى جبا منك
ما جتش بالوصل نشكيله ربنا يوم القيامة يخلص حقنا منك

دخلت بستان حبيبى لقيت غزال زين حلو فارش ونايم فيه
ومبين الدوك الاخضر انا اللى اغطيه
قاللى لانت ابن عمى ولا انت شريكى فيه
وسحبت سيف المحبة اضربه ارميه
رمش بعينه رمانى قبل ما ارميه
ماحدش قال اه الا من وجع جه فيه
عليل وسقيم وسنار الغرام جه فيه
صبحية العيد بنغير ونلبس كلنا جوخ فيه
عندى غزال زين موافينى وانا موافيه
واللى معاه جرح بينات[1] العدو يخفيه

(١) بينات = بين.

ربى رزقنى بعزول دخل بيناتنا فتنة
نشكى نقول ايه دود المش منه فيه

لو غبت ياحلو لنجيب مطرحك مملوك
ابيض من القطن وتراب العدل مملوك
ياللى خدوك العوازل طمعوك وملوك
مص القصب حلو بس ياخسارة فى الاخرة يرموه
اوعى تروح بيت الفرح من قبل ما يدعوك
يابو قميص يابيضانى فى التراب مدعوك
ما تشوف عينك الحلوة ياخسارة من كتر البكا وجعوك

قسيت وانتهيت والوقت ربانى
وتعبت ويا الزمان والفكر علمنى وربانى
دنا كنت راجل وصاحب اسم فى بلدنا
احل واربط فى كل مكان على كيفى
احل واربط وما اعملش لحد حساب
انا لى اصحاب يخشونى بكل حساب
ضيعت مالى على المايلين من جهلى
مشيت فى كل الطرق وتعبت من جهلى
وخالفت اهلى اطلع من الطريق العوج الكل من جهلى

انا باحسب الوقت اصيل على طول ويايا
طلع الوقت صعب عمل فصولات[1] ويايا
انا باحسب الوقت على طول الدوام عاقل
قاللى اصحى دى نوادر الوقت وحشة بتضيع العاقل
واحتار دليلى مع الايام وانا عاقل
ومشيت فى كل الطرق وتعبت من جهلى

لوكان لك صاحب وسابك اعتبره كانه مات
واترك سبيله وما تندمش عاللى فات
ده الصقر فى الجو قوة وله همات
بيصوم عن الزاد ما بنزلش على رمات

عجبى على جمل بارك على النعناع
ياكل عليقه وهو بارك على النعناع
وان كان الولد المقناوى بيغنى وحسه فى الهوا سماع
يا يجيب لى غطا الدور ياخلى الجمل ينباع
حوش الغنم عن اكل الجمل اكل الغنم ده عيب
لو كان جمل فى جمل يبقى اكل الغنم مش عيب
وخدت من الحبايب ياخسارة ولا اختشيت مالعيب

(١) فصولات = مواقف سلبية.

ماليت ياسبع بيت عندما حكمت
يامال ياللى على اولاد الملوك حكمت
اوعى تقصد الندل على حاجة ولو حكمت
واقصد جدع زين مقصود من الجدين
اوعى تقصد راجل على دقنه المرة حكمت

ياحلو ياللى خيالك فات موتتى
وده شكلك الذوق اما الشوق موتتى
بافطر على المر اما النوق موتتى
ياحلو ياللى مالك فى الجمال وصفة
عندى على وحسين لهم فى الجمال وصفة
وسيبنى ادفى وبكرة الصبح موتتى

منين نجيب خل صادق يفهم المعنى
كتام الاسرار ناخده فى السفر معنا
نصرف عليه فى الوسع فى الضيق ينفعنا
نلحقك فين ياللى انت فايتنا
نركب على مركبك ناخد كفايتنا
لو جيت يامرحبا انت ربايتنا
ولو رحت فى محشرة احنا خدنا كفايتنا

امان ياطبيب عند بيت العليل دلى
واكشف على الجرح اللى له زمان دلى
وان كان دواى على المخلوق ياذلى
وان كان دواى على الله جل ايديك ياطبيب جلى
خللى المقادير تاخد حقها منى

انا شايف منام الله يجعله خير وسلامة
دانى غريب البلاد واتارى النفس متهانة
انا كل ماصحى من النوم ابكى واقول يانا
مصيركل غريب يروح لبلده وكلمة الندل ملفوفة ومشتانة

جار الهنا كان هنا جار الهنا راح فين
نجار وراسم على صدر الجميل دولابين
دولاب للصبر ودولاب لدمع العين
زعق البابور عالسفر عيطت رايحين فين
رايحين تغيبوا سنة ولا تغيبوا اتنين
يامن يجيب لى حبيبى وياخد من عيونى عين

ياست يابت ياللى العنب خضر على جسمك
ادى سنة وحول وانا بابحث على اسمك

ياللى سلوك الدهب فى علبة الصايغ
كسبان يا مشترى خسران يابايع

طلعت كرم العنب اتهز بى التين
قابلتنى عذرا جميلة قالت رايح فين يامسكين
انا قلت رايح ابيع رمارة واشترى سكاكين
واقطع حبول المحبة وامشى فى البلد مسكين

قالوا الزفر مالحمام قلنا الرك عالضانى
عمرك تشوف العين السليمة يشبه لها تانى
والعرض زى الازاز مش معقول يتلحم تانى
عمرك تشوف العجوز يرجع صبى تانى ؟

من بعد سفر الحبايب ياما قست لوعات
روح يانسيم المحبة وقول له ده حبيبك مات
عشان يجى يعزى نمسكه ويبات
واطلعه قصر عال يفوق واقيد له فى الرواق شمعات
وازمزم الكاس واسقيه واقوله اشرب يا جفا انسك
يامهجة القلب يانور العيون سلامات

من قبل مانزل براسى وجد الخلاص فيا
كشفوا جميع الاطبا لقوا جرح الغرام فيا

يالافين الملا لف الملا غية
انا فت على قصركم قاصد ملاغية
ياللى زرعت القصب وسط الملوخية
حب النسا غندرة اما الرجال غية
ياواخد البيض يامعدى الزمن فرحان
ياواخد السمر يامعدى الزمن زعلان
السمر واتكحلوا يبقوا سواد الليل
يتقلبوا عالفراش يبقوا غراب البين
البيض لو اتكحلوا يبقوا شعل شعلع
يتقلبوا عالفراش يبقوا دهب يلمع
من قبل مانزل براسى وجد الخلاص فيا
عيى الجمل يوم راح للبكر ماشى له
قاله لو بعد هالحال ياجمل هات لى الحمل انا اشيله
زهبت ياشيب ماهوش عيب لو شبنا
واحنا احنا مانتغيرش لو شبنا
سيف المحبة وسيف المعركة شبنا
الحظ جابنا ولاننساه لو شبنا
مايهمناش الكبر مادام الغرام جابنا
ده كان مرادى اقضى العمر وياكم
خالفتوا الضمير ليه تعبتوا القلب وياكم

ولما كنا صحبة كنتم تجولى صباح ومسا
ومن ضميركم السو مررتونى فطار وعشا
ولما لقيت ضميركم سو قلت ياخسارة ما عادش لازم المشى وياكم
انا لقيت بختى مع مين لما القى بختى وياكم

خاين يازمانى وديت حبيبى فين
وعلى سرير النوم يتبهدل الغالى
وبعت له جوابات ولا جواب جانى
والناس تبعت جوابات وانا ابعت جرنانى
ياجريد النخل ياعالى ميل وارمى السلام
وارمى السلام لحبيبنا ده غايب له زمان

سجنوا حبيبى وعملونى عليه سجان
ويحل فى شرعكم ياامة الاسلام
انا بعت له سمنة بلدى انا باحسبه غضبان
رد وقاللى انا محكوم ومابيديش
الله ينزل عليك الصبر يا غلبان

سهرت فى حيكم لما انقسم ليلى
ونزل عليا نداكم بل لى سريرى

ياواكلين الطعام ياناكرين خيرى
بكرة تشوفوا زمانى من زمن غيرى

الفن ما يفهمه الا صبى الفن
وان كنت فنان اسعى بالعجل فنى
ده الفن منهم يضيع دفتر العمال
لانى حرامى ولانا فى البلد خمان[١]
دانى رباية طبع مش رباية ضبع
عمى قتل ضبع كان حامى جوافنى

اسد خطف ديل اسد قال ده الاسد خللى
عقلك سليم يأسد ولا عقل السليم خللى
قال انا أسد راس باتباهى بشرب الكاس
وقت أقول حاس الموت غير الاهل ماخلى

المخ جت له غشاوة من كتر الهموم انصاب
قال مخى ما عدش راكب على بعضه
خايف اقول اه يتبحتر مالى على بعضه

(١) خمان = بلا عمل.

وقفت من طاس مابين العدو والناس
ضربنى جناحى يكرهنى مع بعضى

نصوص من الحضرة

قالوا حبيبك هنا انا قلت فين هو
قالوا فى قصر البلد جوه البلد جوه
ودخلت جوه البلد ابحث عليه جوه
لقيت هو القمر هوالحبيب هو
ولما قلبى سكن سكن فيه النبى جوه
روى فؤادى ونضف قلبى من جوه
نور الولاية بتجرى فى الحشا جوه
سبب الولاية قمر وسبب النعيم هو
شرق النبى الزين روضة مامنهاش روضات
جسم البكا عين ولكن كلنا سادات
وبنات عرب النقا لهم عند الصالحين علامات
تبعت نوم العلالى وديت للعلا رايحات
لوكنت هميت وعن الفاحشة اتلميت
لكنت شميت لبنات عرب النقا رايحات

دستور[1] بدستور ياأهل المكان دستور
برب يغلط لسانى انا مقدم لكم دستور
(يرد المشاركون: اتفضل)

ليلة استجدت علينا والخولى نايم
فرح الرغابا وقال الملك للدايم
والراجل اللى قام الليل بقى هايم
يلغى لغى معنوى ويعاير النايم

يارب الارباب انا تايب لوجه الله
تايب عن الحب اما الذكر لا والله
انا فت على شيخ عالم لقيته بيقرا فى كتاب الله
رمى الكتاب من يمينه والتفت قاللى
من عاشر الناس يكون بينه وبين الله

عجبى على رجال فى الضلمة يرى الخافى
بيعذب النفس ويقول لها يانفس ما الحرام خافى
لما عجبنى رباهم انا جيت لهم صافى
وحتى عرب النقا حكموا بانصافى

(١) دستور = مصطلح ليحصل المنشد على الإذن بالإنشاد.

يانفس ماتفرحيش بالمال دا اصل المال مش مالك
دا يوم عرضك يانفس لاينفعك ابنك ولا مالك
جبريل واقف على باب الجليل مالك
ويقول للنار هذا لى وهذا لك
مدد ياأهل البيت نظرة ومدد
الله ما اسبى العقول وافتنا
الا جمال محمد لما دنى
ولتدفنونى تحت كرم يظللنى
ولتدفنونى الا على جبل وعينى تراكم

والقطب عامل فرح وبعت لنا داعى
واللى دعاه النبى جه عالقدم ساعى
لو قامت النار على الامة بلا داعى
ماتهمد النار الا ان شفت يارفاعى

لوكنت ذليت ولا للوداد ناسى
قوللى على ذلتك خايف اكون ناسى
عرفات يقول للنبى ياالله على بابك
ونشاهدك يانبى ونبقو ا من احبابك
قاله وخليك ياعرفات فى خطاباتك

ما يكمل الحج ياعرفات الا بك

مدد مدد

ياعرب وادى النقا مشتاق لواديكم

طمعان فى نظرة رضا لى العشم فيكم

لما هواكم ضربنى جيت اراضيكم

احمل هدى والنزيل انا احتميت فيكم

ده انتم كراما الحيا تتباس اياديكم

مدد مدد

خايف يطول المطال ياعم تتسانى

تتسى مريدك وجايب لك مريد تانى

ندرا عليا ان رجعنا للطريق تانى

لاعمل وليمة واعزم كل اخوانى

وجدد العهد وارجع للطريق تانى

واحلف يمين ان ما خد لعم من تانى

مدد مدد

صبح عليك نور ياحافظ رضا عمك

من قبل ما باعرفك جانى الخبر عنك

من كتر تلك[1] فى الورود صبح الندى عمك

بكرة تقوم القيامة ويندهك بامك

يبقى الشفيع ابن رامة والسبب عمك

مدد مدد

اهل المدد فى البلد ناديتهم جونى

اخرت ليلة على الاحوال عاتبونى

لما لقونى موافى العهد ثبتونى

فرطوا البوارك وحلفوا لم يفوتونى

مدد مدد

تقول للمغيث زود لنا الراتب

زود ليالى الهنا لحافات ومراتب

بكرة يجيلنا حضرة سيدنا النبى على البراق راكب

نبقى نعدى ولانحتاج لمراكب

عينى على ساقية والساقية بتدور

احبالها من تقى قواديسها بنور

سواقها المصطفى احمد بهى النور

ويزمزم الكاس يسقى بنات العرب ويا بنات الحور

---

(١) التل = الشد والجذب.

ان شفتهم ياخلى ودليلهم مجرور
تقولش سكارى ومخدومهم احمد بهى النور

نور النبى بان فى ربيع غطى القمر وكساه
والطير حوم على بيت آمنة وكساه
وفى دجى الليل ياغافل اعمل للكريم خادم
السعد خادم لمن يعطى الفقير وكساه

يالابس الزى قول الزى لبسه ازاى
وازاى يصون الامانة والادب ياخى
ماتشوف عم النبى نصب خيمة بين البراق والرى
وعملت غنام وبتباهى بقولة حى
والراجل الراغب السالك اللى قام الليل فى طاعة القيوم
يقوم من النوم يشرب من براق الرى

وبحق عينك يانبى وياما الجمل حاوى
عقرب جمالك لسعنى قات من حالى
احنا سمعنا حديث مسند على الراوى
انك ضمنت الغزالة وسط مية صياد
يوم القيامة تكون للمعطشين راوى

ليلة رمتنى بين حبال وحبال
ليلة رمتنى للوحوش وللغيلان
واقف على الحوض لكن يامريد عطشان

احرس جمالك يانبى جمال الخد يرجفنى
وحرم النوم عن عينى وعن جفنى
اسأل سهيل فى السما خدم النجم يعرفنى
ان كنت نوام والا النوم يجى جفنى

سبحان من صورك يامصطفى من نور
وكملك بالمحاسن والبها والنور
اسمك محمد ياسيدنا وبعثك فى الكتاب مذكور

ضوء الكواكب وضوء الشمس والاقمار
كله من النور طه المصطفى المختار
صبحت عيون خالية من الضيا فيهم
صبحت عيون خالية حلت بهم انوار

ليلة كحلتنى معاها بكحل العين ربانى
وقالت كيف افوت قديمى اللى على الخيرات ربانى

من فات الاول هتك الله سيرته
من فات الاول ما يربط يوم على التانى

ليلة عزمتنى وقالت خش فى دارى
متهوم حدا الناس لكن عند الكريم بارى
دارى على بلوتك ياللى ابتليت دارى
وانا كيف ادارى ونور المصطفى جارى
يابخت من تهموه وهو عند الكريم بارى

كل الخلايق تجتمع دا اليوم
يارب واسبل علينا الستر فى دا اليوم
داحنا سمعنا رواية من فوق عريس الكوم
مشى الطريق غندرة اليوم وغير اليوم

طبت بنات عرب النقا نصب الآذان عالريح
جاءت لهم من تقى يا شربهم تسابيح
والراجل اللى سمع شتيمته بودنه قال دا كمثله ريح
عرضوه على الغسل وجدوا المسك منه يفيح
بحر الجلالة غويط فيه المر والقاسى
سهر الليالى على غلب الزمان قاسى

حرص على مركبك دا حبهم قاسى
وجلالة حلوة ونور نهدى به العاصى

بكت المساجد وقلت فين جلسانا
لما الموافى رقد فى البيت ونسانا
وبحق تربة نبى زين ابو عيون نعسانة
ما يشرح القلب الا ذ كر مولانا

لما هبنى الشوق انا اللى تهت فى الخيمة
ولما وصلت الحما الا بصيد قدمى
لو كان قدمى ياسادتى يرضى خواطركم
نظرة من الله ارجو يصير قدمى
انا المتيم وحبة البرسيم توزنى
وكلمة واحدة بطول العمر توزنى
وبحق نور النبى اللى مركب الحاجب على النني
كى المحاور ولا بعد النبى عنى

يارب توبة نصوحة قبل عصيانى
قبل ما اشيب وانحنى وامشى بعصيانى
اوصيك يا صاحبى عند الممات تحضر اكفانى

تمشى ورا مشهدى تبكى على شانى
توقف على تربتى وتقول يارب ارحم عبدك الفانى
اللى لا كان يشبع من الدنيا ولا يقول يكفانى

عجبى على ولد مدبوح ودمه فيه
انا قلت ياست يأم هاشم جالك خطاب اقريه
دى قبل ما تقراه عرفت جميع ما فيه
بصت على جبهته لقت العلامة فيه
قالت مجروح فى حبنا اليم لنداويه

ناديتها يا يمن قالت انا اسمى فوز
قلت ياهنترا[1] عازبة ولا معاكى جوز
قالت انا لا عازبة ولا معايا جوز
انا ابن الطريقة اللى يحوزنى حوز
يميل على الدن يشرب خمرة من غير كوز

ياللى محاسن جمالك اخبروا عنهم
اهل العلوم بحثوها واعجزوا عنهم
وفى الرسايل يقول لك ربنا ارفع

---

(١) ياهنترا = ياتري

انت تقول امتى وانا عفيت عنهم
وحق عينيك يانبى وسهر الليل تغلبنى
خلفت لى جرح طول الليل يغلى بى
ندرا على ان وصلت البيت لحبيبى
واترك يمينى على الشباك واتمنى
واقول لعينى انظرى حرم النبى طيبى
يازاير سيدنا النبى روح زور واتهنى
ياارض سيدنا النبى روضة من الجنة
والراجل اللى اقام الليل واتهنى
ان شد عينه يشاهد مالك الجنة
لما عمر حب طه وانشغل باله
قاله دى منه عمر راح يعجبك حاله
قاله دا بنى زين واحمد كحيل العين
من حسن طبعه تلا العشاق بزمانه

نادى النبى ياعمر قاله نعم نعمين ياطه
قاله انا حابعتك ياعمر بلاد الكفر حارب وخش جواها
لو اسلموا ياعمر زين لهم اوطان
ما اسلموش ياعمر هدهد كنايسهم
وابنى مكانها مساجد تعبد الاسلام جواها

بكرة نموت وندفن تحت دار طينة
والدود ياكل حواجبنا وعينينا
وتركب الوجه غبرة بعد دار زينة
لو كنا نعلم بان الموت يأتينا
ما كنا حطينا طوبة فوق طوبة وبنينا وعلينا
روحى يا دنيا الشوم راح العمر لارحنا ولا جينا

ياعرب وادى النقا قول للهزيل ينساك
قلنا بلا معيرة داحنا على الندهات
وان خسع الحى فينا تفزع الاموات
والسالك الراغب اللى قام الليل بالهمات
ان شهد بعينه كل رب فات

سبحانك الله خلقت المصطفى من نور
وخلقت حوا وآدم من جنان الحور
وخلقت موسى منادى فوق آذان مذكور
تغفر ذنوبى اذا انحطت مقاديرى
وانت عليك العوض ياجابر المكسور

عجبى على رجال سكنوا البهنسا[1] الغرا
شربوا من الدن لا كاس ولا جرة
آدى شجرة الورد تطرح كل عام مرة

---

(١) البهنسا = مصطلح يطلق علي الواحة.

وخدود نبينا محمد بطول الدهر محمرة
نكتب بعشرة وتحلى عيشة المرة
نطق لها الضب والثعبان والصخرة

ياست ياللى تبيعى العيش بقمح جديد[1]
فوتى عليا وانا اشترى كل يوم بجديد
وبحق من اذنوا له المآذن فى ليلى العيد
ما يشرح القلب الا كلمة التوحيد
ريس على مركبه وعمل قلوعها توحيد
وحلف يمين عن ذكر الاله لم حيد
فى اول الليل بيقرا فى الورود ويعيد
فى آخر الليل سلم على حضرة سيدنا النبى بالايد

عجبى على ولد كان ماشى ورا سيده
جته العناية صبح سيده يبوس ايده
فى اول الليل بيقرا الورد ويعيده
فى آخر الليل دخل سلم عالنبى بايده

ان كان بدك تنول السعد فى الدارين
اترك هوى النفس والشيطان سوى الاتنين
وافعل تلاتة بهم رب العباد يرضى

---

(١) جديد = عملة نقدية من القرن السابع عشر.

مشيك ورا الجنازة وطلاتك على المرضى

واصلح ما بين اتنين بيناتهم بغضا

أغانى القاعة

يطلق اسم غناء القاعة على كل أنواع وأشكال أغانى السيدات والفتيات، نسبة إلى مكان تجمعهن فى البيت للاحتفال (الحريمى) والتى تكون مناسباتها :

١. احتفالية الزواج (بخطواتها المختلفة)

٢. احتفالية الحج

٣. احتفالية الطهور

وهناك عدة ألوان لأغانى القاعة، منها، أغانى (الواحى)، وهى تعتمد على الغناء الفردى والرد من مجموعة مشاركة، وبدون ايقاعات مصاحبة، أغانى الطبلة (الدربكة) بمصاحبة ايقاع الكف ورقص البنات، وأغان (العرب) وهى تماثل تماما غناء المرأة البدوية فى منطقة مطروح (عرب غرب) من حيث اللحن والأداء وتختلف فى المفردات الأدبية.

(بعض نماذج من أغانى الواحى)

يافرحتى ياناس بعبرة الغالى (عبرة بمعنى دخول)

مادام نصرنا الله شمعى يقيد تانى

يافرحتى ياناس بعبرة الحيلة[١]

(١) الحيلة = الابن الوحيد.

مادام نصرنا الله شمعى يقيد ديمة[٢]

يافرحتى ياناس بعبرة الاتنين

مادام نصرنا الله شمعى يقيد فى الليل

ويارب خللى اللى يحبه عينى

وياسر وبيه[٣] يسلم الاتنين

ويارب خللى الحيلة ويا الحيلة

وخليك ياياسر لامك المسكينة

وانى لى زمان داير على دا اليوم

وافرج هموم قلبى على دا اليوم

واقول لربى الكريم دور عليا يوم

ياسعادتى وقبالى قبل[٤] الزمان علينا

خللى قريبى يفرح عدد ما بكو عينينا

وياولاد عمه ساعدوه الليلة

لاغير يقولوا ده قليل العيلة

وياولاد عمه ساعدوه يسعدكم

لاغير يقولوا ده غريب مش منكم

وياولاد عمه ساعدوه شوية

(٢) ديمة = دائما.

(٣) بيه = أبوه.

(٤) قبل = أقبل.

لاغير يقولوا ده قليل اهلية

انالى زمان داير على الساعة

وافرج همومه قال دى على الساعة

اقول لربى الكريم داير على الساعة

كله على ده اليوم دارى على زمانه

يديه عمر طويل ومال على ماله

واللى على ده اليوم جاب العزيز ستين

يدى له عمر طويل ومال ورزق كتير

وياعمته قيدى الشموع وتعالى

وتعالى افرحى لاولاد اخوكى الغالى

محمد يامحمد ياعود سقفنا

ربك كريم يحميه ويخليه لنا

ياليلة الحنا نشريكى بمال

فرحتى لمحمد ياام الرجال

ياليلة الحنة نشريكى كدة

فرحتى لمحمد يا كيد العدا

ياباىع الحنا وتعال عندنا

خنى اشترى منك حنى بنتنا

ياباىع الحنة تعا ليلة الخميس

خنى اشترى منك واحنى العريس

يابايع الحنة تعا ليلة التلات

خنى اشترى منك واحنى البنات

مملوك صغير زين غالى عندنا

ربك كريم بيه ويخليه لنا

والحمد لله اللى طلبته جانى

واطلع على كوم الدهب هديته

وانا اقول لربى اللى طلبته جانى

وانا اطلع علو كوم الدهب من تانى

وانى اقول لربى اللى طلبته جانى

ويارب خللى اللى طلبته جانى

من اغانى القاعة (أغانى الدربكة)

بالصلاة عالنبى

البت قالت لأبوها ··لاامشى وحدى

فتح ورد الجناين كرامة للنبى

البت قالت لأبوها لأمشى وحدى

وانام انا وعريسى فى الاوضة البحرى

والبت قالت لابوها المية فى القنا

ضيعت عليا الجيزة عامنول والسنة

البت تقول لابوها المية فى البلاص

ضيعت عليا الجيزة ياراجل ياخباص

يافول ياسودانى يامسلى العاشقين

وانت تسليك عروستك وانا يسلينى مين

هيصة ··هيصة ··

ويا العريس ··هيصة

خدت العروسة

زى البسبوسة

ياشرباتات

فى الكبايات

ياكيلو لحمة

عروستنا احنا

يـاست الـكل

·······على ورق الفل

على نور العين رسينا يا قمر

دى حلاوة الزين شكلاته وعين جمل

حط ابرة على ابرة وكمان ابرة على ابرة

واذا كنت غاوى هات الدبلة

حط طوبة على طوبة

روح ياواد دانا مخطوبة ··ياقمر

عنبى ياعنبى ياعنبى

يافيومى وبناتى

ادى العنب فى بلاده رخيص

وانا بافصل وانا باقيس

وانا بامسى على العريس

يافيومى وبناتى

ادى العنب فى الصفيحة

بكام الكيلو ياسميحة

ولا بعشرة ولا بمية

لك بلاش يادوى عنية
ادى العنب فى بلده غالى
يامن يجيبلى شاغل بالى
يكتب عليا يبقى حلالى
يافيومى وبناتى
اه ياعريس يامين قده
اه ياعريس يابو شوشة
يابو خواتم منقوشة
مبروك عليك
العروسة
يافيومى وبناتى
اه يا عريس يابو لبانة
يا كايد الناس كلها
حتى البنت وامها
يافيومى وبناتى
ابويا قاللى ياسعدية
ياغلة بيضة منقية
عاشت الاسامى والتربية
يافيومى وبناتى
احنا تلاتة ولاد خالة

لا لينا جيب ولا سيالة
واحنا ربابة رجالة
يافيومى وبناتى
ادى سماح وادى قعدتها
زى البطة ياحلاوتها
تسلم البطن اللى جابتها
يافيومى وبناتى
آه ياسماح قولى لماما
افتحى صدرك للنوار
خللى عريسك يتصور
وله ياوله ياعرباوى
خدت الاصيلة ياولا والمهر غالى
احمر وعامل فرح احمر
ومنين اجيب لك بلح احمر
والعروسة لابسة احمر
ده قاللى عايز مشمشة
ومنين اجيب له مشمشة
بعد العصر بعد العشا
ده قاللى عايز ارنبة
ومنين اجيب له ارنبة

بعد العصارى المرتبة

* * *

يالعريس وانا جاى اباركلك يالعريس

ده الـعـريس اول فـرحـة

قوم ياعريس شوفلك سرحة

قوم دى عروستك هدية

خدت البنت الصبية

وانا جاى اباركلك

ده العريس شد سفينة

....

ابويا قاللى ياسماسم

ابويا قاللى ياسمارة

ياكايدة جدعان الحارة

كل شوية محتارة

....

ابويا قاللى سيبك منه

وانا اجوزك اجدع منه

جدع صبى يفهم عنه

ابويا قاللى سيبك سيبك

ما تاخديش الا حبيبك

كل ماتمشى يمسك ايدك

ابويا قاللى ياروايح

البحر جاى ولاهوش رايح

يكفينا شر الفضايح

* * *

عالاملامة ياولا عالاملامة

يارب الغايب عندنا يجى بالسلامة

زى الطماطم ع المصفى عالاملامة

واللى قلبه عمره مايصفى عالاملامه

عدت علينا عربية

فيها تلاتة افندية

ورقصنى عالشمسية

عدت علينا طيارة

فيها تلاتة امارة

فيها خالى ابو نضارة

* * *

ويكى.....ويكى

من عند بيتنا ويكى

بس الوله ييجى

كان عالمحطة
لادبحله بطة
بس الوله ييجى
لابعت له سميحة
وارش له ريحة
بس الوله ييجى
من عند العمدة
واعمله كرنبة
بس الوله ييجى
هيصة...هيصة
قولو لابوها يخلف
ويجوا ياخدوها ويحلف
اللى ماحدش غلبه
يحلف باخوها وشنبه
يحلف باخوها الغالى
ولبستى لبس العالى
ويروح لابوها وعمته
وهو يحلف بزمته
راح لاخوها ياجدعان
راح وعدا عليه زمان

***

مش كل الحموات ياحماتى حلوة
جابت طبق البصل
الاكل فداكى ياعسل
جابت طبق الجرجير
جابت لى الطبق عالسرير
قالت لى فداكى ياعبير

***

على دلعونا على دلعونا
سافروا الحبايب ولا ودعونا
على دلعونا دلعونا انتى
خلطنا السكر عالتمر هندى
وان خيرونى ما اخد الا انتى
واستنى اخوكى وادفع مليونا
طلعت الجبل ازرع بطاطا
ونزلت الجبل أكل البطاطا
جابلى حبيبى مكنة خياطة
لاعمل عليها قميص النوم
وطلعت الجبل احكى واحكى
ونزلت الجبل أحكى وأحكى
وبعتلى حبيبى جواب يبكى
وما اردش عليه ابن الملعونة

هاتلى الصابونة وكوز المية
اخدكياموحة على ورقة بمية
واكتب لاخوكى الف ومليونا
ياما انا راسى يامانا راسى
وزمان العيلة حمال مقاسى
لاخدك ياموحة على الكراسى
انا ياعروسة م البدارى
انا اتحبيت ولا عرفش ادارى
اميل ياغالى من حارة لحارة
ياميت صلاه ع الخفة السمارة
امانة عليك يارايح الوزارة
انا ياناس م الحارة البحرية
يادى الذوق ع الخفة المصرية
اناياناس من حارة طويلة
امانة عليك يارايح المدينة
انكس على ركبك واصطاد الغزال
ياأمير يا صغير ياقاضى النيابة
يامالوما ياملوما هنابا
ده عيان هاتوله لمونة
يامحلى اديك عريسك ياسونة

وتعالى ياواد على شارع الطاحونة
ونطفى النار فى مية ملانة
وده عيان هاتوله طماطمة
يامن يديكى عريسك يافاطمة

* * *

الله ياليل ياما طال الليل
على خاطرى يانعيم القلل
عدى النيات وانام
زى القمر مملوك صغير ياناس
عدى الليالى وانام
ويا القمر سهران ٠٠عدى الليالى وانام
اه يادنيا يادنيا يادنيا
باعوا النحاس وجابولى المونيا
اه ياناس من دلع اليوم
مايشبعوش من كتر النوم

الله ياليل ياما طال الليل
ع البحر ع البحر شاورلى بتفاحة ياليل
يحسبنى يامه قليلة العقل راح اجيله ياليل

ده العقل زينة وانا حافظة مواويله ياليل

ع البحر ع البحر شاور لى بلامونة ياليل

يحسبنى يامه قليلة العقل مجنونة ياليل

يابت ابوية زى التبر مضمونة ياليل

ع البحر ع البحر شاورلى بفرع لمون ياليل

يحسبنى يامه قليلة العقل ع التلفون ياليل

ع البحر شاور لى بتفاحة ياليل

يحسبنى يامه قليلة العقل فلاحة ياليل

روح يالجدع خدلك يومين راحة ياليل

وانتى اللى فيكى شبك قلبى ياليل

عمتى ياعمتى ما تلبسيش دبلان ياعين

وانا اخاف عليكى ياعمتى من وقفة الجدعان

عمتى ياعمتى قيدى الشموع وتعالى

تعالى افرحى ياعمتى لابن خوكى الغالى

عمتى ياعمتى قيدى الشموع وفتيلة

وتعالى افرحى ياعمتى لابن خوكى الحيلة

ياسكر دايب ياسكر دايب

لابله كله يوماتى واسقى الحبايب

سكر مكنتنا ياوله سكر مكنتنا

سكر ولمون ياولا سكر ولمون

شوف ده يوماتى وجيب الماذون

ياللى انت غاويها ياولا ياللى انت غاويها

عايزة مساكن شعبية والراديو فيها

حلى غطاها ياولا حلى غطاها

دا انا عايزة مساكن شعبية ومحمد طه

* * *

يابنت الاكابر ياسايقة الدلال

ياسكر مكرر من اغلى بلاد

تستاهلى ياللى بقالك دورة

يطبخ ويسقى ويغرف لدولا ودولا

يستاهل السيد فى بيت ابوها

تستاهل ياللى رجالك دولا

ياحلو وايش دلك على دى الحارة

خدت الاصيلة وامها نوارة

ياحلو وايش دلك على حتتنا

خدت الاصيلة ست بيت حتتنا

اه يا عرايس ياعرايس يانا

الفرحة هلت والقلوب فرحانة

اه ياعرايس ياعرايس ياللى

خليك تبانى فى السرير ماتخلى

خللى اللى شافك والقلوب ما تسلى

يا عروسة يام العيون نعسانة

ما تيجى هنا تطرح اللامونى

فيها المشقق والديوك الرومى

ما تيجى حنى ايدك ياعيونى

شجر الغرام والحب ولع يانا

انزل وغطى البطة بالترسينا

شافت حبال الكهربا والزينة

بصت بعينها خطفت الياسمينا

ياشاركونا فى كل حياتنا يانا

هات الجنينة تطرح الفول اخضر

فيها العرايس والعروسة تتمخطر

ما تيجى تمسك ايدك ياسمر

ادى الغرام والحب ولع يانا

ادى الجناين تطرح اللمونى

وادى العريس والعريس مجنونى

ماتيجى تيجى اكحلك ياعيونى

شبك الغرام والحب ولع يانا

من أغانى الحج

الحاج من عندنا .كبير العمامة ـ حجته مبروكة ييجى بالسلامة.

الحاج من عندنا صغير ياربى ـ حجته مبروكة ولبسه عروبى.

اركبى ياحاجة واوعى تميلى ـ سلامتك ياحاجة ياعينى اليمينى.

اركبى ياحاجة واوعى تخافى ـ لا تخافى ياحاجة ولدى وراكى.

اركبى ياحاجة ولمى الملاية ـ حججونى ولادى وحفظوا الربابة.

فقرة من أغانى الطهور

. طهرة يامزين من حارة لحارة ـ دا نقوط الغالى ريالات حجارة.

طهرة يامزين واوعى تبيكه ـ ده عزيز على أمه يارب خليه

أغانى العرب

قال يا حلو يا لابس الحلو.. يازين يامعجبانى

قال وعندى احمد وبيه ـ ونشكى لهم.

يا حلو ياﻻبس الحلو - يازين يامعجبانى

سنه حجر سعد لما ينزله حد اكنه(١) حجر خيزران.

عمر بيتى أبويا- وقاد الفوانيس من تانى.

انا عند ولا اتنين رديعه ـ وعندى محمود وبيه اشكيلهم بالوجيعة ومحمود وخيه يا أرض ـ يارب خضر حياته

---

(١) اكنه = كأنه.

وعندا كرم فيه ـ نتمتعوا فى حياته

وعربيته منورة به ـ ووديه للدار سالم

ومحمود ياحيلة امه ـ وانا يارب عالم

وعربيته سايقها ووديه نجوع المدينة

ومحمود وخيه يا شارح القلب زينه

قال وده أحمد ويا عقد خضر ـ ويارب خضر قناياته

ويزرع لنا الخير ونتمتعوا فى حياته.

(المولد والحضرة)

المولد فى الواحات الداخلة ليس كمثله من الموالد فى مصر..!! تلك التى ترتبط اقامتها بمناسبة ذكرى مولد أو وفاة أحد الأقطاب الدينيين من ذوى الأضرحة، ممن تنسج حولهم العديد من الكرامات، وتقام لهم احتفالات سنوية بصفة دورية، لذلك، كان لكل محافظة (ان لم يكن لكل مركز أو قرية) فى مصر مولدها المميز والخاص بوليها، إلا الواحات الداخلة، فهى لم تعرف هذه الظاهرة، باستثناء قرية أسمنت التى تتخذ من الشيخ عبدالكريم، وليا، ليس له مولد محدد ولكن ـ فقط ـ تقام بجواره حضرة أسبوعية وليس مولدا ، وبرغم انتشار قباب المشايخ التى تنتشر بصورة ملفتة فى ربوع المنطقة إلا أنها بعيدة تماما عن ممارسة عادات الاحتفال بموالد لها، بل أن الأمر يصل إلى عدم معرفة اسم صاحب القبر المدفون تحت هذه القبة..!! وهى حاليا ليست سوى أمثلة مادية لدراسة العمارة الشعبية للقباب..!! ومن المعروف تاريخيا أن هذه الظاهرة كانت واسعة الانتشار فى العصر العثمانى وما قبله، لذلك فقباب المشايخ تنتشر بكثافة فى قريتى القلمون والقصر، العاصمتان آنذاك.

لذلك فإن تسمية تلك الاحتفالية التى تقام هنا فى منطقة الواحات الداخلة باسم المولد، ترجع أسبابها إلى (النصوص) التى تتضمنها هذه الاحتفالية، فهى ـ فى مجملها ـ لاتخرج عن أدبيات الإنشاد الدينى، والقصص النبوى.

ورغم ذلك الاتفاق بين نصوص (المولد الواحى) مع هذه النصوص العامة، إلا أن الاختلاف يتضح فى قوالب الأداء، فيأتى

هذا المولد مغايرا تماما لما يحدث فى باقى ممارسات الموالد الأخرى.

وقوالب الآداء تخلق الفارق ـ أيضا ـ بين المولد والحضرة، حيث تتشابه بصورة عامة نصوص الشكلين فى موضوعاتها، مع الاختلاف فى توزيعها اللحنى (الموسيقى) فمنها مايأتى فى قالب يلتزم بإيقاع بعينه، ومنها ماهو مرسل على طريقة الموال، حتى أن هذين القالبين (المولد والحضرة) ينقسمان ـ داخليا ـ إلى شكلين وبنفس القاعدة.

فنرى فقرات المولد تأتى فى شكلين متتالين متتابعين، بحيث تكون البداية الافتتاحية بطريقة مرسلة فى الآداء الغنائى غير الموقع، تتلوها فقرة غنائية تصاحبها آلات إيقاعية (طبلة، بازة، رق، صاجات، كاسات.. الخ) ثم فقرة كالأولى، وهكذا، ويتميز المولد بفردية الآداء الرئيسى لمنشد واحد، وجماعية الرد الذى يشارك به جمهور الحضور من العامة فى الفقرة الإيقاعية، ويكون المنشد واقفا أمام جمهور المولد.

تأخذ الحضرة ذلك الشكل التقليدى للذكر المصرى المعتاد، وهناك بعض الاختلافات بين أشكال الحضرة فى قرى الواحات الداخلة، طبقا للطريقة التى يتبعها المشاركون، فهناك الطريقة البيومية، والطريقة الصوفية، والطريقة الدندراوية .. الخ، وقد تقاسمت هذه الطرق أيام الأسبوع لإقامة الحضرة الخاصة بكل منها.

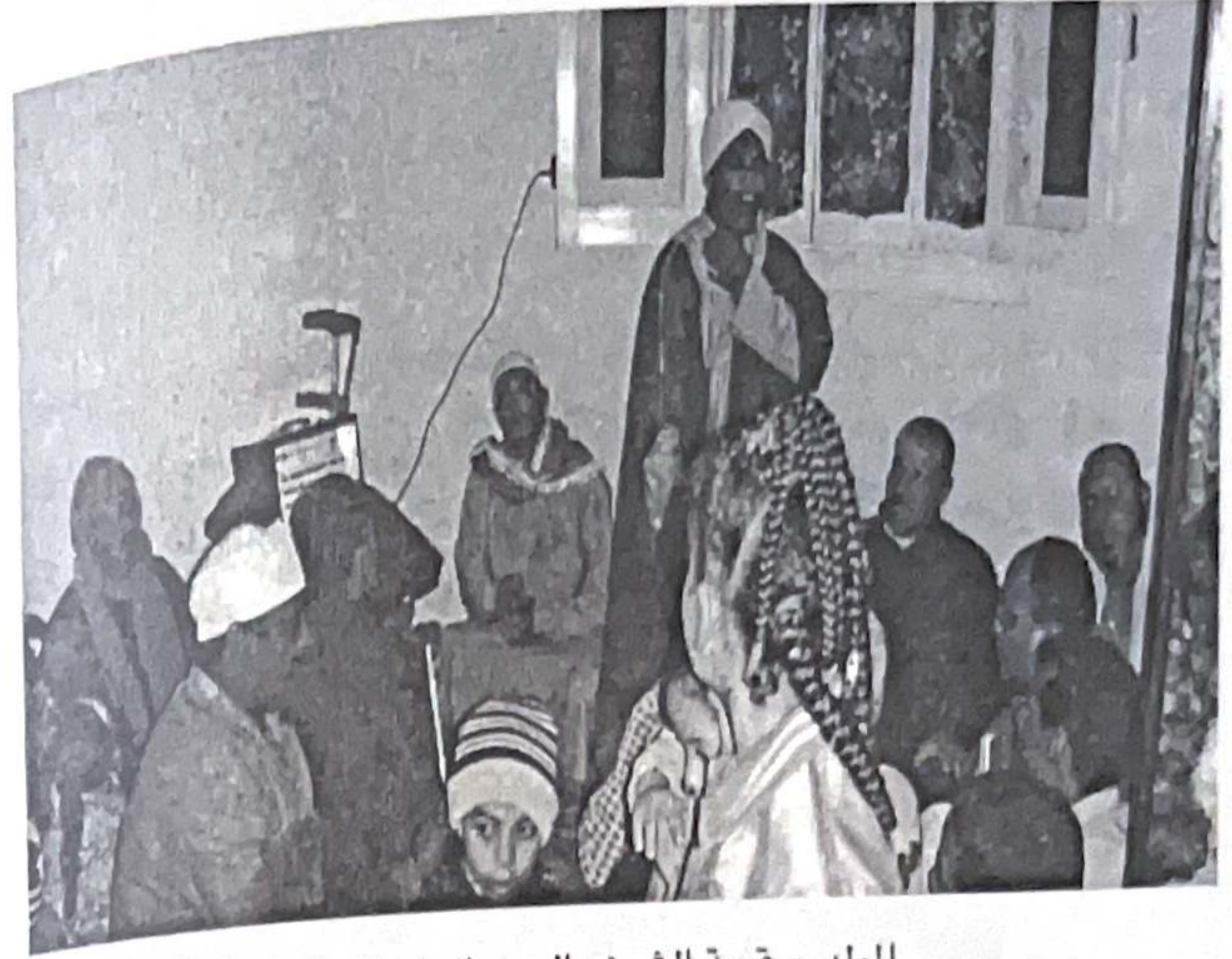
ومن السمات المميزة لهذه الاحتفالية تلك العادة المرتبطة بإقامة الحضرة فى الواحات الداخلة، وهى الوجبة التى تقدم للمشاركين

عقب نهايتها، والتى يطلق عليها اسم (الربح) وغالبا ماتتكون الوجبة من مخبوزات جافة، ومشروبات، وبلح، وفول سودانى.

استمرت احتفالية المولد والحضرة كواحدة من الفقرات المكملة لاحتفاليات الزواج حتى العقد الأخير من القرن العشرين، وبطابع محلى صرف، لايرتبط باحدى الطرق المعروفة حاليا فى مصر،فقد ظل الشيخ محمد المعصراوى هو نجم المولد والحضرة على مدى مايقرب من نصف قرن، وبعد وفاته تعددت الطرق والأصوات، وانتجت القرى أشكالا خاصة بهذه الاحتفالية لكل منها، ولكن بفروق طفيفة.



الحضرة – العوينة – الداخلة



المولد - قرية الشيخ والي - الداخلة

ونورد هنا بعض النصوص التى تتضمنها الموالد والحضرات فى الواحات الداخلة، بصفة عامة.

من نصوص المولد

فقرة إيقاعية

صلوا على خير الأنام ـ المصطفى بدر التمام.

صلوا عليه وسلموا ـ يشفع لنا يوم الزحام.

صلوا عليه يا حاضرين ـ أحمد ختام المرسلين.

هو الشفيع فى المسلمين ـ وتوسطه يوم الزحام.

صلى عليك وسلم - يا سيدى رب السما

فى مكة لما ظهر ـ فى مسجده ظهر القمر.

هلت الأنوار ـ به على كل الأنام.

نبع الحبيب ـ حليت فى عين اليقين.

يجعل... لى نصيب يا خاتم الرسل الكرام.

لولاه ما أذن بلال... ولا القمر كان له هلال.

لولاه ما كانت حدود... ولا صلاة ولا سجود.

والورد من فوق الخدود ـ على المظلل بالغمام.

يا رب يا الهادى الأمين ـ يجود رب العالمين.

المستمع والحاضرين ـ وتوب علينا يا سلام.

يا رب يا الهادى الأمين ـ من جاء بالذكر الحكيم.

اغفر ذنوبى والحاضرين ـ يا رب وأحسن لنا الختام.

يا رب بالنبى توعدنا ـ ونشد بيت الله والنور.

حجة وتتم فرحتنا ـ ونزور حرم الرسول.

يا رب... نزور ـ والكعبة نزور.

يا رب بالنبى توعدنا ـ ونشد بيت الله والنور.

حليمة لما رأت ـ أنوار النبى أشرقت.

وتجلت وعانقت ـ وقد حنت تحت اللثام.

وأنشدت وهى تقول ـ من بعدها مات الرسول.

والورد من فوق الخدود ـ حتى يظلل بالغمام.

طلع البدر علينا ـ من ثنيات الوداع.

وجب الشكر علينا ـ ما دعا الله داع.

طلع المبعوث فينا ـ جئت بالأمر المطاع.

جئت شرفت المدينة ـ مرحبا يا خير داع.

أشرقت أنوار محمد ـ فاختفت منه البدور.

أنت شمس أنت قمر ـ أنت نور فوق نور.

يا محمد يا حبيبى ـ يا كريم الوالدين.

وعليك الله صلى ـ يا ختام المرسلين.

- صلوا عليه... (الفاصل بين فقرتين)
- اللهم صلى وسلم وبارك عليه....

فقرة انشاد

يا رب انا اتكالى واعتمادى على من يعلم الأسرار.

باقف على بابك يا رب دا مدح المختار.

واللى يصلى عليك يا حبيبى يا شفيعى يا ؟؟؟؟ يا سيدنا النبى.

؟؟؟.؟ عليه أنوار.

اللى يصلى عليك يا حبيبى طه بتلألأ عليه أنوار.

ده بحر الجلالة غويط ذ ما تدركلهوش قرار.

ما فيش حداهم انهمك قال كشف بالمنظار.

اللى أشاعته سليمة بيورد على الخمار.

أنا طفت شرق البلد غربى أدور على العطار.

يوصف لحالى دوا، وصف لى جالى دوا.

زرد عليا النار ـ ده اللى انكوى بحب النبى.

لازم يكون على البلا جبار....

يا آل بيت رسول الله حبكم ـ

فرض من الله وفى القرآن أنزله.

يكفيكم، كفاكم من عظيم الشأن، أنكم،

من لم يصلى عليكم لا صلاة له...

سعدت بمولد أحمد الأزمان...

وتعطرت بعبيره الأكوان.

والشرك أنذر بالنهاية عندما

ولد الحبيب وأشرق الإيمان.

، وضعته آمنة تقيا مشرقا، نقيا طاهرا،

تاج المحيا صاغه المنان تتلألأ الأنوار فى بسماته،

وأتم حسن صفاته الرحمن،

وبدت بمولده الشريف بشائر

ظهرت بمولده الشريف

قدسية وتزلزل الايوان،

والنور فج من الصحارى كلها

شرف بمولد خيرة الولدان.

فقرة ايقاعية

يا جمال النبى ـ يا حنان سيدنا النبى.

والله العظيم يا ناس ـ ما لنا غير النبى.

والله العظيم يا ناس ـ ما حشيفع غير النبى.

النبى هو هو ـ ساكن فى الحشا جوة..

مالنا غير هو ـ وصلوا معانا عالنبى.

آه يا جمال النبى ـ يا حلاوة سيدنا النبى.

والله العظيم يا ناس ـ حبيبنا سيدنا النبى.

النبى هو أحمد ـ سره فى الورى أمجد.

لما ر بنا أوجد ـ يا سيدنا النبى.

ريق المصطفى بلسم ـ سره بالورى طلسم.

لما ربنا أختم ـ بحياتك سيدنا النبى.

ريق المصطفى سكر ـ من شاهد نوره حيسكر.

لما ربنا أمر ـ قاله صلى على النبى.

ريق المصطفى عنبر ـ سره فى الورى عنبر.

لما ربنا أمر ـ بالصلاة على النبى.

يا معيد الأعياد ـ عود علينا الأعياد.

بالاسعاد والامداد ـ علشان نبغى المدد.

فقرة انشاد

فى يوم المصطفى بان الصفا والنور،

والأنس عم الأراضى والسما بالنور،

والشرك راح وارتحل خلى الضلام بقى نور،

فى ساعة الفجر ١٢ ربيع أول،

اتولد الحبيب النبى، سيد الأكوان بنفحة عظيمة النبى،

وهلت على الأكوان، آدم خلق من طين لكن النبى من نور...

ياللى نطق لك ذراع الشاه يا حبيبى يا طه، أمام القوم،

وقالك احذر يا طه لا تأكلنى دانا مسموم

ياللى الحصا فى يمينك سبح القيوم،

والماء نبع من كفك يا طه حتى روى جميع القوم،

مشيت على الرمل يا حبيبى يا طه وابن لكشى ولا أثر ولا علام،

مشيت على الصخر صبح قدمك على الحجر مرقوم،

عجبا على اللى انشغل بيك ازاى يجيله نوم،

فى يوم مولد الكواكب أشرقت،

جعلت ملائكة الزمان موكبا،

عودوا لى يا آل بيت محمد

لما حضر زان المكان ونور،

طبيب المبالى حضر النبى يكشف على المشتاق،

ده فى من نظر له سكر، وفى من نظر له فاق...

وفى من وصف له دوا وفى من وصف له دوا حراء

، وفى من وصف له حصن توحيد من الخلاق،

وفى من وصف له سم علشان يكون ترياق....

يا أم العواجز يا ماما أنا عاجز ولى رجاء،
أروح لمين وأقول يا مين اشتكى وانتى دوا العلاء،
عاوز تنول الرضا والوصال ذاكر ليلاتى فى الأسماء،
اللى يترجم تكلم على العلماء
أصل العناية خمر والوعد ما لخلاق

فقرة مولد

يارب بالنبى توعدنا ـ ونحج بيت الله ونزور.
حجة وتتم فرحتنا ـ ونكون سوى عند الرسول.
نشر من زمزم ميه ـ ....
الحج نوينا ـ فى الحسين ده صلينا.
وفى السويس استنينا ـ واحنا نصلى على الرسول.
صلينا واستنى شوية ـ الباخرة رايحة وجاية.
يا محلى زينها على المية ـ وهى رايحة حدا الرسول.
محلى البواخر محلاها ـ محلاك يا حاجج جواها.
محلى البوارج زايناها ـ وهى رايحة حدا الرسول.
لما وصلنا إلى جدة ـ جلسنا فيها مرة.
اتكتبت لينا الحجة ـ واحنا نصلى على الرسول.
لما وصلنا المدينة ـ نور النى هل علينا.
شفنا الحرم بعنينا ـ واحنا نصلى على الرسول.

واللى جاب الخير يقعد ـ واللى جاب الشر يبعد.
لمسنا الحجر الأسعد ـ واحنا نصلى على الرسول.
لما دبحنا الدبايح ـ والمسك والعنبر فايح.
والجى يقول للرايح ـ بالله نصلى على الرسول.
باب السلام محلى جماله ـ فى الكون ما شوفناش مثاله.
والناس رايحة وجاياله ـ وكله عند الرسول.
يا طالعين جبل عرفات ـ يا راميين سبع جمرات.
اطلبوا مغفرة السيئات ـ ببركة سيدنا الرسول.

فقرة إنشاد

بين البحور موقعى والموج بنى لى دار.
من كتر شوقى لك يا نبى ـ دمع عينى لين الأحجار.
وبحق من أنزل القرآن على المختار ـ من كان ضميره النبى.
لم يمس جسده نار...

على نورك يا سيدنا النبى الله...
أنا كنت عيان لكل الحكما ودونى، وما خلو طبيب يا ناس إلا ما ودونى.
وصفولى كل الدوا بالمر سقونى، ما نفعشى فى الدوا وفاتونى.
ولما جسمى انهرا من كتر ما عطونى، جانى طبيب الدوا فى الغرام.

مثلى ومجنون، قال لى العيا ده غرام حتى عيونى.

أنا كنت زيك يا ولد جسمى مفتون واحتاروا فى الأطبا.

ولما ودونى لنور جمال النبى راح العيا الدونى،

وظهر عليا الشفا يومها وهنونى.

يا وصفين الدوا ما فيش دوا فادنى.

فى السند والهند يا ناس مالقتش الدوا فادنى.

ما فيش دوا للهوى عند الحكيم فادنى.

ودواى عند حبيبى محمد اللى هو حيفيدنى.

ودونى له بالعجل هو اللى حيفيدنى.

عجبى على مبتلى عاجز عن الدراويش.

رمانى فى سكة سفر ومغطيينه بريش.

نادى وقال يا أحبة أمانه ما تسيبونيش.

أنا عاشق جمال الحبيب النبى عاجز وما بمشيش.

عاشق جمال يا طه، أنا عاجز وما بيديش .

قولوله ازاى نعولك معانا يا ولد فى الحر يا دوريش.

ازاى نعولك معانا والزاد ما بيكفيش.

الميه ما بتكفيش.

سابوه وراحوا الحجاز التقوه بيوزع البقشيش.

سابوه وراحوا الحجاز التقوه جالس مع الدراويش.

قالوله جيت ازاى يا وله فى الحر يا درويش.

قال، بالحب فى الحبيب النبى بنت فى جسمى ؟؟؟؟؟

لما نويت أزور النبى المولى ما خزلنيش.

ياللى انت رايح للحبيب النبى ودعاك لزيارته.

أمانة عند الوصول تطلب لنا زيارته.

علشان نشوف المقام ونتملى بزيارته.

ونشوف منى وعرفات ونطوف بالكعبة.

أحرمنا من بيتنا وعقدنا النية لزيارته.

فقرة ايقاعية

يا طير فى الجو طاير ـ ياللى رايح مكة زاير.

وانت جاى هات البشاير ـ من رسول العالمين.

هات معاك بشرى سكينة ـ من رسول الله نبينا.

بالله رفرف يا حمام ـ عالنبى خير الأنام.

وأمانه يا رايح مكة ـ تبقى تبوس لى تراب السكة.

واتمايل حبة حبة ـ وهات لى منه حبة.

وقوله دى لحبيبك ـ عاشق المحبة.

نبينا محمد صلوا عليه....

فقرة إنشاد

أرجو يا رب فى الدارين ترحمنا ـ

بحق من فى يديه سبح الحجر.

والحبيب هو الذى ترجى شفاعته -
لكل هول من الأهوال مقتحم.
فاق ؟؟؟ فى خلق وفى خلق -
ولم يدانوه فى علم ولا كرم.
فهو الذى تم معناه وصورته-
ثم اصطفاه حبيبا بالغ النسب.
أكرم بخير نبى زانه خلق -
بالحسن.....لبشر متسم.
كا الزهر فى ترق - والبدر فى شرف.
والبحر فى كرم - والدهر فى همم.
فمبلغ العلم فيه أنه بشر، وأنه خير خلق الله كلهم.
من مكة خرج النبى مهاجر - ومجاهدا كى ينصر الإسلام.
ويأمر وحى الله ليثرب - شرف لتصبح منزلا ومقام.
فرحت بمقدمه وصارت دائما - للمسلمين سلامة وأمانا.
ورفيقه الصديق أكرم صاحب - وفى غار ثور أمضينا أيام.
ويجيبه المختار ان إلهنا معنا - فلا تحزن وكن مقداما.
حتى إذا ظهرت مشارف يثرب - خرج الأمانى مسرعين كراما.
يبدون فرحتهم بلقيا المصطفى - ويرددون الشعر والألحان.

انت الحبيب و كلنا لك نعشق و لطيب وجهك كلنا نتشوق

الشمس تشرق من جبينك ضوءها - يا من ماسنه كبدر يشرق.

صوت القصاصة و الملاحه يا بنى .. حتى اذا خاطبت ابكم ينطق
و أنا رخيت بأن تكون معذبى   طوبى لمن فى نار حبك يحرق.
اللهم صلى و سلم و بارك عليه ......

(افتتاحية المولد فى الطريقة البيومية (قرية العوينة)

لما أراد الله خلق المخلوقات / و رفع السماوات

قبض قبضة من صفاء جلال وجهه الكريم فقال لها كونى فكانت محمد فبمحمد خلق الله الخلق، و بمحمد عرفوه فهو النور الجارى و السر السارى فى سائر الموجودات و أقسم الله بحياته فى كلامه المشهود، لأهل الكشف و الشهورفهو نور حبيبى نور من نور ذات ربه القدسيه، و النار حرقت على من صلى عليه،

اللهم صلى و سلم و بارك عليه...

و هذه ليإلى الحبيب النبى قوم يا حرير عالباب و ابط ايدى الضراعة عل الله يفتح لك الأبواب، و انا دى أقول يا رب خدنى مع أولى الألباب..

و إن كنت عيان يا مريد و متألم صلى عالنبى و سلم

انا كنت زيك لكن ربنا سلم، و نزل عليه وحى الله عليه سلم

أنا بامدح اللى نزل وحى الله عليه سلم

جبريل نزل عالحبيب النبى و قاله تعالى كلم ربك عطاك الامان
يا زين ما تتكلم

واجب علينا نمدحه كل يوم قبل مانتكلم لأن رب العباد عالمصطفى سلم.

فقرة ايقاعية

يا برق شامى　بلغ سلامى على محمد خير الأنام

برق تلملم　من فوق زمزم　صلى و سلم على التهالى

برق تشخلع　بالنور و ضاح　عليه السلام

مكة السيدة فيها خديجة　زوجة نبينا　عليه السلام

رحنا المدينة　بزفة و زينة　زرنا نبينا عليه السلام

رحنا بفرحة　رجعنا بشرحة　زرنا نبينا محمد عليه السلام

و الكعبة طوفنا　بفرقة و حلة　و غرقت من بابا عليه السلام

كعبة بنوها　و زينوها　حجاج دخلوها ... عليه السلام

يا رب نزوره　نحظى بنوره　فاحت عطوره عليه السلام

فقرة إنشاد

عجبى عليك يا غنى تبخل بمالك ليه

المال مال الكريم والله فضله عليك

ما دام معاك ربنا يا بن آدم خايف كدة ليه

خلى الخفيفة عليك و عليا و ارمى المحمولة عليه

ماتتغرش بنفسك الامارة و تقول ابن فلان و علان

شوف اتسجيت من ايه

من نطفة خلقك عدم و ليه تعصى ربك ليه

أنا　بتقسى على جارك ليه

أمرك تصلى و تصوم تركت الفرض ليه

ماحجيتش ليه

ماذكتين ليه

و آدى كانت راح للقبر مارضيش بيه

تارك الصلاه راح القبر مارضيش بيه

قالت النار دى عاصى و أنا اللى أولى بيه

و حياة مقام الحبيب النبى و الحرم و أهل البيت و اللى فيه

عمر الحرام مايدخل بيت و يعمر فيه

يا عبد وحد إله العرش ماتنامش

و صون لسانك يا بن آدم عن الغيبات ماتنامشى

و ماتنمش ـ دا يجيلنا يوم ياما الجفن يشبع نوم

قدامنا يوم فيه املاك ماتنامشى.

أبو عمل خير أملاكه تجى و تروح

و أبو عمل شر يقعد له فى طلوع الروح

و مكتوب له فى اللوح إله العرش ماينامشى.

لو كانت الآه بتداوى جروحاتى

لكنت اقول الآه لما تطيب جروحاتى

إن كنت عايز الدوا قلب بالنور يزيد

ما دام تقول الله.....

الورد كان شوك و من عرق المصطفى فتح

و اسودت السماء بالغمام، عين الشمس انكست فى يوم

و لكن اكراما لحضرة النبى فتح

و لمس ايده الشريفة على يمن الضرير فتح.

فقرة ايقاعية

النبى حبه مولاه - هو و الصديق و ياه -

النبى أنا روحى فداه - يوم الحشر بنستناه.

النبى رايح فى النوم - من دخل الكفر او القوم

نزلت دموع الصديق عوم

على خد النبى صحاه ....

النبى قال يا صديق - مالك بتبكى حصلى لك ضيق

التعبان فى الوجه عتيق -

النبى قال يا تعبان، ياللى عبت و عيبك بان

مين يقرص الصديق الصديق يحميه لله

التعبان قال جى أزور لما فج علينا النور

أنا دهشت من الأنوار سامحنى يا رسول الله.

العنكبوت نسج عالغار باض الحمام بلا انكار

صلوا على كامل الأنوار يوم الحشر سينفعنا.

صلوا على طه المختار

فقرة انشاد

الهى قد خلقت لنا محمد

لك الحمد الجزيل على محمد

خلقت محمدا فى الأصل نور

وفى القرآن قلت دما محمد

جنان الخلد حبا فى محمد

اذا ماشئت فى الدارين تسعد

فانعم بالصلاة على محمد

اذا عرضت القبول فى الدعوات

فاختم بالصلاة على محمد

فلا صوم يصح و لا صلاة

لمن ترك الصلاة على محمد

فلا تتضاعف الحسنات إلا

بتكرار الصلاة على محمد

فإن كانت ذنوبك ليس تحصى

فاكثر مالصلاة على محمد

و عند الموت ترى أمور تسرك

بالصلاة على محمد

و عند يالقبر تحظى بالأمانى

و ترحم بالصلاة على محمد

فلا تخشى من الملكين رأفا

اذا جاءاك قل لهما محمد

رسول الله حق اتبعناه،

و آمنا و صدقنا محمد

الله يشهد و الملائك تشهد أن فى حاج الجمال محمد

أنا بامدح اللى نزل جبريل علشانه

الشمس ويا القمر الاتنين احنا والكون علشانه

سيدنا محمد اللى على قدره وزان شانه.

و اللى يصلى عليه فى الناس بان شانه

و ياللى زرتم جيبى قولوا ايه زيه.

فقرة ايقاعية

علامة من علامة من علامة

سعيد ياللى تصلى على الكراما

شفيع فى المذنبين يوم القيامة

يقول الحق لا يخشى ملامة

و اثنى عشر معجزة للنبى

و سادس معجزة لك يا نبينا

شفيع فى المذنبين يوم القيامة

مزود بالمهابة و الكمال.

فقرة إنشاد

تقول آمنه أنا لما حملت به كان من داخل الاحشاء يناديني

و فى ليلة و قد جائتنى ملائكة من السموات بالبشرى تهنينى

تقول لى ابشرى يا بنت وهب حملكى قمرا،

فقد حملتى بطه

و الله ما حملت أنثى و ما وضعت كمثل أحمد و ما مرت به عينى

فقرة ايقاعية

أمينة فى امانيها ـ فقيهه فى معانيها

تجلت و انجلت حقا... سألت الله يهنيها

تجلت ليلة الاثنين   و حملت خير من فيها

تجلت ليلة الاربع   و حملت بالنبى ينفع

محمد نوره يقشع   تقل الله أراضيها

تجلت ليلة الخميس   و حملت بالنبى العريس

لأهل العلم و التدريس   لقد شرف اراضيها

تجلت ليلة الجمعة   محمد باهى الطلعة

تجلت فى الفتى الأسمر   و فاح المسك و العنبر

و حملت بالنبى الأزهر   سألت الله يمنيها

يا مرحبا يا مرحبا   و يلى النبى المقتدى

نور النبى لما بدا   سماه جد محمد

يا مرحبا نور القمر   و النور منه ظهر

ولد النبى ولد النبى   صلوا معانا على النبى

أهلا به أهلا به   صلوا عليه و سلموا

فقرة انشاد

وقف الرجال فى ايايدهم أباريق فى فضة و ذهبية.

و لم تدر السيدة تشاهد من غرائب معجزاته أمورا نورانيه

و ذلك فى ليلة الاثنين من بعد العشاء إلى طلوع الفجرية.

صلى الله على محمد، صلى الله عليه و سلم..

(الحضرة فى قرية الراشدة)

الافتتاحية

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله

ألف صلاة وألف سلام عليك يا أكرم خلق الله وخاتم رسل الله .

الفاتحة اللهم صلى عى سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

ربنا يا ربنا يا ربنا × ربنا صلى على خير الورى

ربنا أنت اللطيف فكن لنا × حول المعين على الشدائد والرضا

ألطف بنا فيما قضيت × نحن العبيد وانت رب قيم

مدحك جاء بنا إلى جنابك سيدى × فى خير ما نبدأ من كيد العدا

وتب علينا أنك أنت التواب الرحيم

وأغفر لنا وارحمنا أنك أنت الغفور الرحيم

ونجنا اللهم والغم والكرب العظيم

ومتعنا بنظرنا إلى وجهك الكريم

وأجعلنا مع الذين تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم

دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

اللهم صلى على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

والصلاة والسلام عليك يا رسول الله... الفاتحة

اللهم صلى على سيدنا محمد فى الآولين وصلى على سيدنا محمد فى الآخرين وصلى وسلم على سيدنا محمد فى كل وقت وحين

وصلى وسلم على سيدنا محمد فى الملأ الأعلى إلى يوم الدين

وصلى وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين وعلى أولياء الله الصالحين وأهل السموات والأراضين وصلى وسلم وتبارك على أبو بكؤر الصديق وعمر وعثمان وعلى وسائر أصحاب رسول الله أجميعن والتابعين لهم بأحسان إلى يوم الدين وأحشرنا وأرحمنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين يا الله، يا حى يا قيوم، لا إله إل إلا أنت يا الله.. يا ربنا يا واسع المغفرة، يا أرحم الراحمين اللهم آمين..

لا إله إلا الله   لا إله إلا الله...

إغثنا أرحنا أفرحنا أشرحنا يا رسول الله.. المدد

لا إله إلا الله

إغثنا، اسأل عنا، يا مظلل بالعمامة، حزينا نختاجوك يوم القيامة للمساكين والأرامل وإليتامى يا رسول الله.. المدد

أغثنا أدركنا أوصلنا لا تقطعنا يا واصل المنقطعين يا رسول رب العاملين، يا من للأمة نافع وضنين يا رسول الله المدد...

مدد يا أعظم المرسلين يا مجر علم رب العالمين

يا أبا العينين أغيثونا بالمدد مددين

(يبدأ الذكر وقوفاً وكلام المنشد غير واضح فى معظمه أثناء الذكر)

الحمد لله رب العالمين فتاح فتحت للتوبه وبدأت بالألواح

وفتحت طريق النضال للمنشد المداح، وافتح مكوب مغلقة، محلى مدح النبى اللى بها يا صاح

أما أقول آيه رباب المصطفى وضاح

وفى مشاعل بتشغل فى ليالى ملاح

والليلة ليلة النبى تمنى لها المداح

فى ساحة الأولياء اللى بها يا صاح

طيب المداوى خاف عليا وأنا مجروح

وسقانى كأس الدوا وقالى وهو بيبوح

قال مريض بالهوى وجواى كله جروح

أنت كنت عايز دوا خد منى دواك مفتوح

اعطه لباب الشفا ده باب الشافى أروح

من الشفا أذا راح المريض المرض حيروح

يا بخت من له وصف واصعد بجسم الروح

فى ساحة الأولياء فيها طبيب الروح

- العليل وقف الطبيب زعلان
- قال المريض ده خطير وما فيش دوا العيان
- اللى دوا أصلها عند النبى العدنان
- كشف عليا وقبلنى شمال ويمين
- واتى الجرح من جودة وأنى الدوا من مين

-كبيراً لاطبا... من أبا العلمين

أحمد كحيل العين

سقانى كأس الدوا أتارية خمرة للشاربين

لما شربت الدوا عرفتش اللى سقانى مين

والأربعة حضروا

فارس بغداد حضر وسيدى أحمد البدوى

وسيدى أبا العينين يتعلم حدود الدين

خد آدى مفتاح وروح افتح به الدواوين

خلق الرئيسة النفيسة وعلى زين العابدين

خاف أن تجى للادارة وانسد للمريدين

(إنشاد)

الله والميعاد الله والواسطة سيدنا محمد رسول الله

بسم الآله الذى خلق النبى أول

أبدأ مديح النبى فى كل شىء أول - وأخير فى مدح النبى أول لأن الورى خلق النبى أول

من قبل آدم ظهر نور النبى أول

يا مصطفى من غرامك جل الذى صور

كتبت حليمة على وجينى نور

قالت حليمة أدى اللى عليه العين بتدور - ده لولى جمال النبى ما كان القمر نور

فى ساعة الفجر ١٢ ربيع أول

ولد الحبيب النبى وده بأن عليه النور

دى وضعته آمنة نازل بالصفا والنور

نازل محمل مكمل ونازل بنى ورسول

أنشد كل البيت من كل أركانه

حضره بنات الحور

بشراكى يا آمنة لما حملتى فيه

بشراكى يا أم النبى لما حملتى فيه

حملتى فيه فى رجب وفى ربيع وضعتى فيه دول جم البلد جم الكمل بصوا عليه

لقوه يحاكى القمر والألف كان باديه

نزل هاتف من السما وقال، يا حليمة خذيه

وارضى عليكى من لبن الاله واسقيه

وأرضى عليه الستارة لم عين تاخد فيه

واللى حضر الاستخارة يصلى عليه

حليمة نامت، عينى ما نامت، ونفيسة نامت

- الفاتحة للخلفاء والصحابة والأولياء والأئمة.

لما جرالى على حالى لى فى الخلايق على حالى يعايرونى.

لو كانوا دخلوا بطن الحوت ما كانوش يعايرونى.

كيف ننضام وأهل البيت يربونى.

سيدن الحسن والحسين فى الحب شبكونى.

أنا كنت أنام ما العشا من النوم حرمونى.

أنا كنت جاهل لكن هم اللى قرونى.

أنا كنت عيان لكن هم اللى عيونى.

ايده الكريمة عليا لكانوا دبحونى.

قالوا نعدك معانا أنا قلت عدونى.

بالقلب يا سادتى بالروح يمدونى.

لما لقونى مواشى بالعادى ثبتونى.

فرد البوارج وحلفوا ما يفوتونى.

على شط بحر المحبة بلد الرجال و عظيم

وصلوا لغاية الرئيسة أم هاشم و جدو الرجال هايمين.

و كل ليل الرض تبوز... بالحب غرقانى فى نفحات على الفقرا و المساكين.

على شط بحر المحبة اتنين صيادين

متعممين بالشبك و العضم صيادين

و القبر ضيق و الملكين خمامين.

وضع الرصاف ياكلة الانصاف

و عايز رجال لما مين

و القبر ضيق و فيه ملكين ضمامين

واحد على الميسرة و الثانى على اليمن

يا ترا يا هنترا المقبول فينا مين.

اول بداى بداى أصلى عالنبى الهادى

أمانه من ربنا من نورها العالى

اتاكل ما امسح جماله ينعدل حالى

و على الحبيب النبى ذكراى يا راسمالى

و أن ما مدحت النبى يا سقم احوالى

أنا اوصيك يا بن مدد النبى من القيل و القالى

و إن حد شتمك ما ترد عليه بالتالى

ليضيع عملك و تصبح بالعمل خالى

تغضب عليك ربنا و المصطفى الغالى

الله دايم باقى حى

صلوا على اللى أتاه الموت لم هابه

إلا وخبط على الباب و قال يا ذو الألباب

خرجت فاطمة تجرى سريع للباب

قالت يا أبى شخص غريب عالباب خلى الشعر منى شاب

قالها أفتحى له الباب يا فاطمة اوى مفرق الاحباب

دخل عزرائيل عالنبى الهادى،

و قال له السلام عليك يا قلبى أنا النادى.

قاله و عليك السلام يا كاس،

انت جاى زاير أم جاينى منادى

إن قلت لى اقبض اقبض،
و إن قلت لى روح أروح و لا أجيش

—

الله الله
و خد لك زاد للسفر الطويل الله
و تحظى بالتبارك يا حبيب الله
و يغنى الخلق جيل بعد جيل
و يبقى السير الصلاة على محمد.
و منهم من يمر عليه ماشى

و منهم من يمر على البراق
و منهم من يطلب على الزحيم
و يبقى الطفل عند أمه بيبكى
و دمعاته على هدومه تسيل
تقوله حيد عنى يا بنى
ترانى فى محاسبة الجليل
يحاسب كل حى على فعاله ـ و لا ينس كبير و لا صغير
و من حكمت فى خير البرية
يحاكمنا على أحسن سبيل
و من طلب العلا سهر الليالى

و ما امتلك الحياة مع المعال
و من طلب العلا و بغير كد
يضيع العمر فى طلب المحال
و اطلع القبة الخضراء فيها
و نور محمد يبدى السلام
و أختم بالصلاة على محمد
على طه المظلل بالغمامة

لما جرالى على حالى ليه فى الخلايق على حالى يعايرونى.
لو كانوا دخلوا بطن الحوت ما كانوش يعايرونى.
كيف ننضام وأهل البيت يربونى.
سيدى الحسن والحسين فى الحب شبكونى.
أنا كنت أنام ما العشا من النوم حرمونى.
أنا كنت جاهل لكن هم اللى قرونى.
أنا كنت عيان لكن هم اللى عيونى.
ايده الكريمة عليا لكانوا دبحونى.
قالوا نعدك معانا أنا قلت عدونى.
بالقلب يا سادتى بالروح يمدونى.
لما لقونى ماشى بالعادى ثبتونى.
فرد البوارج وحلفوا ما يفوتونى

المراجع

١ـ ابن اياس،محمد بن احمد بن اياس الحنفى،بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج١، الهيئة العامة للكتاب،١٩٨٢

٢ـ ابن حوقل، ابى القاسم بن حوقل النصيبى، صورة الأرض،دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٢

٣ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد،تحقيق على عبد الواحدوافى، مقدمة ابن خلدون، ج١، ج٢ . دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧

٤ـ ابن دقماق،الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج ٢

٥ـ أحمد فخرى، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥ . ١٩٨١

٦ـ ايندلامونت ميدوكروفت، هبة النيل، ترجمة على فخرى، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

٧ ـ يان فانسينا، ترجمة أحمد مرسى، المأثورات الشفاهية،مكتبة الدراسات الشعبية ع ٤٥ . ١٩٩٩

٨ ـ بريستد، جيمس هنرى، ترجمة سليم حسن، فجر الضمير، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠

٩ - جمال حمدان، شخصية مصر، دار الهلال،ج ١

١٠ - جمال حمدان، شخصية مصر، عالم الكتب، ج ٢ . ١٩٧٤

١١ - رفعت الجوهرى،عرائس فى الرمال - واحات الوادى الجديد،الدار القومية للطباعة والنشر،١٩٦٠

١٢ - الشاطر بصيلى عبدالجليل، تاريخ وحضارات السودان،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢

١٣ - فاروق مصطفى، الموالد،الهيئة العامة للكتاب،١٩٨١

١٤ - السيد عبدالعاطى، الايكولوجيا الاجتماعى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥

١٥ - اسماعيل عبده، الحالة الغذائية فى الوادى الجديد،أكاديمية البحث العلمى، ١٩٦٥

١٦ - حسن فتحى، عمارة الفقراء، مطبوعات كتاب إليوم،١٩٩١

١٧ - جون ويلسون،ترجمة أحمد فخرى، الحضارة المصرية، النهضة المصرية،

١٨ - سليمان حزين، حضارة مصر، مكتبة الأسرة، ١٩٩٥

١٩ - سليمان حزين، المجلة الجغرافية، الجمعية الجغرافية، ١٩٥٨

٢٠ - سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الجزء الأول، الهيئة المصرية للكتاب ٢٠٠٠

٢١ - عبد المنعم محمد حنفى، الوادى الجديد بين التاريخ والجغرافيا، دار البشرى، ٢٠٠٧

٢٢ - عبدالوهاب حنفى، وآخرون،الموالد الشعبية، المركز القومى للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية،٢٠٠٧

٢٤ - عبدالوهاب حنفى، وآخرون، العمارة الشعبية موسوعة الحرف التقليدية، جمعية أصالة، ٢٠٠٨

٢٥ - عبد الله خورشيد البرى، القبائل العربية فى مصر،دار الكاتب العربى، ١٩٦٧

٢٦ - محمد الجوهرى،الأنثروبولوجيا، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، ك ٣٢ / ١٩٨٦

٢٧ - قاسم عبده قاسم، بين التاريخ والفولكلور، مكتبة الدراسات الشعبية، ١٩٩٧

- محمد رمزى، القاموس الجغرافى، الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٨ - محمد شفيق غربال، تكوين مصر، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧

٢٩ - المسعودى، أبى الحسن على بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الفكر، بيروت،

٣٠ - لطفى عبد الوهاب، دليل آثار الوادى الجديد،جامعة الأسكندرية، ١٩٧٤

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



هذا الكتاب

يتعرض الباب الأول فى هذا الكتاب، الى تاريخ الواحات عبر العصور التى تبدأ من العصر المطير الثانى ثم العصور الفرعونية والرومانية والمسيحية والاسلامية ، ثم تاريخ (مملكة الواحات) لما لهذا الموضوع من أهمية تاريخية بالغة لتعرضه لمرحلة ظلت غائبة عن عيون الباحثين فى الشان التاريخى للواحات ، ثم يعرض لدراسة تيارات التغير الثقافى فى منطقة الواحات الداخلة ، قديمها وحديثها .

وفى الباب الثانى دراسة ميدانية لبعض العادات والمعتقدات فى اطار يجمع بين التراث والمأثور منها ،مثل عادات الزواج ، وعادات الطعام ، والعادات المرتبطة بالآبار ،ثم تناول بعض الممارسات الاعتقادية المرتبطة بالعلاج الشعبى ، بعد تناول ظاهرة معتقد الأولياء فى منطقة الدراسة ،والعمارة التقليدية بمراحل تطورها، والحرف التقليدية التى تتميز بها منطقة الدراسة مثل حرفة الجريد ومنتجات خوص النخيل ، وحرفة الفخار وحرفة النسيج .

ثم مجموعة من اشكال الأدب الشعبى المرتبطة بالمناسبات ، و بعض نصوص الموالد والحضرة (الذكر)التى تنتشر فى قرى الواحات الداخلة .




ISBN# 9789774481536
6 221149 026865

٢٠ جنيهًا